د. سامية علي لبن

محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة

دكتورة

رجاء مصطفى حزين

رئيس قسم الحديث وعلومه
كلية الدراسات الأسلامية والعربية
جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ، والذين اهتدوا بهديه ، واستضاءوا بنوره ، وسموا بإرشاده ، وسلم تسلمياً كثيراً .

أما بعد ،،،

فإن السيرة النبوية ، هى المنهاج العلمى لحياة الرسول الكريم ﷺ ، وهى النموذج الذى يجب أن يحتذى فى كل زمان ومكان . فهى سيرة أعظم الخلق والرسل ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، تربى فى مدرستها الدعاة والمصلحين ، والعلماء والفقهاء ، لذا يجب على كل مسلم أن يقتدى بسيرته ﷺ ، ويتزود منها، حتى يستطيع أن يطبق تعاليم دينه وأحكامه ، وحتى يعرف كيف تكون الدعوة إلى الإصلاح ، وكيف ترتبط الأمة برباط المحبة والإخاء ، وكيف تكون الثقة بالنفس والاعتماد على الله .

فلن يكون ثمة كتاب بعد كتاب الله عز وجل أعظم نفعاً لأمتنا ، وأقوى أثراً فى شحذ وجدان أبنائها ، وتبصرهم ، من سيرة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بما تقدمه من نماذج البطولة والفداء ، والبذل والعطاء ، والتضحية والإيمان ، والصبر على متاعب الدعوة .

كما أنها تبين الدور الذى اضطلع به الصحابة الأخيار رضى الله عنهم أجمعين، دفاعاً عن عقيدتهم وتبليغاً للإسلام وتعاليمه فى جميع المعمورة .

وهذا الكتاب يقدم باقات من تلك الحياة النبوية العطرة فى عصرها المدنى ، قسمته إلى تمهيد وثمانية أبواب :

الباب الأول : هجرة المسلمين إلى المدينة .

الباب الثانى : مبدأ التاريخ الإسلامى (أحداث العام الأول للهجرة) .

الباب الثالث : أحداث العام الثانى للهجرة .

الباب الرابع : أحداث العام الثالث للهجرة .

الباب الخامس : أحداث العام الرابع للهجرة .

الباب السادس : أحداث العام الخامس للهجرة .

الباب السابع : أحداث العام السادس للهجرة .

الباب الثامن : أحداث العام السابع للهجرة .

هذا والله أسأل أن ينفعنا بسيرته ، وأن يحشرنا فى زمرته وأن يهدنا سواء السبيل ، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به سائر المسلمين ، وأن يغفر لى ولوالدى وسائر المسلمين .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتورة

رجاء مصطفى حزين

تمهيد

قال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(١) .

الذين تبوؤا الدار هم الأنصار ، والدار هى المدينة المنورة ، مدينة رسول الله ﷺ، وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم بهذا الاسم فى آيات من الذكر الحكيم :

فمن سورة التوبة(٢) قوله سبحانه : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ... ﴾ .

وكذلك قوله عز وجل(٣) : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ... ﴾ .

ومن سورة الأحزاب(٤) قوله عز من قائل : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ﴾ .

---

(١) سورة الحشر الآيات من : ٧ - ٩ .

(٢) آية : ١٠١ .

(٣) آية : ١٢٠ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٦٠ .

ومن سورة المنافقون[1] قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

أما عن ذكر المدينة المنورة فى السنة النبوية فهو كثير جدًا ، إلى حدٍ يصعب معه حصر الأحاديث التى ورد فيها ذكر المدينة فقد ذكر لها السمهودى أربعة وتسعين اسمًا[2] .

والمدينة هى طابة وطيبة :

فعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى سمى المدينة طابة »[3] .

وروى مسلم وغيره من حديث فاطمة بنت قيس قوله ﷺ : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة »[4] يعنى المدينة .

أما تسميتها يثرب فقد كانت المدينة تسمى به فى الجاهلية ، فكره النبى ﷺ تسميتها بهذا الاسم .

روى الأمام أحمد ومالك والشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهى المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد »[5] .

---

(١) سورة المنافقون آية : ٨ .

(٢) وفاء الوفاء للسمهودى ٨/١ - ٢٧ .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم .

قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم[١] : « يعنى أن بعض الناس من المنافقين وغيرهم يسمونها يثرب ، وإنما اسمها المدينة وطابة وطيبة ، ففى هذا كراهة تسميتها يثرب » .

وسبب الكراهة إما لكون ذلك مأخوذًا من الثرب بالتحريك وهو الفساد أو من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ، وكان ﷺ يحب الاسم الحسن ولهذا أسماها طابة وطيبة كما تقدم .

وأما تسميتها فى القرآن يثرب فذلك حكاية عن قول المنافقين ، وأما قوله ﷺ : « فذهب وهلى إلى اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة يثرب » وقوله فى حديث آخر « لا أراها إلا يثرب » فذلك قبل النهى عن تسميتها بذلك .

وإلى المدينة يأزر الإيمان : فقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الإيمان ليأزر إلى المدينة كما تأزر الحية إلى جحرها»[٢] .

أى أنها كما تخرج فى طلب ما تعيش به ، فإذا راعها شىء رجعت إلى جحرها ، كذلك الإيمان انتشر فى المدينة ، فكل مؤمن له من نفسه شائق إلى المدينة لمحبته فى النبى ﷺ [٣] .

ومما ورد فى حب ودعاء النبى ﷺ للمدينة ، وما رواه الشيخان[٤] عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اللهم حبب إلينا المدينة

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٤/٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) السيرة الشامية ٤١٩/٣ .

(٤) متفق عليه .

كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مُدّنا ، وصححها لنا ، وأنقل حماها إلى الجحفة[١] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ إذا قدم من سفر فنظر إلى جُدُرات المدينة أوضع[٢] راحلته ، وإن كان على دابةحركها من حبها »[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة »[٤] .

ومن دعاء النبى ﷺ للمدينة أيضًا ما روى عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة ودعوت لها فى مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة »[٥] .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أن إبراهيم عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة وأنا محمد عبدك ورسولك وأنا أدعو لأهل المدينة أن تبارك لهم فى صاعهم ومدهم مثلما باركت لأهل مكة ، وأجعل مع البركة بركتين »[٦] .

---

(١) الجحفة : موضع بين مكة والمدينة ، وهى ميقات أهل الشام وتبعد ٢٢ كيلومتر جنوب شرق مدينة رابغ . راجع : على طريق الهجرة ص ٥٥ وما بعدها لعائق البلادى .

(٢) أوضع راحلته : أى حملها على سرعة السير . راجع النهاية لابن الأثير ١٩٦/٥ .

(٣) أخرجه البخارى .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

(٦) أخرجه أحمد والترمذى والنسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبى ﷺ فإذا أخذه رسول الله - زاد الطبرانى - وضعه على عينيه - قال : « اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا ، اللهم أن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وأنه دعا لمكة، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » قال : ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر(١) .

وأما عن حدود المدينة المنورة :

فقد ذكر العلماء - عند تحديدهم بعض مواضع المدينة - ما يفهم منه أن المدينة هى المنطقة المحيطة بالمسجد النبوى .

فمن هذه الأقوال :

ما ذكره ياقوت الحموى فى تحديد قباء : « هى قرية على ميلين من المدينة»(٢) .

وقوله فى العوالى : « ضيعة(٣) بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل : ثلاثة، وذلك أدناها ، وأبعدها ثمانية »(٤) .

وكذلك قول ابن جبير : « وقباء قبلى المدينة ، ومنها إليها نحو الميلين ، وكانت كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة »(٥) .

---

(١) أخرجه مسلم والترمذى .

(٢) معجم البلدان ٣٠٢/٤ .

(٣) الضيعة : الأرض المغُلة (القاموس ص : ٩٦٠) .

(٤) معجم البلدان ٤ /١٦٦ .

(٥) رحلة ابن جبير ص : ١٧٤ .

والذى تدل عليه النصوص ، أن قباء جزء من المدينة ، وكذلك معظم العوالى على قول ياقوت الحموى : « إن أبعدها على ثمانية أميال من المدينة » .

فمن تلك النصوص قوله ﷺ : « المدينة حرم ما بين عَيرْ إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثًا ، أو آوى محدثًا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل ... »[١] .

وقوله ﷺ « المدينة حرم ما بين لابتيها »[٢] .

وعلى هذا يتضح حدود المدينة من الجهات الأربع ، فحدها من جهة الجنوب جبل عَيرْ ، وهو جبل ممتد من الغرب إلى الشرق ، ويشرف طرفه الغربى على ذى الحليفة ، وطرفه الشرقى على المنطقة المتصلة بمنطقة قباء من جهة الجنوب الغربى[٣] .

وحدها من جهة الشمال جبل ثور ، وهى جبل صغير شمال أحد[٤] ، ويحدها من جهة الشرق الحرة الشرقية ، وهى إحدى اللابتين المذكورتين فى قوله ﷺ : « المدينة حرم ما بين لابتيها » .

والآبة الأخرى : هى الحرة الغربية ، والحرتان داخلتان فى حرم المدينة[٥] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه .

(٣) آثار المدينة لعبد القدوس الأنصارى ص : ٢٠٩ .

(٤) القرى لقاصد أم القرى لمحب الدين الطبرى ص ٦٧٤ .

(٥) شرح صحيح مسلم للنووى ٩ / ١٣٦ .

الباب الأول

هجرة المسلمين إلى المدينة

الباب الأول

هجرة المسلمين إلى المدينة

اشتد أذى الكفار للمسلمين ، وتعذيب ضعفائهم فكانت الهجرة إلى الحبشة، وما أن أصبح رسول الله ﷺ والمسلمون يشعرون بقوة تقف إلى جوارهم بعد العقبة الأولى والثانية .

وما أن انتشر الإسلام بين أهل المدينة ، وتهيأت المدينة للإسلام وأصبحت مكانًا مناسبًا لهجرة المسلمين بعد أن عاهد أهلها رسول الله ﷺ على الولاء والنصرة ، والسمع والطاعة والإخلاص لدين الله . فا اتجهت العيون إلى المدينة .

وهكذا أصبحت المدينة مكانًا مناسبًا يأمن فيه المسلمون على أنفسهم أذى قريش وطغيانهم .

من أجل ذلك أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة .

وكان النبي ﷺ قد رأى فيما يرى النائم أنه هاجر من مكة إلى المدينة ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « قد رأيت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان » ، « فخرج من كان مهاجرًا قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين »(١) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة ، أو هجر ، فإذا هي يثرب »(٢) .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٢ - ٤ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
وأحمد في المسند ١٩٨/٦. وأخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي ﷺ - وكتاب المغازي : باب من قتل من المسلمين يوم أحد .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الرؤيا : باب رؤيا النبي ﷺ .

فخرج النبى ﷺ بعد هذه الرؤية مسرورًا وقال : « قد رأيت دار هجرتكم وهى يثرب ، فمن أراد أن يخرج فليخرج إليها » .

وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها » فخرجوا أرسالاً إلى المدينة فصاروا يتسللون ويخرجون من مكة ، مخافة بطش قريش وإيذائها لهم ، فيحولون بينهم وبين الهجرة فرارًا بدينهم .

فمنهم من خرج مستعلنًا : كعمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن صحبه ، وأبى سلمه بن عبد الأسد ، ومنهم من خرج مستخفيًا وهم الضعفاء والموالى كصهيب الرومى ، ورجع الكثيرون ممن هاجر إلى الحبشة إلى مكة ، ثم هاجروا منها إلى المدينة .

فكان أول من خرج إلى المدينة مهاجرًا من أصحاب رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد ، وكان من مهاجرى الحبشة ، فلما عاد إلى مكة آذاه المشركون ، فهاجر إلى المدينة فى السنة الثانية عشرة للبعثة ، ومنعه قومه من أخذ زوجته أم سلمة وابنه معه ، فهاجر وحده ، وترك زوجته وولده ، فلحقاه فى السنة التى بعدها .

وعما أصاب أبا سلمة وآله قال ابن إسحاق : حدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة عن جدته ، زوج النبى ﷺ قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لى بعيره ثم حملنى عليه ، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبى سلمة ، فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى »(١) .

ومع كل هذا انطلق أبو سلمة إلى الله مهاجرًا ، ولم يلو على أهل ولا ولد، ولا مال حتى وصل إلى قباء فأقام بها حتى وصلت إليه زوجته وابنه بعد عام من مقدمه إليها .

محنة الصحابة فى الهجرة :

ابتلاء الصحابة من أجل الهجرة كثير - ونذكر هنا - أم سلمة رضى الله عنها ومحنتها من أجل الهجرة فى سبيل الله فكانت تخرج كل غداة فتجلس فى الأبطح ، فما تزال تبكى حتى تمسى سنة أو قريبًا منها حتى جعل الله لها مخرجا ولحقت هى وابنها بزوجها فى المدينة .

وروى عنها - فى هذا الصدد - أنها قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى ، حتى أمسى سنة أو قريبًا منها ، حتى مربى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيره ، فرأى ما بى فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٦٩/١ - ٤٧٠ من طريق ابن اسحاق وقد صرح بالسماع وسنده رجاله ثقات ، فالحديث صحيح .

قالت : ورد بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى ، قالت : فارتحلت بعيرى ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خلق الله ، قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار ، فقال لى : إلى أين يا بنت أبى أمية ؟

قالت : فقلت : أريد زوجى فى المدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قالت : لا والله ، إلا الله وبنى هذا .

قال : والله مالك من متروك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر بعيرى ، فحط عنه ، ثم قيده فى الشجرة ، ثم تنحى عنى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح ، قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ، ثم استأخر عنى ، وقال : أركبى ، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى ، يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء . قال : زوجك فى هذه القرية ، وكان أبو سلمة نازلاً فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعًا إلى مكة .

قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان ابن طلحة»(١).

وذكر أبو عثمان النهدى قال : بلغنى أن صهيبًا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ، ثم

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٦٩/١ - ٤٧٠ .

تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك . قال لهم صهيب : أرأيت أن جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى . قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب ربح صهيب .

هجرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

لم يهاجر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا متخفيًا غير عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فقد روى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتضى فى يده أسهمًا ، واختصر عنزته (عصاه) ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعًا : ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم : شاهت(١) الوجوه ، لا يرغم الله(٢) إلا هذه المعاطس(٣) ، من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده ، أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى ، فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضى لوجهه(٤) .

قصة عياش بن أبى ربيعة :

هاجر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان تواعد هو وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص بن وائل السهمى على مكان من إضاة بنى غفار ، وقالوا: أينا لم

---

(١) شاهت : قبحت .

(٢) لا يرغم الله : لا يلصق بالرغام وهو التراب .

(٣) المعاطس : الأنوف .

(٤) أسد الغابة ٤/٥٨ .

يصبح فقد حبس ، فليمض صاحباه ، قال عمر : فأصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند هذا المكان ، وحبس هشام ، وفتن فافتتن .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « اجتمعنا للهجرة أوعدت أنا وعياش بن ابى ربيعة وهشام بن العاص الميضاه ، ميضاة بنى غفار فوق شرف ، وقلنا : أيكم لم يصبح عندها فقد احتبس فليمض صاحباه ، فحبس عنا هشام بن العاص ، فلما قدمنا منزلنا فى بنى عمرو بن عوف ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبى ربيعه وكان ابن عمهما وأخاهما ، حتى قدما علينا المدينة فكلماه فقالا له : إن أمك نذرت أن لا تمس رأسها مشط حتى تراك ، فرق لها .

فقلت له : يا عياش والله إن يردك القوم إلا عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لا متشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة أحسبه قال لامتشطت ، قال : إن لى هناك مالاً فآخذه قال : قلت : والله إنك لتعلم أنى من أكثر قريش مالاً فلك نصف مالى ، ولا تذهب معهما ، فأبى إلا أن يخرج معهما ، فقلت له : لما أبى على : أما إذا فعلت فخذ ناقتى هذه ، فإنها ناقة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها .

فخرج معهما عليها حتى إذا كان ببعض الطريق قال أبو جهل بن هشام : والله لقد استبطأت بعيرى هذا ، أفلا تحملنى على ناقتك هذه . قال : بلى فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استوى بالأرض عديا عليها فأوثقاه ، ثم أدخلاه مكة وفتناه فافتتن ، قال : فكنا نقول : والله لا يقبل الله ممن افتتن صرفًا ولا عدلاً ، ولا يقبل توبة قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم .

قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا لهم ، وقولهم لأنفسهم :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(١) .

قال عمر : فكتبها فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام : فلم أزل أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه حتى فهمتها ، قال : فألقى فى نفسى أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا ، فرجعت فجلست على بعيرى ، فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة »(٢) .

ولم يبق بمكة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ممن يستطيع الهجرة إلى المدينة إلا هاجر إليها ، إلا من حبسه أهله ، أو كان مستضعفًا ، عديم الحيلة غير أبى بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب مع النبى ﷺ .

---

(١) سورة الزمر الآيات : ٥٣ - ٥٥ .

(٢) رواه البزار ، راجع كشف الاستار ٢/٣٠٢ وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/٦١ للبزار وقال : ورجاله ثقات .

راجع سيرة ابن هشام ١/٤٧٤ - ٤٧٥ بسند رجاله ثقات ، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث فقال : حدثنى نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب والبيهقى فى السنن ٩/١٣ ، ١٤ من طريق ابن إسحاق .

هجرة النبى ﷺ إلى المدينة المنورة

لم يبق بمكة أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ممن يستطيع الهجرة إلى المدينة إلا هاجر إليها ، إلا من حبسه أهله ، أو كان مستضعفًا ، عديم الحيلة غير أبى بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب مع النبى ﷺ .

وقد كان بقاء أبى بكر وعلى بأمر رسول الله ﷺ ذلك أن أبا بكر الصديق قدهم بالهجرة إلى المدينة فقال له النبى : « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا » فيفهم أبو بكر أن النبى ﷺ يعنى بالصاحب نفسه ، ففى صحيح البخارى فى سياق حديث الهجرة : « وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ : «على رسلك ، فإنى أرجو أن يؤذن لى ، فقال : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط[1] - أربعة أشهر[2] ... »استعدادًا للهجرة إلى المدينة المنورة .

مؤامرة دار الندوة :

لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا وأصابوا فيهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة - وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا

---

(١) الخبط : بفتح الخاء والباء ، ما يخبط بالعصى فيسقط من وق الشجر واسم الورق الساقط خبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الأبل .

(٢) صحيح البخارى ٤/٢٥٥ .

تقضى أمرًا إلا فيها) يتشاورون فما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ وسلم حين خافوه بعدما عظم أمره واشتد خطره .

وقد اجتمع فيها أشراف قريش ، من بنى عبد شمس ، عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نوفل ، طعيمة بن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، ومن بنى عبد الدار ، النضر بن الحارث بن كلدة .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ، أبو البحترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ابن المطلب ، وحكيم بن حزام .

ومن بنى مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بنى سهم نُبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن بنى جُمح ، أمية بن خلف ، وكان معهم من قريش وغير قريش ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتهم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا ، فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيًا .

فلما اجتمعوا لذلك بدار الندوة ، واعترضهم إبليس فى صورة شيخ نجدى عليه بتلة[1] ،فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفًا على الباب قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من نجد ، سمع بالذى أعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم رأيًا منه ونصحًا ، وقالوا : أجل فادخل ، فدخل معهم .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتهم ، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيًا فتشاوروا ،

---

(١) البتله : الكساء الغليظ .

فقال قائل منهم : احبسوه فى الحديد ، واغلقوا عليه بابًا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرًا والنابغة ، ومن مضى منهم حتى يأتيه الموت .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ، ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره .

فتشاوروا ، ثم قال آخر : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا ، فوالله ما نبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع ، فإذا غاب عنا ، وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا ، وألفتنا كما كانت .

فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال ، بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله ، وحديثه ، حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يغلبكم ، وينتزع الأمر من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، فدبروا فيه رأيًا غير ذلك .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه لرأيًا لم أركم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابًا ، فتى جليدا نسبيا وسطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا ، ثم يعمدوا إليه فيضربونه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلونه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى

القبائل جميعًا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا ، فرضوا منا بالعقل[١] فعقلناه لهم .

فقال الشيخ النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وأجمعوا عليه .

إخبار الرسول بالمؤامرة ، وإذن الله لنبيه فى الهجرة :

جاء جبريل عليه السلام بالوحى من عند ربه سبحانه وتعالى ، فأخبره بمؤامرة المشركين له ، وأمره أن لا ينام فى مصجعة تلك الليلة ، وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٢] .

ومما سبق يتبين لنا أن الأسباب التى كانت من أجلها الهجرة يمكن إجمالها فيما يلى :

أولاً : بيعتا العقبة الأولى والثانية ، حيث تبين للرسول ﷺ أن أهل المدينة (الأوس والخزرج) سينصرونه ويدافعون عنه ، وأن المدينة أصبحت مكانًا آمنا للإسلام والمسلمين .

ثانيا : الانتقال بالإسلام من منطقة التعذيب والاضطهاد إلى منطقة آمنة يأمن فيها المسلمين على أنفسهم وعلى ابنائهم وأموالهم ، إلى بقعة خصبة تؤتى ثمارها وينتفع بها الناس .

---

(١) العقل : الدية ، وسبب تسميتها بالعقل ، لأنهم كانوا يعقلون الإبل التى يقدمونها فى الدية بالعقل ، وهو الحبل الذى تشد به الإبل حتى لا تفلت .

(٢) سورة الأنفال آية : ٣٠ .

ثالثًا : شدة إيذاء مشركين قريش للرسول ﷺ وللمسلمين ، وخاصة بعد وفاة السيدة خديجة زوج النبى ، وعمه أبو طالب .

رابعًا : مؤامرة المشركين ومحاولتهم الغدر برسول الله ﷺ والتخلص منه .

هجرة الرسول ﷺ وأبى بكر :

كانت الليلة التى خرج فيها رسول الله ﷺ وصحبه من مكة فى العشر الأواخر من شهر صفر ، وفى السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية .

وتتحدث السيدة عائشة رضى الله عنه عن يوم الهجرة النبوية فتقول : «بينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة(١) ، قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا(٢) فى ساعة لم يكن يأتينا فيها(٣) ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر .

قالت : فجاء رسول الله ﷺ ، واستأذن فأذن له ، فدخل ، فاستأخر أبو بكر عن السرير حتى جلس عليه ، فقال لأبى بكر : « أخرج من عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله .

قال النبى : « فإنى قد أُذن لى فى الخروج » فقال أبو بكر وهو يبكى من الفرح : الصحبة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ: « نعم » ، قالت عائشة : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحد يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ !!

---

(١) نحر الظهيرة : هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع . (النهاية ١٤١/٤) .

(٢) متقنعًا : مغطيًا رأسه .

(٣) لأنه كان من عادة رسول الله ﷺ أن يأتى بيت أبى بكر كل يوم مرتين : بكرة وعشية .

ثم قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله ﷺ بالثمن »[١] .

التجهيز للهجرة :

من مظاهر الإعداد والتخطيط لرحلة الهجرة ما يلى :

أولاً : ما كان من آل أبى بكر الصديق :

- تجهيز طعام السفر ، حيث اشتركت أسماء وعائشة ابنتا الصديق فى تجهيز السفرة التى سيأخذها المهاجران ، ووضعتاها فى جراب ، فلما أرادتا ربط فم الجراب لم تجدا شيئًا فشقت السيدة أسماء نطاقها[٢] نصفين ، فربطت فم الجراب بنصفه وانتطقت بالآخر ، فلذلك سميت ذات النطاقين أو ذات النطاق .
- وقوف أسماء بشجاعة فى وجه أبى جهل والنفر من قريش ، قالت أسماء رضى الله عنها : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش ، فيهم أبوجهل ابن هشام فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ فقلت : لا أدرى - والله - أين أبى ؟ فرفع أبو جهل يده فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى !!
- ما كان من عبد الله بن أبى بكر من مراقبة الطريق وتحسس أخبار المشركين ، فعبد الله يكون فى قريش ، نهاره معهم يسمع ما يأتمرون به وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وعند البخارى سميت الراحلة (الجدعاء) وعند الواقدى (القصواء) وأن ثمنها ثمانمائة درهم . راجع فتح البارى لابن حجر : ١٨٧/٧ .

(٢) هو ما تشد به المرأة وسطها ، وكان الانتطاق من عادة النساء العربيات .

- وأما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله عنه فيرعى فى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه .

وإليك ما رواه البخارى فى هذا بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور ؛ فمكثا فيه ثلاث ليال ، يبيت فى الغار عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف(١) لقن(٢) فيدلج(٣) من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمرًا يكتادان به(٤) إلا دعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة(٥) من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء ، فيبتان فى رسل - وهو لبن - منحتهما ورضيفهما(٦) حتى ينعق(٧) بها عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك كل ليلة » .

ثانيًا : استئجار دليل ما هو خبير بمسالك الصحراء ودروبها ليأمن الطريق ، ويعمى على القوم ، ولهذا سلك طريقًا غير مألوف لقريش وهو طريق الساحل ،

---

(١) ثقف : بفتح الثاء وكسر القاف : حاذق .

(٢) لقن : بفتح اللام وكسر القاف : سريع الفهم جيد الوعى .

(٣) فيدلج : بفتح الباء وتشديد الدال : أى يخرج بغلس .

(٤) يكتادان به : من الكيد .

(٥) منحة : غنمًا فيها لبن .

(٦) الرضيف : هو اللبن المرضوف : أى الذى وضعت فيه الحجاره المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته .

(٧) ينعق : يصيح ، والنعيق صوت الراعى إذا زجر الغنم .

وهو عبد الله بن أريقط رجلاً من بنى الدئل بن بكر ، وكانت أمه من بنى سهم بن عمرو ، وكان مشركًا يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه الراحلتين اللتين أعدهما الصديق رضى الله عنه للهجرة ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما(١) ، الذى واعداه بعد ثلاث ، وقد أسلم بعد ذلك(٢) .

ثالثًا : تخير رسول الله ﷺ للغار الذى يأوون إليه ، تخيروه جنوبًا فى اتجاه اليمن لتضليل المطاردين من كفار قريش .

رابعًا : بقاؤهما فى الغار ثلاثة أيام حتى فتر حماس المشركين ويأسوا من إدراكهما وتأهب المهاجران لاستئناف رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة وبداية عهد جديد للإسلام والمسلمين .

ليلة الهجرة :

عاد رسول الله ﷺ بعدما أخبر أبا بكر بالإذن له فى الهجرة ، وكان جبريل عليه السلام أمر النبى ﷺ أن لا يبيت على فراشه ، فلما كانت العتمة من الليل اجتمع فتيان من قريش على بابه يتربصونه متى نام وثبوا عليه ، وكان معهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها .

---

(١) سيرة ابن هشام ٩٢/٢ .

(٢) سبل الهدى والرشاد فى هدى خير العباد ٢٣٦/٣ ، ٢٣٧ .

فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعليّ بن أبى طالب : « نم على فراشى ، وتسج[1] ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، فإنه لن يخلص إليك منهم شىء تكرهه » .

وكان النبى ﷺ ينام فى برده ذاك ، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فى يديه ، وأخذ الله على أبصارهم عنه ، فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات : ﴿ يسٓ . وَالقُرآنِ الحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ . تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ . لِتُنذِرَ قَومًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُم فَهُم غَافِلُونَ . لَقَد حَقَّ القَولُ عَلَى أَكثَرِهِم فَهُم لَا يُؤمِنُونَ . إِنَّا جَعَلنَا فِى أَعنَاقِهِم أَغلَالًا فَهِىَ إِلَى الأَذقَانِ فَهُم مُّقمَحُونَ . وَجَعَلنَا مِن بَينِ أَيدِيهِم سَدًّا وَمِن خَلفِهِم سَدًّا فَأَغشَينَاهُم فَهُم لَا يُبصِرُونَ ﴾[2] .

ثم انصرف رسول الله ﷺ حيث أراد ، وبقى المشركون ينتظرون النائم حتى يخرج ، فيفعلوا به ما اتفقوا عليه .

فأتاهم ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ههنا ، قالوا : محمدًا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ، وانطلق لحاجته ، أما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب فدخلوا فوجدوا عليًا على الفراش ، متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ . فقالوا : والله إن هذا لمحمد نائمًا فلم يبرحوا حتى أصبحوا ، فقام على رضى الله عنه عن الفراش ، فلما رأوه قالوا : والله لقد صدقنا الذى حدثنا[3] .

---

(١) تسج : تغط .

(٢) سورة يس الآيات : ١ - ٩ .

(٣) ابن هشام فى السيرة ٤٨٣/١ .

وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذ يَمكُرُ بكَ الَّذينَ كَفَرُواْ لِيثبتوكَ ، أَو يَقتُلوكَ أَو يُخرِجُوك ، وَيمكرُونَ وَيمكرُ الله وَالله خَيرُ الماكِرينَ ﴾(١) .

وقول سبحانه : ﴿ أَم يَقولُونَ شاعِرٌ نَتَربَصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ قُل تَرَبصُوا فَإِنّي مَعَكُم مِنَ المُتَربِصِينَ ﴾(٢) .

ولما خرج رسول الله ﷺ من مكة توجه إلى البيت وقال : « والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت »(٣) .

فى غار ثور :

خرج الرسول ﷺ وصحبه وقد تزودوا بالزاد والماء ليلاً من خوخة(٤) من ظهر بيت أبى بكر حتى لا يراهما أحد ، وسلكا طريقًا غير معهودة ، حتى أتيا غارًا فى جبل ثور ، بأسفل مكة . فدخل أبو بكر الصديق الغار ، قبل رسول الله ﷺ كى يستبرئ للرسول الغار خشية أن يكون به آفة من آفات الجبال فلما تأكد من خلوه من ذلك دخل رسول الله ﷺ الغار .

ذكر الحاكم فى مستدركه(٥) ، عن عمر قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الطور الآيتان : ٣٠ - ٣١ .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه وصححه .

(٤) خوخة : باب صغير فى ظهر البيت .

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٦ وقال : حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، لولا إرسال فيه لم يخرجاه ، ووافقه الذهبى وقال : صحيح مرسل .

رسول الله ﷺ ، فسأله فقال له : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك ، فقال : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دونى ، قال : نعم والذى بعثك بالحق ، فلما انتهى إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان فى أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة ، فدخل واستبرأ الحجرة ، ثم قال : أنزل يا رسول الله ، فنزل فمكث فى الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب .

أما المشركون فقد انطلقوا بعد أن علموا بخروج النبى ﷺ ينتشرون فى طريق المدينة ويفتشون عنه فى كل مكان وجعلوا لمن يأتى به حيًا أو ميتًا مائة ناقة، وبعثوا القافة(١) أثره فى كل وجه ، فصاروا يتبعون الأثر حتى انتهوا إلى جبل ثور ثم صعدوا الجبل حتى وقفوا على فم الغار .

وقد ساورهم الشك فى أن يكون محمد وصاحبه قد لجآ إلى ذلك الغار ، فأخذوا يتشاورون فيما بينهم ويتساءلون ، وكان على مقربة من الغار راع ، فلما رآه المشركون سألوه : هل رأيت محمدًا وأبا بكر ؟ وهل تعرف أين ذهبا ؟ فقال : قد يكونان بالغار ، وإن لم أر أحدًا أمه .

وسمع الرسول ﷺ وصاحبه أقدام المشركين تخفق من حولهم ، وكان المشركون واقفين على فم الغار يتحدثون بمسمع من النبى وصاحبه ، فأخذ الروع أبا بكر على رسول الله ﷺ وهمس يحدث النبى فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ، فقال له النبى ﷺ « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما . يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا » .

---

(١) القافة : هم متتبعى أثر الأقدام لمعرفة أين ذهب صاحبه .

وهنا تجلت العناية الإلهية وحفظه لنبيه ﷺ ورعايته له ، وظهرت من المعجزات فى هذه الآونة ، ما يجعل الإنسان يسجد أمام عظمة الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى .. لقد ضربت العنكبوت بنسيجها على باب الغار ، فلما وصلوا إليه . قال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد فانصرفوا .

على فم الغار ليس نسيج العنكبوت وعشها فقط ولكن يروى لنا ابن سعد[١] : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عون ابن عمرو القيسى ، أخو رياح القيسى ، حدثنا أبو مصعب المكى قال : أدركت زيد بن أرقم وأنس بن مالك والمغيرة بن شعبة فسمعتهما يتحدثون أن النبى ﷺ ليلة الغار ، أمر الله شجرة فنبتت فى جهه فسترته ، وأمر الله العنبكوت فنسجت على وجهه فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل ، بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبى ﷺ قدر أربعون ذراعًا نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع ، فقال له أصحابه : مالك لم تنظر فى الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد ، قال فسمع النبى ﷺ قوله فعرف إن الله قد درأ عنه بهما ... » .

وهكذا تتجلى عناية الله ورعايته لرسول ﷺ فى كل خطوة من خطواته ، وفى ذلك يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٩٩ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٤٠ .

فى الطريق إلى المدينة :

بعد ثلاث ليال ، وقد هدأ الطلب ، وسكن الناس عنهما ، ويئس المشركون من إدراكهما خرجا من الغار ، وكان استأجر الصديق رضى الله عنه دليلاً هو عبد الله بن اريقط ، ورغم أنه كان مشركًا إلا أنهما أمناه ، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، فخرج بهما دليلهما ، وسلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان[1] ، ثم سلك بهما على أسفل أمج[2] ثم استجار بهما حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قديدًا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار[3] ، ثم سلك بهما ثنية المرة[4] ثم سلك بهما لقفا[5] ، ثم أجاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج[6] من ذى العضوين ، ثم بطن ذى كشر[7] ثم سلك بهما مرجح[8]، ثم أخذ بهما على الجداجد[9] ، ثم سلك بهما سلمك[10] ، ثم أجاز بهما الفاجة[11] ثم هبط بهما العرج وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما فحمل رسول الله ﷺ رجل من أسلم ، يقال له : أوس بن حجر ، على جمل له ، وبعث معه غلامًا له اسمه مسعود بن هنيده ، ثم خرج بهما الدليل من العرج ، فسلك بهما ثنية العائر ، عن يمين ركوبه ، حتى هبط بهما بطن ربم ثم قدم بهما قباء ، على بنى عمرو بن عوف ، حين اشتد الضحى .

هكذا ذكرت كتب السيرة هذا الطريق الذى سلكه رسول الله ﷺ وصحبه فى طريق هجرته للمدينة المنورة[12] .

---

(١) عسفان : موضع بين مكة والمدينة يسمى الآن (مدرج عثمان) .

(٢) إلى (١١) أماكن بين مكة والمدينة .

(١٢) راجع السيرة لابن أسحاق .

وكان خروج النبى ﷺ من الغار ليلة الاثنين لخمس خلـون مـن شـهر ربيـع الأول ، ووصوله إلى المدينة المنورة يوم الاثنين لاثنتى عشـرة ليلـة خلـت فـى شـهر ربيع الأول .

حادثة سراقة بن مالك :

لما يئس المشركون من الظفر بهمـا جعلـوا لمـن جـاء بهمـا ديـة كـل واحـد منهما، فجد الناس فى طلبهما رغبة فى الحصول على المكافأة التى رصدتها قريـش لمن يأتى بهما أو بأحداهما حيًا أو ميتًا .

مضت على الرسول وصحبه الأيام الثلاثـة وهـو فـى الغـار ، وهـدأ الطلـب ويئس المشركون ، واطمأن الدليل فوافاهما براحليتهما ، وغادر الرسول الغـار مـع صاحبه فى رعاية الله وعنايته .

وسلك الدليل بهما طريقًا لا يعرفها كثير من أهـل مكـة إمعانًـا فـى تضليـل المشركين ، وكانت هذه الرحلة تضم : رسول الله ﷺ ، وأبـو بكـر ، وعـامر بـن فهيرة مولى أبى بكر يقوم بخدمتهما ، ثم عبد الله بن أريقط دليلهما .

فلما وصلوا إلى قديد لحق به سراقه بـين مـالك المدلجـى ، علـى فرسـه يـرد رسول الله ﷺ وصحبه إلى قريش ولكى يفوز بالمائة ناقة .

فلما أقبل سراقة على رسول الله ﷺ عثرت به فرسـه حتـى كـادت تقضـى على حياته ، فارتعد لذلك ، فأهوى بيـده علـى كنانتـه فاسـتخرج منهـا الأزلام ، فاستقسم بها ، فخرج الذى يكره فركب فرسه حتى إذا سمع قراءة رسول الله ﷺ، ساخت يد فرسه حتى بلغت الركبتين ، فخرج وزجرها ، فنهضت وإذا الأثـر بـين يديها ، عثام ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسـمت بـالأزلام فخـرج الـذى

أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرس حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك قد جعوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني ، ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا . فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ(١) .

وهكذا كان أول النهار جاهدا(٢) على رسول الله ﷺ ، وكان في آخر النهار مسلحة له(٣) .

وكان الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ مع سراقة بن مالك إلى يوم فتح مكة ، فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله ﷺ ، وقال : يوم وفاء وبر .

مروره ﷺ بخيمة أم معبد :

كان مرور رسول الله ﷺ أثناء هجرته بخيمة أم معبد خيرًا وبركة ، نزل رسول الله ﷺ ومن معه يسألون أم معبد عن طعام يبتاعونه ، فلم يجدوا شيئًا ، فكانت الشاة عازبًا والسنة شهباء - كما وصفت أم معبد - ورأى رسول الله ﷺ شاة عجفاء فطلب أن يحلبها ... وما أن مسح بيده على ضرعها حتى تفاجت عليه وسمى الله تعالى ودعاه ... وأخذ بالإناء ، فأدرت حتى امتلأ فشرب الكل منه ..

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبى ﷺ .
ومسلم في صحيحه في كتاب الزهد : باب حديث الهجرة .

(٢) جاهدًا : يريد النيل من رسول الله جهده .

(٣) مسلحة له : أى مانعًا له ، وحارسًا له بسلاحه .

وشرب الرسول الله ﷺ ، وحلب حتى امتلأ الإناء ثانية ، فتركه عند صاحبته التى بايعته على الإسلام ، وارتحل الركب بعد أن ودعوها ...

روى الطبرانى والحاكم وصححه ، وأبو نعيم وأبو بكر الشافعى عن حبيش ابن خالد الأشعر الخزاعى القديدى ، أخى أم معبد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة هو وأبو بكر ، ومولى أبى بكر عامر فهيرة ودليلهم الليثى عبد الله بن الأريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية وهى لا تعرفه ، وكانت برزة جلدة تحتبى بفناء القبة(١) ، ثم تسقى وتطعم من يمر بها ، وكان القوم مرملين(٢) مسنتين(٣) ، فسألوها : هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئًا ، وقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى(٤) .

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة(٥) ، خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها رسول الله ﷺ : « هل بها من لبن » ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال: « أتأذنين لى أن أحلبها » ؟ فقالت : نعم بأبى أنت وأمى إن رأيت حلبًا فاحلبها ، فدعا بالشاة فاعتقلها(٦) ، ومسح ضرعها - وفى رواية وظهرها -

---

(١) بفناء القبة : الفناء ، هو المكان الواسع أمام البيت أو القبة وهى الخيمة .

(٢) مرملين : نفذت أزوادهم .

(٣) مسنتين : أى أصابهم سنة أو جدب .

(٤) القرى : إكرام الضيف ويقصد به أى ما منعناه عنكم .

(٥) كسر الخيمة : جانب الخيمة .

(٦) فاعتقلها : أى وضع رجلها بين ساقه وفخذه .

وسمى الله - وفى رواية : ودعا لها فى شاتها - فتفاجت[١] ، ودرت ، ودع بإناء يربض[٢] الرهط ، فحلب فيه ثجا[٣] ، وسقى القوم حتى رووا ، وسقى أم معبد حتى رويت ، ثم شرب آخرهم وقال : « ساقى القوم آخرهم شربًا » ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللاً[٤] بعد نهل[٥] ، ثم حلب فيه آخرًا ، وغادره عندها - وفى رواية أنه قال لها أن « أرفعى هذا لأبى معبد إذا جاءك » - ثم ركبوا ، وذهبوا .

فقلما لبث أن جاء أبو معبد زوجها يسوق أعنزًا عجافًا »[٦] ، يتساوكن هزلاً لا نقى بهن ، فما رأى اللبن أبو معبد عجب ، وقال : ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا ؟ والشاة عازب ، ولا حلوب بالبيت فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك فمن حاله كذا وكذا . فقال : صفيه يا أم معبد .

وصف أم معبد لرسول الله ﷺ :

قالت أم معبد : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، مبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، أحور ، أكحل ، أزج ، اقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطح ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه

---

(١) فتفاجت : أى فتحت ما بين رجليها كما هو الحال فى الغنم إذا حلبت .

(٢) يربض : أى يشبع الجماعة ويرويهم .

(٣) ثجا : حلبًا كثيرًا .

(٤) العلل : الشربة الثانية .

(٥) النهل : الشربة الأولى .

(٦) عجافًا : أى هزالاً .

البهاء ، وكأن منطقة خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ، ولا هذر ، أجهر الناس ، وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا ، له رفقاء يحفون به ، إذ قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا لأمره محفود محشود ، لا عابس ، ولا مفند[1] .

فقال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش ، لو رأيته لا تبعته ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً[2] .

---

(١) شرح المفردات :

الوضاء : الحسن والبهجة ، مبلج الوجه : مشرقه مسفرة .

الثجلة :عظم البطن ، صعلة : صغر الرأس ، في عينيه دعج : دعج العين : شدة سوادها مع اتساعها ، أشفاره : رموش عينيه ، وطف : طول وغزارة ، صحل : بفتح الصاد والحاء بحة خفيفة فليس في صوته غلظ ، أحور : الحور شدة بياض العينين ، وشدة سواد سوادهما ، أكحل : بفتح الكاف والحاء : سواد في أجفان العينين خلقة ، والرجل أكحل وكحيل ، والمرأة كحلاء .

أزج : الزجج دقة شعر الحاجبين والأهداب ، أقرن : أي مقرون الحاجبين بمعنى أن يتصل ما بنيهما بالشعر ، سطح : إشراف وطول ، كثاثة : غزارة من غير دقة ، وكان منطقة خرزات نظم يتحدرن : أي كلامه متناسق ، ومتصل بعضه ببعض ، فاشبه في تناسق الدرر، وفي تواليه الخرزات إذا تتابعت ، فضل : أي يفصل الحق من الباطل نزر : قليل الكلام ، هذر : كثير الكلام ، أجهر الناس : أرفعهم صوتًا من غير إفراط مع الوضوح ، ربعه لاتشنؤه : أي لا يبغض لفرط طوله ، ولا تقتحمه : لا تتجاوزه إلى غيره ازدراء له وإعراضًا .

محفود محشود : محفود : مخدوم ، محشود : له جماعة ، لا عابس ولا مفند : أي مطاع مقدر.

راجع : الطبقات الكبرى ٣/ ٢٣٠ . وحاشية سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٧١ - ٣٧٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٩-١٠ ،وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

كسوة الزبير رضى ا لله عنه للنبى ﷺ وأبى بكر رضى ا لله عنه :

لقى رسول ا لله ﷺ طلحة بن عبيد ا لله ، والزبير بن العوام فى ركب المسلمين ، كانوا تجارًا قافلين من الشام ، فكسا طلحة والزبير رسول ا لله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضاء ... قال ابن شهاب الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير « أن رسول ا لله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول ا لله ﷺ ثياب بياض »(1) .

وصول رسول ا لله ﷺ إلى المدينة :

وترامت الأنباء بوصول المهاجر العظيم وصحبه ومن معهما وخرج أهل المدينة عن بكرة أبيهم يتشوقون إلى رؤية النبى ﷺ ولقائه ...

وبلغ الأنصار مخرج رسول ا لله ﷺ من مكة وقصده المدينة ، وكانوا يخرجون إل ظاهر المدينة كل صباح حتى إذا اشتد المهاجرة عادوا إلى منازلهم، فلما كان يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشرة سنة من البعثة خرجوا على عادتهم ، فلما حمى حر الشمس رجعوا ، وأوفى رجل من اليهود على أطم(2) من آطامهم ، لبعض شأنه ، فبصر رسول ا لله ﷺ وأصحابهم مبيضين (أى لا بسين الثياب البيض) يزول بهم السراب ، فتظهر حركتهم للعين ، فلم يملك اليهودى أن صاح بأعلى صوته : يا بنى قيله(3) : هذا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبى ﷺ ، وقال الحافظ ابن حجر : وصورته مرسل لكن وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهرى ، المستدرك ٣/١١ وقال صحيح عل شرط الشيخين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(٢) أطم : حصن .

(٣) قيلة : الجدة الكبرى للأنصار ، والدة الأوس والخزرج راجع شرح المواهب ١/٣٥٠ .

جدكم(١) الذى تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح(٢) ، ليتلقوا رسول الله ﷺ وسمعت الرجبة والتكبير فى بنى عمرو بن عوف ، وكبر المسلمون فرحًا بقدومه ، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة ، فاحدقوا به مطيفين حوله ، والسكينة تغشاه ، ونزل الوحى بقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾(٣) فسار حتى نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف فأقام فى بنى عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة(٤) ، وكانت منازل بنى عمرو فى قباء .

وكان نزول النبى ﷺ حين قدم قباء على كلثوم بن الهدم أخى بنى عمرو بن عوف ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة .

أما عن خروج الناس لاستقبال الرسول ﷺ حين قدم المدينة ، روى البخارى(٥) بسنده عن البراء عن أبى بكر فى حديث الهجرة فقال : « فقدمنا المدينة ليلاً ، فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ فقال : « أنزل على بنى النجار ، أخوال عبد المطلب ، أكرمهم بذلك » فصعد الرجال والنساء فوق

---

(١) جدكم : حظكم وصاحب دولكم .

(٢) السلاح : من أجل إظهار القوة وحمايتهم له من أول يوم قدم فيه المدينة .

(٣) سورة التحريم آية : ٤ .

(٤) هذا الذى فى صحيح البخارى ، وهناك من يقول أنه أقام أربعة أيام وقد جمع ابن حجر (فى فتح البارى) بين ما فى السيرة وما فى الصحيح بأن المراد تتمة أربع عشرة ليلة بما فيها المدة التى استغرقتها الرحلة فى السير من يوم أن خرج من الغار إلى أن وصل قباء .

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الصحابة : باب مناقب المهاجرين ، وفى كتاب الأنبياء : باب علامات النبوة فى الإسلام وفى كتاب الأشربة : باب شرب اللبن ، وفى كتاب اللقطة : باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الزهد : باب فى حديث الهجرة .

البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون : يا محمد يا رسول الله! يا محمد يا رسول الله ».

ومما ذكر فى إضاءة المدينة لمقدمة ﷺ ما رواه أحمد والحاكم بسنديهما عن أنس رضى عنه قال « فما رأيت يومًا قط أنور ولا أحسن من يوم دخل الرسول ﷺ وأبو بكر المدينة ، وشهدت وفاته فما رأيت يومًا قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذى توفى رسول الله ﷺ فيه »(١) .

وأقام فى بنى عمرو بن عوف ، وأسس مسجد قباء ، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾(٢) .

فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فجمع بهم فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وهى أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ بالمدينة .

ثم ركب ﷺ فأخذوا بخطام راحلته وقالوا : هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة ، فقال : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ، فلم تزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه فى النزول عليهم ويقول : دعوها فإنها مأمورة .

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ١٢٢/٣ وقال الهيثمى فى المجمع ٥٩/٦ - ٦٠ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

والحاكم فى المستدرك ١٢/٣ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه وأقره الذهبى .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٠٨ .

حتى وصلت الناقة إلى موضع مسجده الشريف وبركت و لم ينزل عنها حتى نهضت ، وسارت قليلاً ، ثم التفتت فرجعت فبركت فى موضعها الأول فنزل عنها وذلك فى بنى النجار أخواله ﷺ ، وكان من توفيق الله عز وجل لها ، فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك ، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم ، يود كل منهم أن يحوز هذا الشرف العظيم ..

وأن ينزل رسول الله ﷺ أحسن منزل ، وكان البشر والسرور يلمع فى العيون ويسطع على الوجوه ويصدر من القلوب التى أحاطت بركبة ﷺ .

فنزل رسول الله ﷺ فتنازعه الملأ أيهم ينزل عليه ، فقال : « إنى أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » . ثم سأل : « أى دور أهلنا أقرب » ؟ فقال أبو أيوب الأنصارى : أنا ، وبادر إلى رحل رسول الله ﷺ فاحتضنه وأدخله بيته ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « المرء مع رحله » .

وجاء أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار ليلة العقبة الثانية ، فأخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده .

وأقام رسول الله ﷺ فى دار أبى أبو الأنصارى حتى بنى له مسجده ، وبنيت دور أهله ونسائه فانتقل إليها ، وقد أحاط أبو أيوب رسول الله ﷺ بحنايا قلبه وبأصدق حالات الحب والحنو التى أحاط بها الأنصار رسول الله ﷺ وتجلى ذلك فى قول أبى أيوب : « لما نزل رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل ، وأنا وأم أيوب فى العلو ، فقلت له : يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى أنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك ، وتكون تحتى ، فأظهر أنت فكن فى العلو ، وننزل نحن فنكون فى السفل .

فقال : يا أبا أيوب أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت . قال : فكان رسول الله ﷺ فى سفل البيت وكنا فوقه فى المسكن .

ولقد انكسر لنا حب(١) فيه ماء ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ، ما لنا لحاف غيرها تشف بها الماء تخوفًا أن يقطر على رسول الله ﷺ فيؤذيه .

وقد بالغ أبو أيوب الأنصارى فى إكرام رسول الله ﷺ ، فكانت لا تطيب نفسه أن يأكل حتى يأكل رسول الله ، فكان يهيئ الطعام ويرسله إلى النبى ﷺ ، فإذا عادت القصعة سأل عن موضع أصابع النبى ﷺ فيأكل حيث أكل .

وهكذا رأينا تبرك أبى أيوب وزوجه ، بآثار أصابع رسول الله ﷺ فى قصعة الطعام ، حينما كان يرد عليهما فضل طعام .

وهكذا تسابق الأنصار رضى الله عنهم فى إكرام وفادة رسول الله ﷺ ، فكانت ترسل القصاع والجفان بالأطعمة إلى دار أبى أيوب الأنصارى ليأكل منها من يشاء ، كما تسابقوا فى إيواء المهاجرين وإكرامهم ، هكذا كان إيثار الأنصار رضى الله عنهم .

ومما هو جدير بالذكر - فى هذا المقام - أن نذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لحق بالنبى فى قباء بعد أن قام برد الودائع إلى أهلها ، ودخل المدينة فى الموكب النبوى الشريف .

كما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه ، وسودة بنت زمعة

---

(١) حب : ما يجعل فيه الماء كالجرة .

زوجته وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنه أسامة بن زيد ، أما زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج ، وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبى بكر منهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير وكانت حاملاً بعبد الله وأم رومان (زوجة أبى بكر) فلما قدموا المدينة أنزلوا فى بيت حارثة بن النعمان[١] .

إسلام عبد الله بن سلام[٢] :

فى أثناء مقام الرسول الله ﷺ بدار أبى أيوب الأنصار خرج عبد الله بن سلام مع جماعة من أهل المدينة ، لما سمعوا بقدوم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ابن سلام يعلم من كتبهم أوصاف النبى المبعوث خاتم الأنبياء ، فنظر عبد الله بن سلام إليه وسأل النبى ﷺ بعض أسئلة وقال بعد أن سمع إجابتها من رسول الله ﷺ: أشهد أنك رسول الله ، وأنك جئت بحق ، وأسلم وقال للرسول : لا تعلن إسلامى حتى تسأل اليهود عنى ، لأنهم إن علموا إسلامى فسينقصوننى .

فأرسل إليهم رسول الله ﷺ وسألهم عن عبد الله بن سلام ، فقالوا : خيرنا وابن خيرنا ، فلما أخبرهم بإسلامه قالوا : شرنا وابن شرنا .

وروى البخارى[٣] بسنده عن أنسى بن مالك رضى الله عنه قال : إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبى ﷺ المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء فقال : إنى

---

(١) انظر : زاد المعاد ٥٢/٢ ، سيرة ابن كثير ٢٢٦/٢ ، عيون الأثر ١٧٣/١ .

(٢) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى ، الأنصارى ، ويكنى أبا يوسف ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب كيف آخى النبى بين أصحابه ، وباب مناقب الهجرة .

سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرنى به جبريل آنفًا . قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت ، فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى ، فجاءت اليهود فقال النبى ﷺ : أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا ، فقال النبى ﷺ : أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعاذه الله من ذلك . فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبد الله . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا ، وتنقصوه ، قال : هذا ما كنت أخاف يا رسول الله » .

وقد أسلم بإسلامه أهل بيته ، وعمة له تدعى خالدة بنت الحارث(1) .

فمن هذا الوقت ، أخذ اليهود يظهرون ما تكنه صدورهم من الحقد والحسد والعداوة للإسلام ولرسوله .

---

(١) ابن حجر : فتح البارى ٢٠٢/٧

الباب الثانى

مبدأ التاريخ الإسلامى

أحداث العام الأول للهجرة



الباب الثانى

مبدأ التاريخ الإسلامى([1])

أحداث العام الأول للهجرة

بناء المسجد النبوى :

شرع رسول الله ﷺ منذ وصل إلى المدينة فى بناء مسجده فى المكان الذى بركت فيه ناقته (القصواء) ، وقد اشترك فى بنائه مع أصحابه من المهاجرين والأنصار .

فبهذا حرص رسول الله ﷺ أول مستقره بالمدينة المنورة على إقامة مجتمع إسلامى يجمع المهاجرين والأنصار تحت لواء الإسلام وراية القرآن ، وأقام دعائم هذا المجتمع على أسس متينة راسخة فكان أولها بناء المسجد .

وكان مكان المسجد مربدًا لتجفيف التمر مملوكًا لغلامين يتيمين فى المدينة هما : سهل وسهيل ابنا عمرو ، وكانا فى حجر أسعد بن زرارة ، فدعا رسول الله ﷺ بالغلامين ، وطلب إليهما المربد ليتخذه مسجدًا وتحدث معهما فى شرائه، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى ﷺ أن يقبله منهما هبة ولكنه ابتاعه([2])

---

(١) ابتداء التاريخ الهجرى بهذا العام الذى انتقل فيه رسول الله ﷺ من موطن بعثه إلى موطن هجرته ، واتفق الصحابه على ابتداء التاريخ الإسلامى من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم ونهايتها ذى الحجة فيما اشتهر عنهم ، وهذا قول جمهور الأئمة وكان ذلك ميلاً إلى رأى سيدنا عمر رضى الله عنه .

(٢) أى اشتراه ، وقد ذكر موسى بن عقبة فى تاريخه أن الرسول ﷺ اشتراه بعشرة دنانير ، وأن الصديق هو الذى دفعها .

منهما ، وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل ، فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت ، وبالحفر فسويت ، وبالنخل فقطع ، ثم أمر بالبناء ، وكان بناؤه باللبن(١) ، ولكن عضادتى(٢) الباب كانتا من الحجارة ، وكان سقفه من الجريد ، وأعمدته من جذوع النخل ، ولا يزيد ارتفاعه عن القامة إلا القليل .

ومما روى فى صفة مسجده ﷺ ما أخرجه البخارى(٣) بسنده من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج » .

واشترك معهم رسول الله ﷺ فى البناء ، بيانًا لمنزلة المساجد ، وتقوية للروح المعنوية ، وبيانًا لقيمة العمل ومكانته .

روى الحاكم(٤) بسنده من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : « لما بنى رسول الله ﷺ المسجد ، جاء أبو بكر رضى الله عنه بحجر فوضعها ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ « هؤلاء ولاة الأمر من بعدى » .

---

(١) اللبن : هو الطوب الأخضر .

(٢) عضادتى : أى جانبى .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصلاة : باب بنيان المسجد .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٦١٣/٣ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وروى البخارى ومسلم[١] بسنديهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبى ﷺ ، فينفض التراب عنه ويقول : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن » .

إن هذا النباء المتواضع هو الذى ربى ملائكة البشر ومؤدبىالجبابرة ، وملوك الدار الآخرة ، فى هذا المسجد أذن الرحمن لنبى يؤم بالقرآن الكريم خيرة من آمن به ، يتعهدهم بأدب القرآن الكريم من غبش الفجر إلى غسق الليل .

ومسجد رسول الله ﷺ لم يكن مكانًا للصلوات الخمس وصلاة الجمعة فحسب ، ولكن كان مصدر التوجيه الروحى والمادى فهو مدرسة للتعليم والتهذيب معلمها رسول الله ﷺ وطلابها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فالمسجد يقوى الصلة بين الخلق وخالقهم ففيه تؤدى الصلاة ويؤذن بالتوحيد ، كما أنه يقوى الصلة بين الأفراد ، فمنه تنبثق مبادئ الصبر والرحمة ، والأخلاق الحميدة .

وكان المسجد محكمة للقضاء بما أنزل ، يفصل فيها رسول الله ﷺ بين المتخاصمين والمتنازعين ، وكان دارًا للشورى يتداول فيه الرسول والمسلمون فى أخص شئونهم وأمورهم ، كما كان المسجد مركزًا لقيادة الجيش ، حيث تعقد فيه الألوية للرؤساء والقواد ، ويزودون بالنصائح والتعليمات .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصلاة : باب التعاون فى بناء المسجد .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الفتن .
وأحمد فى مسنده ٣/٥ .

وكان دارًا للضيافة ومنزلاً لاستقبال الوفود والرسل الذين توجههم الدول للقاء رسول الله ﷺ .

وتتم بالمسجد مجالس الشورى ، والفصل فى القضايا وشئون التجارة ، كما كان ملتقى لجميع المسلمين .

ونستطيع أن نوجز أهمية المسجد في عهد النبى ﷺ فنقول : أن النبى ﷺ اتخذ من المسجد النبوى مكانًا للعبادة وإدارة دفة الأمور ، وكان بمثابة دار للحكومة الإسلامية ، ففيه تعقد الاجتماعات العامة وتعقد مجالس الحرب ، واتخذ أيضًا ميدانًا للتدريب العسكرى على القتال ، كما كان يتخذ أيضًا دارًا للقضاء ولاستقبال الوفود ، ولمعالجة مرضى المسلمين ، وتعليم القرآن ، فهو مكان للصلاة والحكم والقضاء وشئون الجهاد[1] .

ومما ورد فى فضل الصلاة فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، ماروى البخارىومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» .

وكذلك ما جاء فى فضل المسجد النبوى ، ماروى الشيخان بسنديهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدى هذا» .

---

(١) راجع : سيرة ابن هشام ٤٩٦/١ ، ٥٦٠/٢ ، ٥٧٣ / ٥٨٥ .
والطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٩/١ - ٢٤١ .

كما جاء فى فضل الصلاة فى روضة المسجد النبوى ، ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى »(١) .

وبنى الرسول ﷺ حول مسجده الشريف حجرًا لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء ، ينالها الغلام القارع بيده .

وقال السهيلى فى الروض الأنف : كانت مساكنه عليه الصلاة والسلام مبنية من جريد عليه طين ، بعضها من حجارة مرصوصة وسقفها كلها من جريد.

عندما انتهى بناء المسجد ، بنى رسول الله ﷺ دورًا إلى جانبه باللبن ، وسقفها بجذوع النخل والجريد ، فلما فرغ من البناء ، بنى لعائشة رضى الله عنها فى البيت الذى يليه شارعًا إلى المسجد ، وجعل سودة بنت زمعة رضى عنها فى البيت الآخر ، الذى يليه إلى الباب الذى يلى آل عثمان فأقام رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه منذ قدومه إلى صفر من الداخلة ، حتى تم بناء المسجد ، ودوره ثم نزل بها .

وكانت السيدة فاطمة بنت رسول الله وزوج على بن أبى طالب يسكن أحد البيوت الملاصقة لبيوت أبيها فى الجهة الشرقية .

ومما يذكر فى هذا الصدد - ما ذكره أبو القاسم السهيلى فى كتابه الروض الأنف - أن بيوت النبى ﷺ كانت تسعا بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة موضوعة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضًا ، وكانت حجرته عليه السلام أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر . ولما توفى

---

(١) متفق عليه .

جميع زوجاته ﷺ خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك فى زمن عبد الملك بـن مروان ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيـوم وفاتـه عليـه الصـلاة والسلام .

كما بنى رسول الله ﷺ فى مؤخرة مسجده من جهة الشمال ، ظله يـأوى إليها المساكين والفقراء ، كانت تعرف باسم الصفة ، ويعرف من يأوى إليها بأهل الصفة[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢٥٥ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وإذا كان المسجد الجامع فى المدينة على عهد رسول الله ﷺ رمزًا لاجتماع المسلمين واتحاد كلمتهم ، وكانت مشاركة جميع الصحابة فى بنائه دليلاً عمليًا على تعاونهم وتوادهم ، ولما رأى رسول الله ﷺ ما بين المهاجرين ، والأنصار ، من الألفة والصداقة والمحبة ، التى أسسها الإيمان بينهم ، أراد أن يربطها أيضًا برابطة الإخاء ، ويذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ، وينسيهم مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزرهم ببعضهم البعض .

فإن ذلك التعاون والتواد كان عامًا ثم خصص بين المسلمين بما عرف باسم المؤاخاة(1) .

اختلف العلماء فى وقت هذه المؤاخاة ، فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل بتسعة أشهر ، وقيل وهو يبنى المسجد ، وقيل قبل بنائه ، والراجح من هذه الأقوال أن ذلك كان بعد الهجرة بقليل .

وفى هذا الصدد قال السهيلى : « آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث، وجعل المؤمنين كلهم إخوة، وأنزل (إنما المؤمنون إخوة) يعنى فى التوادد وشمول الدعوة ، واختلفوا فى ابتدائها : فقيل : بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل بتسعة ، وقيل : وهو يبنى المسجد(2) .

---

(١) المقصود بالمؤاخاة : أن يكون بعضهم معظمًا لبعض ، مهتمًا بشأنه ، مخصوصًا بمعاونته ومناصرته ، ومواساته ، حتى يكونوا يدًا واحدة على الأعداء بالنسبة للهيئة الاجتماعية ، وأن يكون حب كل أحد لأخيه جاريًا مجرى حبه لنفسه .

(٢) فتح البارى ٢٧٠/٧

وكان الأنصار ، وهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدروهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ، ولا شك فقد شعروا بحاجة إخوانهم المهاجرين وقدروا ظروفهم العصيبة فآووهم ونصروهم وضربوا فى الإخلاص لهم والتفانى فى خدمتهم أروع الأمثال حتى لقد وصفهم الله تبارك وتعالى بذلك الوصف الرائع حيث يقول : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾(١) .

فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب أخوين ، وأبو بكر وخارجة بن زيد أخوين ، وعمر وعتبان بن مالك أخوين ، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين ، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع أخوين ، وابن مسعود ومعاذ بن جبل(٢) أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب الأنصارى أخوين ، وأبو حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر أخوين ، وبلال وأبو رويحة أخوين ، وأبو عبيدة بن الجراح وأبو طلحة الأنصارى أخوين والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين ، وطلحة عبيد الله وكعب ابن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبى بن كعب أخوين ، وعمار وحذيفة ابن اليمان حليف بنى عبد الأشهل أخوين وهكذا .

وقال ابن سعد : آخى بين مائة : خمسين من المهاجرين ، وخمسين من الأنصار ثم تتابع التآخى .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩

(٢) ذكر ابن إسحاق فى بعض من ذكرها أخوين ، وذلك مثل عدّه جعفر بن أبى طالب ومعاذ بين جبل أخوين ، والمعروف الثابت أن جعفرًا كان بالحبشة وقتها ، ولم يقدم المدينة إلا عام خيبر سنة سبع .

وهذه الأخوة ليست أخوة إسلام وإرتفاق ، بل كانت أخوة بها تيوارثون ، قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِن وَلَايَتِهِم مِن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ ﴾(١) .

وأمر التوارث هذا لم يستمر طويلاً ، حيث نزل قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾(٢) .

وقد ذكر أن النبى ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك رضى الله عنه ، فقد ذكر البخارى بسنده من حديث أنس رضى الله عنه قال : « قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار فى دارى »(٣) .

ومن مظاهر هذه الأخوة - بين المهاجرين والأنصار - أن يدفعوا عنهم الديات وأن يفدوا الأسير ، وأن يصلحوا بين المسلمين .

روى الإمام أحمد(٤) بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ « كتب كتابًا بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف ، والإصلاح بين المسلمين » .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٧٢

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٦

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الكفالة : باب قوله تعالى : ﴿ والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ﴾ .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب مؤاخاة النبى بين أصحابه .

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٧١/١ ، ٢٠٤/٢ والحديث بشواهده حسن .

وكذلك وجدنا المهاجرون يمدحون الأنصار : فعن أنس أنه قال : قالت المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بدلاً من كثير ، ولا أحسن مواساة فى قليل ، قد كفونا المؤونة ، وأشركونا فى المهنأ ، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : فقال رسول الله ﷺ : (كلامًا أثنيتم عليهم به ، ودعوتم الله لهم[1] .

« وممن عقد التآخى بينهم رسول الله ﷺ ، نجد بين هؤلاء من صار بسبب الإسلام أخًا لأعظم سيد ، وشريف من سادات المهاجرين ، وأشراف الأنصار ، فهذا تشريع رسول الله ﷺ فى رابطة الإخاء بين المسلمين وجعلتهم كتله واحدة ، وجسمًا واحدًا ، وأمة واحدة ، لا فرق بين العظيم والحقير ، والشريف والوضيع ، والسيد والمولى ، والغنى والفقر ، والعربى والعجمى ، والقوى والضعيف فى نظر الإسلام ، ولا فضل لعربى على أعجمى ولا لشريف على وضيع ، إلا بالتقوى التى هى أساس السعادة فى الداريـن : الدنيا والأخرة ، فما أعظم هذه الرابطة الصحيحة ، وما أقدس هذا التشريع الفخيم فى نظر الإنسانية والهيئة الاجتماعية »[2] .

ومن مآثر الأنصار : ما كان من سعد بن الربيع الأنصارى تجاه عبد الرحمن ابن عوف ، فقد روى البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن عوف أن سول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الأدب : باب فى شكر المعروف .

والترمذى فى سننه ، فى صفة القيامة وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذت الوجه .

وأحمد فى مسنده ٢٠٤/٣

والبيهقى فى السنن ١٨٣/٦

(٢) حياة سيد العرب لحسين عبد الله باسلامة ٢٥٤/١

آخى بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، فجاء سعد فعرض عليه أن يقاسمه ما له، وقال له : انظر أى زوجتى أحب إليك أتنازل لك عنها حتى إذا ما انتهت عدتها تزوجتها . فأبى عبد الرحمن وقال له : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، ولكن دلنى على السوق ، فدله على السوق ، فباع وابتاع حتى صار له مال وتزوج امرأة من الأنصار بوزن نواة من ذهب ، فقال له النبى : « أو لم ولو بشاة »(١) .

وكذلك ما ذكره الإمام البغوى - فى تفسيره - ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار : « إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم أموالكم وديارکم و لم تقسم لكم شيئًا من الغنيمة » فقالت الأنصار : « بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها » .

فذلك هو الإيثار ، وحق فيهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيهِم وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِم حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِم وَلَو كَانَ بِهِم خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب إخاء النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وباب كيف آخى النبى ﷺ بين أصحابه .
ومسلم فى صحيحه كتابه النكاح .
وأبو داود فى سننه ، كتاب النكاح : باب قلة المهر .
والترمذى فى سننه ، كتاب البر والصلة : باب ما جاء فى مواساة الأخ .
والنسائى فى سننه ، كتاب النكاح : باب الهدية لمن عرس .
وأحمد فى مسنده ١٥٢/٣ ، ١٩٠/٣ ، ٢٠٤ ، ٢٧١

شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[١] . وهكذا أثنى الله سبحانه وتعالى على الأنصار فى كتابه الكريم .

ومن مظاهر إثيار الأنصار ، ما روى من حديث أبى هريرة . رضى الله عنه قال : قالت الأنصار : أقسم بيننا وبينهم النخيل ، قال : « لا » . قال : يكفوننا المؤونة ، ويشركوننا فى الثمر ، قالوا : « سمعنا وأطعنا »[٢] .

« انظر إلى ثمرة الإخاء الذى أوجده رسول الله ﷺ بين أصحابه ، حتى صار الرجل منهم يوصى بما له لأخيه ، ويقدمه على أهله وذويه ، وإليك ما فعل الإخاء فى نفسية بلال ابن رباح مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، لما دون عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدواوين ، فى خلافته ، كان بلال رضى الله عنه، قد خرج مجاهدًا إلى الشام ، فقال له عمر ، إلى من تجعل ديوانك (يعنى عطاؤك) يا بلال ؟ فأجابه بلال : أعطه لأبى رويحة الخثمعى ، لا أفارقه أبدًا ، للأخوة التى كان رسول الله ﷺ عقدها بينه وبينى ، فضم عمر رضى الله عنه لأبى رويحة الخثمعى ديوان بلال وديوان الحبشة ، لمكان بلال رضى الله عنه[٣] .

ومن أجل هذا الإثيار وتلك الفضائل والمناقب مدحهم رسول الله ﷺ فقال: « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » .

وكذلك قال ﷺ : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب إخاء النبى بين المهاجرين والأنصار .

(٣) حياة سيد العرب ٢٥٤/١

كما أوصى رسول الله ﷺ بالأنصار من بعده خيرًا فيما رواه البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى ﷺ منا ، فدخل على النبى ﷺ فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد ، قال : فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى(١)، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم ، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم(٢) .

وهذا التآخى الذى عقده رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار بالمدينة - مدينة رسول الله ﷺ - كان مسبوقًا بمؤاخاة أخرى أقامها النبى ﷺ بين المسلمين بمكة المكرمة ، وهى تعتبر أول مؤاخاة فى الإسلام ، أقامها بين المهاجرين فى مكة، قال الحافظ ابن حجر(٣) : « قال ابن عبد البر : كانت المؤاخاة مرتين : مرة بين المسلمين وذلك بمكة ، ومرة بين المهاجرين والأنصار » .

ثم قال : « وقعت المؤاخاة الأولى كما أخرجها الحاكم من طريق جُميع بن عمير عن ابن عمر قال : وآخى رسول الله ﷺ بين أبى بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان) وذكر جماعة قال : (فقال على : يا رسول الله ، إنك آخيت بين أصحابك فمن أخى ؟ قال : أنا أخوك) .

---

(١) كرشى وعيبتى : أى بطانتى وخاصتى .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب حب الأنصار من الإيمان ، وباب قول النبى فاقبلوا من محسنهم .

(٣) فتح البارى ١٩١/٧

المعاهدة بين الرسول واليهود

رأينا فيما سبق كيف آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، لتقوية المسلمين وتوحيد صفوفهم ، وضمانًا لأن يعيش من بالمدنية فى ألفة ومحبة .

لم يكن المهاجرين والأنصار وحدهم بالمدينة ، ولكن على مقربة منهم كان اليهود يقيمون ، وهم يهود بنى قريظة وبنى قينقاع وبنى النضير ، وكان هؤلاء اليهود أعداء للأوس والخزرج (الأنصار) قبل أن يدخلوا الإسلام ، فلما دخلوا فى الإسلام وقوى أمرهم ازدادت عداوتهم وحقدهم لهم ، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى :﴿ ولَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الناس عَدَاوةً لِلذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالذِّينَ أَشرَكُوا ﴾(١).

ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود ، وكتب بينه وبينهم كتابًا ، فقد كتب بين المهاجرين والأنصار كتابًا وادع فيه اليهود ، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم ، واشترط لهم .

وود الرسول ﷺ أن يجعل من أهل المدينة مسلمين وغير مسلمين أمة واحدة فكانت وثيقة المدينة ، ذلك الدستور الإسلامى الذى حدد فيه رسول الله ﷺ : حقوق وواجبات المسلمين ، وحقوق وواجبات غير المسلمين ، وأحكام عامة تشمل المسلمين وغير المسلمين .

والذى نلقى الضوء عليه هو حقوق وواجبات غير المسلمين فى الدولة الإسلامية ، كما حدد معالمها رسول الله ﷺ فى تلك الوثيقة ، وهى ما عاهد به يهود المدينة ، وكان أساس هذه المعاهدة الأخوة فى السلم ، والدفاع عن المدينة

---

(١) سورة   : الآية

وقت الحرب ، والتعاون بين الفريقين إذا نزلت شدة بأحدهما أو كليهما ، وهذا نص الكتاب الذى بين رسول الله ﷺ واليهود :

(أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ([1]) إلا نفسه وأهل بيته . وأن يهود بنى النجار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى جشم ، وبنى الأوس ، وبنى ثعلبة ، وجفنة ، وبنى الشطيبة مثل ماليهود بنى عوف ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، ولا ينحجر([2]) على ثأر ، وأنه من فتك فبنفسه إلا من ظلم ، وأن الله على أثر هذا .

وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن يثرب حرام جرفها([3]) لأهل هذه الصحيفة ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وأن بينهم النصر على من وهم يثرب ،

---

(١) لا يوتغ : لا يهلك .

(٢) لا ينحجر : لا يلثم جرح .

(٣) الجرف : مكان قريب من المدينة .

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين ، على كل أناس حصتهم من جانب الذى قبلهم ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى) .

وقد كتب النبى ﷺ بعد هذه المعاهدة ، معاهدات خاصة مع اليهود ، تدور جميعها حول تلك الأغراض ، وقد دلت هذه المعاهدات على سمو تفكيره ﷺ ، وحسن سياسته ، فهى تقرر حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرمة المدينة ، وتحريم الجرائم ، وتحارب الظلم والإثم والعدوان .

كما أوضحت هذه الوثيقة مدى العدالة التى اتسمت بها معاملة النبى ﷺ لليهود ، فقد أوجب للمسلمين حقوقـًا كما أوجبها لليهود ، وكذلك لليهود ما على المسلمين من واجبات فقد أراد النبى ﷺ من هذه المعاهدات تقوية عزائم المسلمين ، وحفظ الأمن بالمدينة ، وكذلك حفظ المدينة من مطامع المعتدين ، ولقد كان بالإمكان أن تؤتى ثمارها بين المسلمين واليهود لولا أن اليهود غدروا وخانوا ، وتغلبت على اليهود طبيعتهم من حب للمكر والغدر والخديعة ، فما هى إلا فترة وجيزة حتى نقضوا العهود والمواثيق وبدأوا بالعدوان على المسلمين ، فخرجوا على الرسول والمسلمين بألوان من الغدر والخيانة ، وبدأوا بالعدوان فحاولوا قتله ﷺ ، وأخذوا يكيدون للمسلمين ، فحاولوا الوقيعة بين الأوس والخزرج ، واستباحوا حرمات المسلمين .

فعندما بدأوا بالعدوان رد الرسول ﷺ والمسلون على إساءتهم وظلمهم بما جعلهم عبرة أمام القرن والأجيال .

واليهود ضربت عليهم الذلة ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، فهم يجددون الغدر والمكيدة في كل حين .. ولكن الله تعالى يكشفهم ، ويدل على أحقادهم وعلى نواياهم وشرورهم التي لا حد لها ...

ومن الآيات ما كان يوحيه سبحانه وتعالى إلى نبيه محمد ﷺ عليه وسلم عن قوم يهود وما كانوا يفعلونه من كيد وحقد وخيانه ، ما نزل من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١) .

كما حذر سبحانه وتعالى المؤمنين منهم فقال عز وجل :

﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٠٠ - ١٠١

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٦

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠٠

دخول رسول الله ﷺ بالسيدة عائشة رضى الله عنها

في شوال من السنة الأولى للهجرة ، دخل النبى ﷺ بزوجه عائشة ، وكان خطبها من أبيها الصديق وهى بنت ست وقيل سبع سنين ، وبنى بها بعد الهجرة وهى بنت تسع .

روى البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها : « أرتُيك فى المنام مرتين ، إذا رجل يحملك فى سرقة من حرير فيقول : هذه امرأتك ، فاكشفها فإذا هى أنت ، فأقول : إن يكن هذا من عند الله يمضه » .

ومن حديث عائشة رضى الله عنها : « تزوجنى النبى وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعرى ، فوفى جميمة ، فأتتنى أمى أم رومان - وإنى لفى أرجوحة صواحب لى ، فصرخت بى فأتيتها ، لا أدرى ما تريد بى ، فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار ، وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى ، ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ، ثم أدخلتنى الدار ، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت ، فقلن : على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلمتنى إليهن ، فأصلحن من شأنى ، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فأسلمتنى إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين »(١) .

وقد جاء عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل بها فى شوال(٢).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب تزويج النبى عائشة ومسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب تزويج الأب البكر الصغيرة .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب استحباب التزويج فى شوال والترمذى فى سننه ، كتاب النكاح : باب ما جاء فى الأوقات التى يستحب فيها النكاح . وابن ماجه فى سننه ، كتاب النكاح : باب متى يستحب البناء بالنساء .

بدء الآذان ومشروعيته

فرضت الصــلاة على المسـلمين قبـل الهجـرة ، ليلـة الإسـراء والمعـراج ، وكانت الصلاة آنذاك صـلاة بـدون آذان ، لأن الظـروف فـى مكـة لا تســمح لهم بالجهر بالدعوة إلى الصلاة والإعلان لها ، ومضى علـى النبـى ﷺ ثلاثـة عشـرة سنة بمكة مستخفيًا هو وأصحابه .

فلما هاجر النبى ﷺ ، واطمأن الرسول وأصحابه بالمدينة ، واسـتحكم أمـر الإسلام ، واجتمع إليه أصحابه المهاجرون والأنصار ، حينئذ فكر النبى ﷺ فى أمر نداء يرفع به الآذان بالدعوة إلى الصلاة وتشاوروا فى ذلك .

روى البخارى فى صحيحـه بسـنده عن ابن عمـر رضى الله عنـه قـال : « كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينـون الصـلاة ليـس ينـادى لها ، فتكلموا يومًا فى ذلك ، فقال بعضهـم : اتخـذوا ناقوسًـا مثـل نـاقوس النصـارى ، وقال بعضهم : بوقًا مثل قـرن اليهـود ، فقـال عمـر : أو لا تبعثـون رجـلاً ينـادى بالصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ : قم يا بلال فناد بالصلاة » .

ومن حديث عبد الله بن زيد[1] قال : « لما أمـر رسـول الله ﷺ بالنـاقوس ليضرب به للناس لجمع الصلاة ، طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسًا : فقلـت : يا عبد الله اتبيع الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعـو بـه إلى الصـلاة . قـال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت : بلـى فقـال : تقـول : الله أكـبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشـهد أن محمدًا رسول الله ، أشهد أن محمـدًا رسـول الله ، حـى علـى الصـلاة ،

---

(١) عبد الله بن زيد : هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج .

حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال : وتقول إذا قمت إلى الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال ، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتًا منك » .

وزاد أحمد في رواية : « فقمت مع بلال ، فجعلت ألقيه عليه ، ويؤذن به ، قال : فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج يجر رداءه ويقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى ، فقال رسول الله ﷺ « فلله الحمد »(١) .

(ولا يظن ظان أن الآذان شرع بالرؤيا فحسب ، وإنما شرع بالوحي أيضًا ، وقد توافقا بدليل قوله ﷺ) « إنها لرؤيا حق » ، وفي رواية ابن جريج التي ذكرها ابن هشام في سيرته أن عمر لما جاء النبي يخبره بما رأى

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ص٣٧١
وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة : باب كيف الآذان .
والترمذي في سننه ، كتاب الصلاة : باب ما جاء في بدء الآذان .
وقال : حسن صحيح .
وابن ماجه في سننه ، كتاب الآذان : باب بدء اللآذان .
والدارمي في سننه ، كتاب الصلاة : باب في بدء الآذان .

قال له : « قد سبقك بذلك الوحي » وأيضًا فتقرير النبي لأحد على شيء أحد وجوه السنن المعروفة »[١] .

ومؤذن الرسول هو بلال بن رباح رضي الله عنه وأرضاه ، وأضاف بلال (الصلاة خير من النوم) في آذان الفجر ، وأقره عليها رسول الله ﷺ .

مولد عبد الله بن الزبير

ولد عبد الله بن الزبير في السنة الأولى للهجرة في شوال من هذه السنة ، وهو أول مولد ولد للمهاجرين بالمدينة ، ولما ولدته السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق جاءت به إلى رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له ، وبرك عليه .

روى البخاري[٢] في صحيحه بسنده عن أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير ، قالت : فخرجت وأنا متم ، فأتيت المدينة ، فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت النبي ﷺ فوضعته في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام » .

أما عن أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة فهو النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه .

---

(١) فتح الباري ٦٩/٢ والبداية والنهاية ٢٢١/٢ - ٢٢٣ (نقلاً من السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٦٥/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي وأصحابه وجاء عن عائشة أيضًا .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الأدب : باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

السرايا فى السنة الأولى من الهجرة

السرية : هى خروج الجيش ليلاً تحت قيادة أحد المسلمين ، ويكون خروجه سرًا ، وكذلك الفرقة من الجيش تخرج منه إلى جهة معينة ثم تعود إليه .

فالسرية إذا هى الغزاة التى لا يشترك فيها الرسول ﷺ .

فقد كانت لقريش تجارة إلى الشام ، ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيرًا ، وكان يصحب هذه العير كثير من أشراف قريش لحراستها والاطمئنان على سلامتها ، وكانت هذه التجارة وتلك القوافل تمر فى طريقها للشام على دار الهجرة (المدينة) ، فرأى النبى ﷺ أن يقطع الطريق عليهم ويصادر تجارتهم ، وقد غدت حلالاً وغنائم للمسلمين كلما أمسكوا بها .

ليكون فى ذلك عقاب لهم على إيذائهم للمسلمين وإخراجهم لهم من ديارهم ، وتقوية للروح المعنوية للمسلمين ، وإلقاء الرعب فى قلوب المشركين ، ومن هذه السرايا :

سرية حمزة بن عبد المطلب

لقد بعث رسول الله ﷺ بسرية حمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة ، مكونة من ثلاثين رجلاً من صحابته المهاجرين ، بقيادة عمه حمزة بن عبد المطلب ، وعقد له لواء أبيض حمله أبو مرثد الغنوى ، وذلك للتصدى لعير قريش راجعة من الشام ، كانت

تمر بالعيص فى ساحل البحر الأحمر ، وكان أبو جهل ضمن قافلة قريش التى تبلغ نحو ثلاثمائة رجل من المشركين ، فسار حمزة رضى الله عنه ومن معه حتى وصلوا ساحل البحر ، فصادف العير هناك ، فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدى[1] بن عمرو الجهنى ، وكان موادعًا للفريقين جميعًا ، فأطاعه الفريقان وانصرفوا .

ومع أن هذه السرية لم تشتبك مع المشركين فى قتال إلا أنها نبهت قريشًا إلى أن المسلمين بدأوا يتحركون لإثبات وجودهم ، وفى محاولة لإضعاف قوة العدو .

سرية عبيدة بن الحارث

كانت هذه السرية فى شهر شوال من السنة الأولى للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عم أبيه إلى بطن رابغ[2] قرب « العيص » ، فى ثمانين راكبًا من المهاجرين ليس منهم من الأنصار أحد ، وعقد له لواء أبيض حمله مِسْطحُ بن أثاثة ، وأمرهم أن يعترضوا عيرًا لقريش ، وكان على العير أبو سفيان بن حرب فى مائتى مقاتل من قريش ، فلم يحدث بينهم قتال غير رمى بالنبال ، فرمى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يومئذ بهم ، فكان أول[3] سهم رمى له فى الإسلام ، وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد

---

(١) فى بعض الكتب أسمه (مخش) راجع ابن هشام ٥٩٥/١ وابن سعد ٦/٢

(٢) على بعد نحو مائة وخمسين ميلاً من المدينة ، وهى واقعة جنوب المدينة بغرب .

(٣) فى هذه السرية أطلق أول سهم فى الإسلام ، وكان الذى أطلقه سعد بن أبى وقاص ، وقيل عبيدة بن الحارث .

ابن الأسود الكندى الحضرمى ، وعتبة بن غزوان المازنى ، وكانا من السابقين الأولين ، وإنما خرجا مع المشركين ليتوصلا إلى المسلمين ، وكانا قد أسلما قديمًا فانتهزا الفرصة ولحقا بالمسلمين .

سرية سعد بن أبى وقاص

فى شهر ذى القعدة ، بعث رسول الله ﷺ سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه إلى « الخرار »[1] ، وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن الأسود ، وأمره على عشرين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض عيرًا لقريش ، فكانوا يكمنون النهار ويسيرون الليل ، حتى وصلوا صبح اليوم الخامس إلى « الخرار » وكان رسول الله ﷺ قد عهد إليهم أن لا يجاوزوا هذا المكان ، وقد سار سعد بالجيش على الأقدام، حيث أمضى خمسة ليال حتى وصل ، فوجد أن القافلة قد مرت قبل وصوله بيوم واحد .. فعاد إلى المدينة و لم يلقوا كيدًا .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض العلماء قالوا أن هذه السريا كانت فى السنة الأولى من الهجرة وممن ذكر هذا الرأى الواقدى ، وكلام ابن إسحاق فى سيرته يميل إلى أنها فى السنة الثانية ، ورجح ابن كثير الرأى الأول ، قال : (والواقدى عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرر غالبًا ، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار ، وهو صدوق فى نفسه مكثار)[2] .

---

(١) هو وادٍ بالحجاز قريب من رابغ .

(٢) البداية والنهاية ٢٣٤/٣ نقلاً من السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ٦٨/٢

الباب الثالث

أحداث العام الثانى للهجرة

الباب الثالث

أحداث العام الثانى للهجرة

مشروعية الجهاد فى الإسلام

مكث النبى ﷺ والمسلمون فى مكة المكرمة ، ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، صابرًا على أذى المشركين ، لا يعتدون ولا يقابلون حرب المشركين لهم بحرب ، رغم محاربة أهل مكة الدعوة الإسلامية ، فقد آذوا النبى ﷺ وقاموا بتعذيب المسلمين وضربهم وسبهم ومع هذا كان المسلمون يزدادون قوة وصلابة وتمسك بدينهم ، وكان الله سبحانه وتعالى ينزل على نبيه من الآيات ما يقويه ويثبته على الصبر ، ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ﴾(١) .

وكثيرًا شكًا المسلمون لرسول الله ﷺ ما يلاقونه من أعدائهم ، فيجيبهم قائلاً : « اصبروا فإنى لم أومر بقتال » ، وظل الحال على ذلك حتى تمت الهجرة من مكة إلى المدينة ، وأصبح المسلمون فى منعه وقوة ، وتآخوا هم والأنصار ، وأصبح لهم كيان وسلطان وأضحوا ذوى عدد وقوة ، فأذن الله تعالى لهم بالجهاد فى أوائل السنة الثانية للهجرة ، ولم يشرع فى السنة الأولى للهجرة لأن المسلمين كانوا يقومون بتكوين دولتهم الجديدة ، وتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية ، كبناء المسجد النبوى ، والمؤاخاة ، وتنظيم أحوالهم السياسية، وموادعتهم اليهود لكى يأمنوا شرهم ، ويستطيعون تكوين دولتهم الإسلامية الجديدة .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٧ .

وما كان في السنة الأولى إلا بعض سرايا كان الغاية منها إرغام المشركين على التفكير في تغيير سياستهم ونظرتهم تجاه المسلمين حيث كانوا يستضعفونهم.

وأول ما نزل في الأذن للنبي ﷺ بالجهاد قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١) .

قال الزهري أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا »(٢) .

وروى الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن ، فأنزل الله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » وهي أول آية نزلت في القتال »(٣) .

---

(١) سورة الحج الآيات : ٣٩ - ٤١ .

(٢) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب التفسير : باب تفسير قوله تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ .

وذكره ابن حجر في فتح الباري وقال : أخرجه النسائي وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٦/٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي .

والترمذي في سننه ، كتاب التفسير : باب سورة الحج .

والنسائي في سننه ، كتاب الجهاد: باب وجوب الجهاد .

وأحمد في مسنده ٢١٦/١ .

ومر الجهاد بأطوار متعدده :

الطور الأول : كان مقصورًا على قتال الذين قاتلوا المسلمين وعذبوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق ، والذين لا يزالون يعذبون المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة ، قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾(١) .

الطور الثانى : حيث حالفت بعض القبائل قريشًا بعد الهجرة وحاولوا مهاجمة المدينة ، بل أن البعض هاجمها بالفعل ، كما فعل كرز بن جابر الفهرى، فقد أغار على سرج المدينة ، فخرج إليه المسلمون فى غزوة بدر الأولى فلم يدركوه .

ومنهم من تحرش بالمسلمين أو قتلوا بعوثًا منهم غدرًا ، كما حدث فى سريتى الرجيع والقراء ، فبادر الرسول ﷺ بالرد عليهم وكان يرسل السرايا لعقابهم ، ويرد على كيدهم ، وكان لرده عليهم أكبر الأثر فى إطلاعهم على الإسلام وسماحته فأسلم منهم الكثيرون .

الطور الثالث : حيث تمالأ المشركون فى مكة وخارجها على المسلمين وصاروا يدًا واحدة فى قتالهم ، فكان لابد من قتالهم ، ونزل الأمر الإلهي فى قوله

---

(١) سورة البقرة آيات : ١٩٠ - ١٩٢ .

سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١) .

الطور الرابع : لما نبذت يهود المدينة العهد بمساعدة الكفار فى حروبهم وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدًا آمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم ولكنهم نقضوا العهد وانضموا إلى المشركين ، وصاروا يحرضونهم على قتال النبى ﷺ كما حدث فى غزوة أحد ، بل حاولوا طعن المسلمين فى ظهورهم وتسليمهم لأعدائهم ، كما حدث فى غزوة الأحزاب ، كما أنهم سعوا بالإفساد بين المسلمين متمثلين فى الأوس والخزرج تارة ، وبين المهاجرين والأنصار تارة أخرى، لما حدث منهم ذلك أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقتالهم بقوله سبحانه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(٢) .

وقد كان القتال - قتال اليهود - واجبًا حتى يدينوا بدين الإسلام ، أو يعطوا الجزية للمسلمين وهم صاغرون .

الطور الخامس : لما فتح المسلمون مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، وراسل الرسول ﷺ الملوك والأمراء فى الهدنة ما بين الحديبية والفتح ، وأصبحت دعوة الإسلام معروفة ، وتحفزت الروم لغزو بلاد المسلمين ، فلما علم الرسول ﷺ بذلك جمع الجموع وخرج إليهم فلم يجد أحدًا ، فرجع ، ولكنه أراهم قوة الإسلام والمسلمين ، ومنذ ذلك الوقت انتقل الجهاد إلى خارج جزيرة العرب ، وبعد وفاة النبى ﷺ ، حدثت وقائع كثيرة مشهورة ، وتمت الفتوحات الإسلامية بفضل الله ونصره وتأييده للمسلمين وللإسلام .

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٦ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٥٨ .

ولأجل أن يثبت الله المسلمين ، ويحرضهم على القتال ، وعدم الفرار من الزحف ، وعدهم النصر المبين على الأعداء ، وظهورهم على معانديهم فى الدنيا ، وبشرهم بالنعيم والثواب الجزيل فى الآخرة ، فقال : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ الذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيَا بِالآخِرةِ وَمَن يُقَاتِل فِى سَبِيلِ اللهِ فَيُقتَل أَو يَغلِبْ فَسَوفَ نُؤتِيهِ أَجرًا عَظِيمًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ يَآ أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا زَحفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِم يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَو مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَد بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئسَ المَصِيرُ ﴾(٢) .

ومن هذا يتضح أن النبى ﷺ إنما اضطر إلى القتال اضطرارًا ، ودفاعًا عن النفس ، و لم يكن فيه ميل إلى سفك الدماء كما يدعى بعض المستشرقين .

وبعد أن بينا الأطوار التى مر بها الجهاد ، نستطيع أن نرد على من يقول : أن الإسلام قام على السيف ، هذا ما يردده أعداء الإسلام ، يريدون أن يقولوا إن أتباعه لم يدخلوا فيه بطريق الاختيار والطواعية وإنما دخلوا بالإكراه والقهر .

هذه دعوة باطلة كثيرًا ما يرددها المبشرون والمستشرقون ، كى يريدوا الطعن فى الإسلام وفى رسول الله ﷺ .

وعندما نجد أن الأذن بالجهاد ومشروعيته لم يبدأ إلا من العام الثانى للهجرة يتضح أن رسول الله ﷺ فى مكة مكث يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، فيدخل الناس فى الإسلام عن اقتناع ، وشرع الجهاد فى العصر

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٤ .

(٢) سورة الأنفال : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

المدنى للدفاع عن العقيدة وتمكينها من الانتشار ، ولرد الظلم الذى يقع على المسلمين .

وقبل أن نسرد فى الرد على هذا الزعم الباطل نورد رد كاتب غربى على هذا الادعاء وهو الكاتب الكبير : « توماس كارليل » صاحب كتاب الأبطال وعبادة البطولة ، فقد أتى بمثال لبطولة النبوة متمثلاً فى نبينا محمد ﷺ فقال ما معناه: « إن اتهامه – أى سيدنا محمد – بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، إذا ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس ، أو يستجيبوا له ، فإذا آمن به من لا يقدرون على حرب خصومهم ، فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها »([1]) .

ونجد أن الإسلام لم ينه عن البر بمن خالفه فى الدين إذ لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم وقال تعالى : ﴿ لَا يَنهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾([2]).

فالإسلام لم يقف عند حد أن من سالمنا سالمناه ، بل لم يمنع من البر بهم والعدل معهم وعدم الجور عليهم ، كما نجد أن القرآن الكريم أوضح موقف الذين

---

(١) كتاب : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص ٢٢٧ .

(٢) سورة الممتحنة الآيتان : ٨ ، ٩ .

قاتلوا المسلمين ، وأخرجوهم من ديارهم ، أو ساعدوا عليه فلم يأمر بظلمهم أو البعض عليهم ، وإنما نهى عن توليهم بنصرهم وإخلاص الود لهم ، فإن حاربونا حاربناهم قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ .

وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

ومن هذه الآية يتبين أنه لا إكراه فى اختيار الإيمان ، فمن اختار الإيمان فباختياره ، ومن اختار الكفر فباختياره .

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية ، أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبى ﷺ ، ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت ، فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكما حتى تسلما ، فاختصموا إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا انظر؟. فانزل الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. ﴾ فخلى سبيلهما .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(٢) وقوله جل شأنه : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٣) .

ومما يدل على سماحة الإسلام وعدم فرضه بالقوة مما ذكر فى السنة : روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده أن النبى ﷺ كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٣) سورة الكهف الآية ٢٩ .

أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ، ثم قال : « أغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ، أو خلال ، فأتهن ما أحابوك فأقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ... فإن هم أبو فلهم الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » .

وهكذا نرى أن النبى ﷺ لا يأمر بالقتال إلا بعد أن لا تجد الوسائل السلمية طريقها إليهم ، الجزية ليست لإكراههم على الدخول فى الإسلام ولا نوعًا من التشدد عليهم وإنما هى مقابل حماية المسلمين لهم وتأمينهم وتقديم شتى الخدمات لهم ، ويدل على ذلك ما رواه البلاذرى فى فتوح البلدان ، أنه لما جمع هرقل للمسلين الجموع ، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لواقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الجزية وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل - مع أنه على دينهم - عن المدينة مع عاملكم .

والذى يتأمل فى معاملة الرسول ﷺ عبر حياته كلها ، يجدها تتسم بروح التسامح والرأفة والشفقة ، إلى جانب الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة .

ويدل على هذا التسامح موقفه ﷺ من سيد بنى حنيفة الذى أسره المسلمون فى إحدى السرايا وهو : ثمامة بن أثال الحنفى ، وهم لا يعرفونه ، فأتوا به إلى رسول الله فعرفه وأكرمه ، وأبقاه عنده ثلاثة أيام ، وكان فى كل يوم يعرض عليه

الإسلام عرضا كريمًا فيأبى ويقول : إن تُسأل مالاً تعطه ، وإن تقتـل تقتـل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، فما كان من النبى إلا أن أطلق سراحه .

فأثرت هذه المعاملة السمحة الكريمة من رسول الله ﷺ فى ثمامة ، فذهب واغتسل ثم عاد إلى النبى ﷺ مسلمًا مختارًا وقال لرسول الله « يا محمد ، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلىّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى . والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلى من دينك ، فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلى . والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك ، فقد أصبح أحب البلاد إلى » .

وسر الرسول ﷺ بإسلامه ، قد أسلم بإسلامه كثير من قومه .

ومما لا شك فيه أن الذى يكره على شىء لا يثبت عليه ، وإنما يتحين أقرب فرصة للتخلص منه إذا وجد سبيلاً إلى ذلك ، بل يكون عدوًا له ، ولكننا لم نجد - عبر تاريخ الإسلام - أحدا ارتد سخطه عن دينه بعد أن يدخل فيه ، بل وجدنا المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم لحروب وانقسامات لأقطارهم وتسلط أعدائهم عليهم ، ومع هذا فلم نجد أحدًا منهم رجع عن دينه بل ثبتوا على ما تركهم عليه رسول الله ﷺ وحملوا رسالته وبلغوا حتى عم الإسلام شرقًا وغربًا .

هذا لم يكن يحدث إلا عن اختيار واقتناع بالرغبة لا بالرهبة ، بالحكمة والموعظة الحسنة وليست بالسيف كما يشيع المغرضون .

وليس هناك رد على هذا الافتراء أبلغ من أن بعض المستشرقين لم يؤمن بهذه الفرية ، بل يرى أن الجهاد كان لحماية الدعوة ، ورد العدوان ، وأنه لا إكراه فى الدين ، فقال « أميل در منغم » : « لم يشرع الجهاد لهداية الناس بالسيف ، ففى

القرآن » ﴿ لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ﴾ ، والقرآن يأمر المسلمين بالاعتدال ، وبأن لا يبدؤوا بالاعتداء ، وما نجده فى القرآن من الآيات المتتابعة أو المبثوثة ، أو المبعثرة فى سوره حول الجهاد ، فيشير إلى حوادث ذلك الزمن الراهنة ، وإلى ما يجب على محمد أن يسلكه هو وأصحابه فى المغازى تبعًا لتبدل الأحوال ، ولذلك نرى من اللغو جعل تلك الآيات شاملة لأحوال أخرى ، واستخراج مبدأ عام »(١) .

غزوة الأبواء أو ودان(٢)

وهى أول مغازيه ﷺ قال البخارى رحمه الله : «قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة »(٣)، خرج فيها النبى ﷺ وكانت فى شهر صفر من السنة الثانية ، على رأس اثنى عشر شهرًا من الهجرة ، يريد قريشًا فى ستين رجلاً من المهاجرين ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة ، فلما وصل الأبواء لم يلق عير قريش ، والتقى ببنى ضمرة ، فعقد رئيسهم مخشى بن عمرو الضمرى بينهم وبين رسول

---

(١) حياة محمد لدر منغم ص ١٦٦ ترجمة عادل زعيتر .

(٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً (دلائل النبوة للبيهقى ٣/٩) .

ودان : بتشديد الدال ، قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع (السيرة النبوية لابن هشام ١/٥٩١) .

والأبواء وودان : مكانان متقاربان ليس بينهما إلا ستة أميال أو ثمانية .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة العشيرة أو العسيرة (فى ترجمة الباب) .

الله ﷺ موادعة على أنه لايغزونه ، ولا يكثرون عليه جمعًا ، ولا يعينون عليه عدوًا فرجع النبى ﷺ إلى المدينة ، و لم يلق كيدًا ، وكانت غيبته خمسة عشر يومًا .

وكانت هذه أول معاهدة عقدها الرسول مع غير يهود المدينة وقد حققت نصرًا للمسلمين .

غزوة بواط[1]

وهى الغزوة الثانية ، غزاها رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا من الهجرة ، فى مائتين من المهاجرين والأنصار ، وحمل اللواء سعد بن أبى وقاص ، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون رضى الله عنه ، فلما وصل بواط يعترض عير لقريش آيبة من الشام ، فيها أمية بن خلف الجمحى ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير ، فوجد العير قد فاتته ، فرجع و لم يلق كيدًا .

غزوة العشيرة[2]

خرج رسول الله ﷺ إليها فى جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرًا من الهجرة ، فى خمسين ومائة رجل وقيل مائتين ، ومعهم ثلاثون بعيرًا، عندما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش بأعظم عيرلها ، قد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشى له مثقال إلا بعث به فى تلك العير ، وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب فى بضعة وعشرين رجلاً من قريش .

---

(١) بواط : بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو : جبل من جبال جهينه بالقرب من ينبع .

(٢) العشيرة : قرية من وادى ينبع النخل ، وهو موضع لبنى مدلج بينبع .

وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، واستعمل على المدنية أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، خرج يريد عير قريش التى صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة، فخرج إليها ليغنمها ، فوجدها قد مضت ، وفى أثناء عودته حالف بنى مدلج من كنانة على أن ينصرهم وينصروه، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدنية و لم يلق حربًا.

غزو بدر الأولى

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة العشيرة ، وبعد عشرة أيام ، أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدنية ، فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه حتى بلغ سفوان - موضع ناحية بدر - واستخلف على المدنية زيد بن حارثة مولاه ، وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ثم رجع رسول الله ﷺ و لم يلق كيدًا .

سرية عبد الله بن جحش(١)

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش رضى الله عنه ، وكان معه ثمانية من المهاجرين ، إلى نخلة(٢) ، فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وكان أصحابه : أبا حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن ، وعتبة بن غزوان ، وسعد بن أبى وقاص ، وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله التميمى ، وخالد بن البكير ، وسهيل بن بيضاء الفهرى .

---

(١) عبد الله بن جحش : هو أول من عقدت له الراية فى الإسلام ، أمه هى عمة رسول ﷺ أمية بنت عبد المطلب، وهو من مهاجرى الحبشة ، وممن شهد بدرًا ، وصاهر رسول الله ﷺ بأخته زينب بنت جحش ، كما أن أول مغنم قسم فى الإسلام مغنم عبد الله بن جحش .

(٢) نخلة : بين مكة والطائف .

أرسله رسول الله ﷺ ، وأمره أن يرصد بها عير قريش ، وأعطاه كتابًا وقال له : « لا تفتحه إلا بعد يومين ، فإذا فتحته فامض لما أمرتك به ، ولا تستكره أحدًا من أصحابك » .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا به : « إذا نظرت كتابى فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم » ، فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعًا وطاعة ، وأخبر أصحابه بما اشتمل عليه هذا الكتاب وقال قد نهانى أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ ، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد .

وقد تجلت الحكمة البالغة ، وبعد النظر ، فى عدم إخبار السرية بمقصده من إرسالهم ووجهتهم قبل مغادرتهم المدينة ، حتى لا يتسرب الخبر إلى أحد المنافقين أو اليهود ، فينقل إلى قريش فتترصدهم فى هذا المكان البعيد عن المدينة وتنال منهم وهم قلة .

وكان البعير الذى يعتقبه سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان قد شرد منهما فتخلفا فى طلبه ، ومضى بقية الركب ، حتى نزلوا « نخلة » فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيبًا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمى ومعه ثلاثة آخرون .

وتشاور القوم فيهم وكان فى آخر يوم من رجب ، فقالوا : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، فليمتنعن به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم

فى الشهر الحرام ، فتردد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فقتلوا واحد واستأسروا اثنين ، وأفلت القوم .

أما الذى قتل فهو عمرو بن الحضرمى ، رماه واقد بن عبد الله التميمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم .

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ . بالمدنية ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا .

فلما قال ذلك رسول الله ، سقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم ، وأخذو فيه الأموال وأسروا فيه الرجال .

فلما أكثر الناس من ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١) .

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٢١٧ - ٢١٨ .

فلما نزل القرآن بهذا الأمر ، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الكرب ، فقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ، يعنى سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان ، فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم » فقدم سعد ، وعتبة ففداهما رسول الله ﷺ منهم .

وقد أسلم الحكم بن كيسان وحسن إسلامه وأقام بالمدينة حتى قتل يوم بئر معونة شهيدًا ، وأما عثمان بن عبد الله بن المغيرة فلحق بمكة ، ومات بها كافرًا .

وقد قسم الله الفيئ ، فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه ، وخمسه إلى الله ورسوله ، وهى أول غنيمة غنمها المسلمون .

تحويل القبلة

كان النبى ﷺ قبل الهجرة ، بمكة المكرمة ، يصلى إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فأمره الله تعالى بالتوجه إلى بيت المقدس ، فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة ، واستدبر الكعبة ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا .

فتطلع النبى ﷺ وهو بالمدينة ، بعد الهجرة أن يصرف قبلته نحو الكعبة ، واشتد تشوقًا إلى نزول الوحى عليه بالتوجه إلى بيت الله الحرام ، قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام ، ومفخرة العرب حيث كانت مثابة للناس وأمنًا ومزارًا ومطافًا ، وكان يكثر عليه السلام الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله عز وجل ، فكان يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

هكذا اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون الكعبة المشرفة قبلة المسلمين بعد أن حازوا شرف التوجه إلى بيت المقدس ليكونوا من أهل القبلتين وليتميزوا عن المشركين قبل الهجرة وعن اليهود بعدها ، وفى تحويل القبلة إلى الكعبة سعيًا إلى دخول العرب فى الإسلام ومخالفة لليهود الذين كانوا يقولون : إنه يخالفنا فى ديننا ثم يتبع قبلتنا ، حتى روى أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السلام :

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

وددت أن الله صرفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها ، فقال له جبريل أنا عبد مثلك ، وأنت كريم على ربك ، فادع ربك وسله ، ثم ارتفع جبريل وجعل الرسول يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذى سأل ربه[١] .

وقد جاء التأكيد من الله سبحانه وتعالى بالتوجه إلى الكعبة فى ثلاثة مواضع متقاربة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[٢] ، وقوله عز وجل: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٣] ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٤] .

فهذه الآيات تؤكد لرسوله ﷺ أن الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام هو الحق الذى أراده الله لحكمة وفائدة جرت بها مشيئته ، كما يؤكد أن الحكمة التى أرادها الله من أمر المسلمين بالتوجه إلى الكعبة هى أن يقطع الحجة على هؤلاء الناس (اليهود والنصارى) فلقد كان اليهود يقولون عن أوصاف الرسول المذكورة فى التوراة أنه يتحول إلى الكعبة ، وكان النصارى يقولون عن رسول الله أيام توجهه إلى بيت المقدس : ما باله يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته ؟ لذلك

---

(١) روح البيان ٢٠١/١ نقلاً من السيرة النبوية د. الطيب النجار .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٩ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٥٠ .

اقتضت حكمته تعالى تحويل القبلة إلى الكعبة لقطع حجتهم ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز : ﴿ وإنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيعلَمُونَ أنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِهِم وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعمَلُونَ ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى عن اليهود وطعنهم في النبي والمسلمين بسبب تحويل القبلة : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَاسِ مَا وَلاهُم عَن قِبلَتِهِمُ التَّي كَانُوا عَلَيها قُل لِلهِ المَشرِقُ وَالمغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ ﴾(١) .

ولقد كان تحويل القبلة امتحانًا لكل الفئات وفي هذا قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا جَعَلنا القِبلَةَ الَّتي كُنتَ عَلَيهَا إلَّا لِيَعلَمَ مَن يَتبِعُ الرَسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبيهِ وَإِنَّ كَانَت لَكَبِيرةً إِلَّا عَلَى الذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضيعَ إِيمَانَكم إِنَّ اللهَ بِالنَاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(٢) .

وقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في منتصف شهر رجب على الصحيح الذي جزم به جمهور العلماء(٣) .

اختلف العلماء في أول صلاة حصل فيها التحويل ، فقيل الظهر وقيل العصر، ويمكن الجمع بين هذه الروايات بما ذكر من أن النبي ﷺ زار أم بشر بن البراء بن معرور خارج المدينة في بني سلمة ، فوضعت لهم طعامًا ، وحانت صلاة الظهر ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه للصلاة في مسجدهم ، وبعد أن صلى بهم ركعتين نزل جبريل على النبي ﷺ بتحويل القبلة فاستدار النبي وهو في صلاته إلى

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٣) وذهب البعض إلى أن التحويل كان في نصف شعبان ، وهو قول ضعيف .

الكعبة ، واستدار معه أصحابه ، فسمى هذا المسجد ، المسجد ذى القبلتين ، ولا يزال مكانه موجودًا بالقرب من المدينة .

ثم خرج النبى ﷺ إلى المدينة فحانت صلاة العصر فصلاها إلى الكعبة ، ثم خرج رجل ممن صلى معه بالمسجد النبوى ، فمر على بنى حارثة فى مسجدهم وهم يصلون إلى بيت القدس ، فأخبرهم بتحويل القبلة ، فاستداروا وهم فى صلاتهم إلى الكعبة ، ثم ذهب هذا الرجل أو غيره إلى قباء ، فأدركهم فى صلاة الفجر وهم يصلون إلى بيت المقدس ، فأخبرهم بنزول القرآن بالتحويل إلى الكعبة، فتوجهوا فى صلاتهم إليها ، وبهذا التحقيق يحصل التوفيق بين الروايات المختلفة الواردة فى هذا المقام ، والتى يكمل بعضها بعضًا([1]) .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنهما : «أن البنى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال أخواله - من الأنصار ، وأنه صلى : قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة ، فداروا - كما هم - قبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك »([2]) .

---

(١) فتح البارى لابن حجر ١/٧٩ - ٨١ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ٥/٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد : باب تحويل القبلة .

قال زهير ، حدثنا إسحاق عن البراء فى حديثه هذا : أنه مـات على القبلـة قبل أن تحول رجال وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهـم ، فـأنزل الله تعـالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1] .

وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن أنـس بن مالك رضى الله عنـه قـال : « أن رسول الله ﷺ كان يصلى نحو بيت المقـدس ، فـنزلت : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[2]، فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع فى صلاة الفجر وقد صلوا ركعة : فنادى ألا إن القبلة قد حولت . فمالوا كما هم نحو القبلة »[3] .

وروى عن مسلم أيضًا فى صحيحه بسنده - عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « بينما الناس فى صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة ، وقد أمر أن يستقبل القبلة ، فاستقبلوها ، وكـانت وجوههـم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة »[4] .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة : باب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

فرض صيام شهر رمضان وزكاة الفطر وسنة صلاة العيد وشرعت الزكاة فى الإسلام

فى أوائل شهر شعبان من السنة الثانية فرض الله تعالى صوم شهر رمضان ، روى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها ، والواقدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أنه نزل فرض شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مهاجر رسول الله ﷺ .

وكان النبى ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء- اليوم العاشر من المحرم - فسألهم عن سبب ذلك فقالوا : هذا اليوم الذى خلص الله تعالى فيه موسى عليه السلام من جوف الحوت .. فصامه موسى شكرًا لله ، فقال النبى ﷺ : « نحن أولى بموسى منكم » فصامه وأمر المسلمين بصيامه ، فلما فرض صوم رمضان أصبح صيام عاشوراء غير واجب فمن شاء صامه ومن شاء أفطره .

وفرض الله الصيام بقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

والصوم ركن من أركان الإسلام ، ومن فضله تزكية النفوس ، والعطف على الفقراء ، وتعويد النفس على الصبر والتحمل ومواجهة الشدائد ، وعن طريقه تكون المغفرة ومرضاة الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ١٨٣ ، ١٨٤ .

وفى رمضان من نفس العام شرع الله سبحانه وتعالى زكاة الفطر من رمضان ، وذلك قبل أن تفرض من الزكاة فى الأموال ، طعمة للفقراء والمساكين ، وطهرة للصائم من اللغو والرفث ، وتخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى من المسلمين ، صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو مدان من بر.

وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال : « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين » .

وكان ﷺ يخطب قبل الفطر بيومين ، فيأمر بإخراجها قبل أن يغدو إلى المصلى ، وقال : أغنوهم - يعنى المساكين - عن السؤال فى هذا اليوم ، وكان يقسمها إذا رجع .

وفى هذه السنة صلى رسول الله ﷺ صلاة العيد يوم الفطر ، فكانت أول صلاة عيد صلاها، وكان ﷺ يجعل العنزة(١) بين يديه فى الأعياد(٢) وكانت العنزة للزبير بن العوام ، قدم بها من أرض الحبشة فأعطاها للنبى ﷺ .

وشرعت الزكاة فى السنة الثانية أيضًا وهى ركن من أركان الإسلام ، وشرعت بعد زكاة الفطر فقد روى الحاكم والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة من

---

(١) العنزة : الحربة .

(٢) فتح البارى ١/٤٥٥ .

حديث قيس بن سعد بن عبادة قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة ، ثم نزلت فريضة الزكاة ، فلم يأمرنا و لم ينهنا ونحن نفعله »[١] .

ففى أول شهر صامه المسلمون لأول مرة ، فرضت زكاة المال وقبلها زكاة الفطر قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٢] ، وقال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾[٣] .

والزكاة كما شرعها الإسلام حق للفقير فى مال الغنى ، وهذا يدل على المساواة والعدالة الاجتماعية والتكافل فى ظل المجتمع الإسلامى الذى أرسى دعائمه رسول الله ﷺ .

---

(١) قال ابن حجر فى الفتح ٢٠٧/٣ : إسناده صحيح .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٣ .

(٣) سورة الأعلى الآيتان ١٤ ، ١٥ .

غزوة بدر الكبرى([1])

سمع رسـول الله ﷺ بأبى سفيان بن حرب مقبلاً من الشام فى عير لقريـش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون من قريش.

وهى تلك العير التى أفلت بها أبو سفيان ، وكانت تبلـغ ألـف بعـير ، فيهـا معظم أموال قريش ، وهى التى خرج للقائها فى غزوة العشيرة .

فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك ، ندب أصحابـه إلى الخـروج وقـال : هـذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعـل الله ينفلكموهـا([2]) ، فـانتدب النـاس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا ، وقوى عندهم هذا الظن أن الرسول قال : « من كان ظهره حاضرًا فليركب معنا، و لم ينتظر من كان ظهره غائبًا .

خرج رسول الله ﷺ لثلاث وقيل لثمان ليال خلـون مـن رمضـان ، وكـان معه ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، منهم نيـف وأربعـون ومائتـان مـن الأنصـار ، والباقى من المهاجرين .

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن البراء بن عـازب رضـى الله عنهمـا قال : « أستصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بـدر نيفًـا علـى

---

(١) بدر : هو موضع بين مكة والمدينة ، وهى إلى المدينة أقرب ، وهو موضع الغزوة المشهورة ، وهو عبارة عن ماء معروف ، وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة. وقال ابن قتيبة : بدر : بئر كانت لرجل يسمى بدرًا فسميت باسمه ، وقال بعـض العلمـاء : كانت لرجل من بنى غفار ، وكان به سوق تقام كل سنة ثمانية أيام .

(٢) أى يجعلها غنيمة لكم .

ستين ، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين »([1]) ، ولم يتخلف من المهاجرين إلا عثمان بن عفان رضى الله عنه لتمريض زوجته السيدة رقية بنت ﷺ ، فقد اشتد عليها المرض .

وأخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة»([2]) .

وقبل خروجه ﷺ وأصحابه شاور أصحابه فى الخروج عندما علم بإقبال أبى سفيان والعير ، أخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : « أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة ، فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، قال : فندب رسول الله الناس فانطلقوا ... »([3]) .

وكان أبو سفيان - حين دنا من الحجاز - يتحسس الأخبار ، ويسأل من لقى من الركبان ، تخوفًا على أمر الناس ، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر من ذلك ، فأستأجر رجلاً([4]) بعثه

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عدة أصحاب بدر .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عدة أصحاب بدر .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب غزوة بدر .
وأحمد فى المسند ١٨٨/٣ ، ٢٢٨/٤ ، ٢٩/٦ .

(٤) هو ضمضم بن عمرو الغفارى .

إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشًا فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها فى أصحابه .

فخرج الرجل سريعًا إلى مكة فلما بلغها صرخ ببطن الوادى : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة(١) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث .

وما لبث أبو جهل حين سمعه أن صاح بالناس من عند الكعبة يستنفرهم ، فتجهز الناس سراعًا ، فكانوا بين رجلين ، إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب بعث مكانه آخر .

خروج رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر :

وخرج رسول الله ﷺ لثمان ليال خلون من شهر رمضان ، واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة ، ثم رد أبا لبابة بن الروحاء واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير .

وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع على بن ابى طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ ، وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيرًا ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب ، ومرثد الغنوى .. يعتقبون بعيرًا .

وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة وأنسه يتعاقبون بعيرًا .

---

(١) اللطيمة : الأبل التى تحمل التجارة .

وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرًا ، وكانت رآية الأنصار مع سعد بن معاذ .

روى الحاكم فى المستدرك بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه : « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله ﷺ ، قال : وقال : وكانت عقبة رسول الله ﷺ قال : فقالاً : نحن نمشى عنك فقال : رسول الله ﷺ : « وما أنتما بأقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما »(١) .

فسلك ﷺ وأصحابه طريقه من المدينة إلى مكة على ثقب المدينة ، ثم على العتيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم مر على تريان(٢) ثم على غمس الحمام ، ثم على صخيرات اليمام ثم على السيالة ، ثم على فج الروحاء ، ثم على شنوكة - وهى الطريق المعتدلة - حتى إذا حلوا بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرًا .

وعند وادى يقال له الروحاء علم النبى ﷺ عن فرار أبى سفيان بالعير وعن قريش ومسيرهم فى جيش كبير لمنع العير وحمايتها .

وقد كانت قريش قد علمت عن نجاة العير من أيدى المسلمين وأن أبى سفيان قد ساحل بالعير فى طريق غير معتاد ، فنجا ، وأرسل إلى قريش يعلمهم

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢٠/٣ ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

وأحمد فى المسند ٤١١/١ ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦٩/٦ ، رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) تريان : واد بين الحفير والمدينة .

بذلك ويشير عليهم بالرجوع ، فأبى أبا لهب ذلك وقال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرًا ، فنقيم عليها ثلاثًا ، ننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدًا ، فامضوا » .

ثم نزل النبى ﷺ « سجسج » ثم « المنصرف » ثم ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين يريد بدرًا ، حتى إذا كان قريبًا من « الصفراء » بعث باثنين من رجاله إلى بدر يتحسسان له الأخبار .

ولما كان المسلمون على مقربة من بدر ، ركب رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وبلغا شيخًا من العرب يقال له سفيان الضمرى فسأله الرسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه فقال : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال : أو ذاك بذاك ؟ فقال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى جمع به الرسول ﷺ ، وبلغنى أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به قريش فلما فرغ قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نحن من ماء »(١) ثم انصرفا عنه ، فقال الشيخ : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ .

ثم رجع رسول الله ﷺ وصاحبه إلى أصحابه ثم بعث بعد ذلك على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، فى نفر إلى ماء بدر للتعرف

---

(١) ماء : من التورية تحتمل معنيين أحدهما قريب ، وهو المكان المعروف بهذا الاسم والآخر بعيد وهو الماء الذى خلق منه كل إنسان .

على الأخبار ، فأصابوا إبلاً لقريش يستسقى عليها غلامان فأتوا بهما ورسول ﷺ يصلى ، فقالا : نحن سقاة لقريش بعثنا نسقيهم الماء ، فكرة القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان ، فضربوهما فلما أوجعوهما قالا : نحن لأبى سفيان، فتركوهما ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قال : إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموها صدقا والله أنهما لقريش .

ثم قال لهما : اخبرانى عن قريش ؟ فقالا : هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى . قال الرسول ﷺ : كم ينحرون كل يوم ؟ قالاً : يومًا تسعًا ، ويومًا عشرًا .

قال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسعمائة والألف » ، فقال لهما : ممن فيهم من أشراف قريش ؟

فذكرا عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبا جهل ، وأمية بن خلف وسهل بن عمرو وآخرين من صناديد قريش .

فأقبل رسول الله ﷺ إلى أصحابه قائلاً : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

استشارة النبى ﷺ أصحابه فى القتال :

هذه هى المشاورة الثانية من رسول الله ﷺ لأصحابه ، الأولى كانت فى المدينة عندما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام بعير قريش فندب الناس للخروج لاعتراض هذه العير والاستيلاء عليها .

والثانية كانت بمثابة اختبار لإيمان المسلمين ، وليبين ﷺ للأمة الإسلامية أهمية مبدأ الشورى ، وكانت الاستشارة هذه المرة على القتال .

ويقول الحافظ ابن حجر - فى الفتح(١) - « ويمكن الجمع بأن النبى ﷺ استشارهم فى غزو بدر مرتين : الأولى : وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبى سفيان ، وذلك بين فى رواية مسلم ولفظه : « أن النبى ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان » والثانية كانت بعد أن خرج » .

فى المرة الثانية : استشار النبى ﷺ أصحابه فى القتال ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن الكلام ، وقام عمر فقال وأحسن الكلام ، ثم قام المقداد بن الأسود فقال : « يا رسول الله امضى لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون(٢) ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد(٣) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، فقال له رسول الله خيرًا ودعا له .

ثم قال رسول الله : « أشيروا على أيها الناس » ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول

---

(١) فتح البارى ٢٨٨/٧ .

(٢) وفى رواية البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ .
عن ابن مسعود أيضًا بلفظ « ... ولكنا نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ... » .

(٣) برك الغمام : موضع فى طريق اليمن على خمس ليال من مكة ، وهو أقصى حجز .

الله : إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنـا ، فـإذا وصلـت إلينـا ، فـأنت فـى ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أباءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخـوف ألا تكـون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينـة مـن عـدوه ، وأن ليـس عليهـم أن يسير بهم إلى عدو فى بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال سعد بن معـاذ : والله لكـأنك تريدنـا يا رسول الله ؟ قال : « أجل » ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشـهدنا أن مـا جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ونحن معك ، فوالذى بعثك بالحق ، لـو اسـتعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلـف منـا رجـل واحـد ، ومـا نكـره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منـا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، إن الله تعالى قد وعدنـى إحـدى الطـائفتين ، والله لكأنى انظر إلى مصارع القوم » .

مسيرة المسلمين إلى بدر :

وسار المسلمون حتى نزلوا بعدوة الوادى الدنيا(١) ، وكان نزولهم بعيدًا عن الماء ، فى أرض سبخه لا تثبت فيها الأقدام ، وأصبح القوم وقد ظمئـوا ، والبعـض أحدث وأصبح الآخر جنبًا ، وحاول الشيطان أن يوسوس لهـم ويلقـى الشـك فـى بعض النفـوس قـائلاً : مـا ينتظـر المشـركون منكـم إلا أن يقطـع العطـش رقـابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم .

---

(١) العدوة الدنيا : أى جانب الوادى القريبة من المدينة .

وهنا تجلت عناية الله سبحانه وتعالى ، وأبطل كيد الشيطان ومَنّ على المسلمين فأرسل السماء عليهم مدرارًا ، فشربوا وتوضأوا واغتسلوا ، وملأوا الأسقية. ولبد المطر الأرض ، فثبتت عليها الأقدام ، وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾(١) .

وفى الوقت نفسه كان هذا المطر نقمة على المشركين حيث وحل الأرض تحت أقدامهم .

حكمة الحباب بن المنذر ومشورة سعد بن معاذ :

لما نزل رسول الله ﷺ هذا المكان الذى نزله وأصحابه قال الحباب بن المنذر الخزرجى لرسول الله ﷺ : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال الرسول : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » ، فقال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضًا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله : « لقد أشرت على بالرأى » وأخذ بمشورة الحباب ، كما أشار سعد بن معاذ الأوسى قائلاً : « يا نبى الله ألا نبنى لك عريشًا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم دنيا ويناصحونك ويجاهدون معك » .

فأثنى عليه الرسول ﷺ خيرًا وبنى له العريش على تل يشرف على ميدان القتال وكان فيه معه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه .

---

(١) سورة الأنفال الآية ١١ .

تأهب واستعداد المسلمين وللقاء المشركين

وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تنحدر من وراء الكثيب إلى الوادى قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ، وفخرها ، تحادك، وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم الغداة»(١).

وفى الصباح صف النبى ﷺ جنوده استعدادًا للقاء المشركين ، ووقف الجيشان وجهًا إلى وجه ، فلما رأى رسول الله ﷺ عتبة بن ربيعة فى القوم وهو على جمل أحمر قال : « إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا » .

وكان عتبة ينهى عن القتال ويقول : « يا قوم أطيعونى فى هؤلاء القوم ، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك فى قلوبكم ، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه ، وقاتل أبيه، فاجعلوا حقها برأسى وارجعوا ، فقال أبو جهل : انتفخ والله سحره حين رأى محمدًا وأصحابه ، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ، ولو قد التقينا ، فقال عتبة : ستعلم من الجبان المفسد لقومه ، أما والله إنى لأرى قومًا يضربونكم ضربًا، أما ترون كأن رؤسهم الأفاعى ، وكأن وجوهم السيوف ، ثم دعا أخاه وابنه ، فخرج يمشى بينهما ، ودعا بالمبارزة »(٢) .

وكان رسول الله ﷺ قد رأى فى من منامه - ليلة اليوم الذى التقى فيه الجيشان - المشركين قليلاً عددهم ، كى يجرؤوا عليهم ولا يهابوهم ، قال تعالى :

---

(١) أحنهم : من الحين أى الهلاك .

(٢) هذا الحديث رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/٦ للبزار وقال : رجاله ثقات .

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِى الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(١) .

كما شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته أن يقلل المشركين في أعين المسلمين ، ويقلل المسلمين فى أعين المشركين كى يتجرأ كل فريق فتقع المعركة ، ويكون النصر والعزة للمسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾(٢) .

وأخبر النبى ﷺ أصحابه بما رآه فى منامه ، فكان تثبيتًا لهم ، ولو أراه إياهم كثيرًا ربما اختلفوا فيما بينهم أو خافوا منهم .

والحكمة من تقليل عدد المشركين فى أعين المسلمين ، ويقلل عدد للمسلمين فى أعين المشركين كى يتجرأ الجيشان ، وتقع المعركة ، فيكون النصر للمسين ، والهزيمة للمشركين .

وروى عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى إنى لأقول للرجل إلى جنبى : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه فقال : كنا ألفًا .

وفى يوم اللقاء يوم التقى الجمعان ، أخذ رسول الله ﷺ ينظم صفوف المقاتلين من المسلمين ، ويقوى عزيمتهم ويقول : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صالحًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٤ .

وقبيل المعركة خرج من صفوف المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومى وقال : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمته ، أو لأموتن دونه » وتقدم نحو الحوض ، فعاجله حمزة بن عبد المطلب بضربة قطع بها نصف ساقه ، فوقع على الأرض وصار يزحف نحو الحوض ، يريد على زعمه أن تبر يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، وطلبوا المبارزة ، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار : عوف ومعوذ ابنا الحارث ، وعبد الله بن رواحه فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار . قالوا : مالنا بكم حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا على ، فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال على : على ، قالوا : نعم ، أكفاء كرام .

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فذففا عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه ثم ما لبث عبيدة أن توفى بعد من جراحته ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنك شهيد » .

وقد أنزل الله سبحانك وتعال فى شأن الفريقين المتبارزين : ﴿ هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾(١) .

---

(١) سورة الحج الآية ١٩ .

وبعد المبارزة ، وقف النبى ﷺ ينظم الصفوف ، ويعد لها بقضيب كان فى يده فمر بسواد بن غزية حليف بنى النجار ، وكان خارجًا عن الصف فطعن فى بطنه بالقضيب وقال : « استقم يا سواد » فقال : يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدنى – أى مكنى لأقتص – فكشف له رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : « استقد يا سواد » فاعتنقه سواد ، وقبل بطنه ، فقال له الرسول ﷺ : « وما حملك على هذا يا سواد » ، قال : يا رسول الله حضر ما ترى – يعنى موطن الشهادة – فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له الرسول بخير .

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله ﷺ فى العريش ، معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

وعاد رسول الله ﷺ إلى العريش ، فدخله ومعه أبو بكر ، فقام رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول : « اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم » ، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : « يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك » .

وأخذت النبى ﷺ سنة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع»، وأنزل الله عز وجل: ﴿ إِذ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاستَجَابَ لَكُم أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُردِفِينَ ﴾(١).

---

(١) سورة الأنفال الآية ٩ .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم على القتال وقال : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلاً فله سلبه » .

وكذلك وعدهم بالخلود فى الجنة فقال : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « .. فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يقدمن أحد منكم إلى شىء ، حتى أكون أنا دونه » فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » .

قال : يقول عمير بن الحمام الأنصارى : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : « نعم » قال : بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال : لا : والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون أهلها ، قال : « فإنك من أهلها » ، فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل فيهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه أنها لحياة طويلة ، قال : فرمى بما كان معه من الثمر ، ثم قاتلهم حتى قتل »([1]) .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب ثبوت الجنة للشهيد .
والحاكم فى المستدرك ٤٢٦/٣ .
وأحمد فى مسنده ١٣٦/٣ - ١٣٧
والبيهقى فى السنن ٤٣/٩ .

ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنه من الحصباء فاستقبل قريشًا بها ثم قال : «شاهت الوجوه» ثم نفخهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « شدوا » فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم ، فقتل سبعون ، وأسر سبعون ، ولم تزد خسارة المسلمين يوم بدر عن أربعة عشر شهيدًا ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

مشاركة الملائكة يوم بدر :

شاركت الملائكة يوم بدر ، فنزلت إلى الأرض تثبت قلوب الذين آمنوا وتلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، قال عز وجل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾(٢) .

وأخرج مسلم(٣) فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه قال : « بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى إثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم . فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا ، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط

(١) سورة الأنفال الآتيان : ٩ ، ١٠ .

(٢) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد : باب الإمداد بالملائكة .

فاحضر ذلك ، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » .

وأخرج البخارى[١] فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضًا قال : « إن النبى ﷺ قال يوم بدر : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب » .

وأخرج أبو داود[٢] فى سننه بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا ، فقال العباس : يا رسول الله إن هذا والله ما أسرنى ، لقد أسرنى رجل أجلح من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق ما أراه فى القوم ، فقال الأنصارى : أنا أسرته يا رسول الله ، فقال : « اسكت فقد أيدك الله بملك كريم » .

وفى مشاركة الملائكة يوم بدر ، قال الحافظ ابن حجر[٣] : « قال الشيخ تقى الدين السبكى : سئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ؟ فقلت : وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى ﷺ وأصحابه ، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيش ، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التى أجراها الله تعالى فى عباده ، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم ».

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب فضل من شهد بدرًا .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى المبارزة .

(٣) فى فتح البارى ٣١٣/٧ .

إلقاء قتلى المشركين فى القليب(١) :

أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا فى القليب ، فجمعوهم وطرحوهم فيه ، إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزايل لحمه، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة .

أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن أبى طلحة رضى الله عنه : « أن نبى الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث ، أمر براحلته فشدت عليها رحالها ، ثم مشى وأتبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفى الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : « يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وجدنا ربنا حقًا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا » قال : فقال عمر: يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتاده : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخًا وتصغيرًا ونقيمة وحسرة وندمًا(٢) .

---

(١) القليب : البئر التى لم تبن جوانبها بالطوب فانهارت .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب قتل أبى جهل .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

زيد بن حارثة والبشرى بالنصر :

بعث رسول الله ﷺ عند النصر مبشرين إلى المدينة : عبد الله بن رواحه لأهل العالية ، بشيرًا بما فتح الله على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين . وزيد بن حارثه لأهل المدينة راكبًا على ناقة رسول الله ﷺ ، فتلقاهم الرجال والصبيان ، طافوا بالمدينة يهللون ويكبرون على هذا النصر العظيم ، وجاءت البشرى بالنصر فى بدر والمسلمون منصرفون من دفن السيدة رقية ابنة رسول الله ﷺ ، زوجة عثمان بن عفان .

منزلة من شهد بدرًا من الصحابة :

جعل الله سبحانه وتعالى من المنزلة والمكانة فى الدنيا والآخرة لأهل بدر ، ما ليس لغيرهم ، وذلك لما قدموه من التضحيات ، وما كان لهذه الموقعة من أثر فى نفوس المسلمين وفى نشر الإسلام وقد جاءت أحاديث كثيرة فى فضائل أهل بدر منها :

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن رفاعه بن رافع الذرقى رضى الله عنه قال : « جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » وكلمة نحوها - قال : « وكذلك ما شهد بدرًا من الملائكة »(١) .

وأخرج البخارى أيضًا بسنده عن على بن أبى طالب فى قصة حاطب بن أبى بلتعه ، وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح يخبرهم فيه بعزم رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخارى ، كتاب المغازى : باب شهود الملائكة بدرًا .

على قصد مكة ، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ فى ضرب عنقه ، لأنه قد خان الله ورسوله ، فقال له الرسول : « أليس من أهل بدر ؟ لعل الله أطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم » فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم[١] .

وأخرج مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل النار رجل شهد بدرًا أو الحديبية »[٢] .

وأخرج البخارى بسنده عن حميد قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى ، فإن يكن فى الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع ، فقال : « ويحك ، أو جنة واحدة هى ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه فى جنة الفردوس » وفى رواية : « إن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيه ، كتاب المغازى : باب فضل من شهد بدرًا .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فى فضائل الصحابة : باب أهل الشجرة .
والترمذى فى سننه ، كتاب المناقب . وقال حسن صحيح .

موقف رسول الله ﷺ من أسرى بدر

وكان عدد أسرى بدر سبعون أسيرًا ، وقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه بعد أن أتم الله عليهم نعمة النصر ، في أمر الأسرى من المشركين ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، قد كذبوك وقاتلوك ، وأخرجوك ، فاضرب أعناقهم فهم رؤس الكفر وأئمة الضلاله .. ووافقه على ذلك جماعة من الصحابة ، وقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك ، وإنى أرى أن تأخذ منهم الفداء ، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا .

فدخل رسول الله ﷺ و لم يرد عليهم شيئًا ، ومكث قليلاً ثم خرج إلى الصحابة قائلاً : « إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١) ، وكمثل عيسى قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾(٢) ، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إلا فَاجِرًا كَفَارًا ﴾(٣) ، وكمثل موسى قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِم ، وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِم ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾(٤) ، أنتم اليوم عالة ، فلا يفلتن أحد إلا بفداء أو ضربة عنق » .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٨ .

(٣) سورة نوح الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) سورة يونس الآية ٨٨ .

ثم أخذ رسول الله ﷺ برأى أبى بكر رضى الله عنه ، وترك رأى عمر ، وقبل الفداء من الأسرى ، فنزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِي أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى حَتَّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّولَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

وكان ذلك عتابًا من الله لرسوله وتبيانًا للمنهج القويم الذى كان يجب أن يسير عليه ، لا سيما بعد أن كتب الله سبحانه وتعالى للإسلام وللمسلمين النصر المؤزر وصدق الله تعالى وعده بنصر المؤمنين ﴿ وَلَيَنصُرَن اللهُ مَن يَنصُرُه إِنَ اللهَ لَقَوِىٌ عَزِيزٌ ﴾ .

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى رواه عنه ابن عباس رضى الله عنهما قال : « فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين، قال أبو زميل : قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر وعلى عمر ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال : أبو بكر : يا نبى الله: هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام . فقال رسول الله : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال: لا والله ، يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان (نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ إلى ما قال أبو بكر و لم يهو ما قلت . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان . قلت : يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبتك ، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما »

---

(١) سورة الأنفال الآيتان : ٦٧ ، ٦٨ .

فقال رسول الله ﷺ : « أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من النبى ﷺ وأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

وكانت قيمة فداء أسرى بدر أربعة آلاف درهم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « فأدى رسول الله ﷺ أسارى بدر ، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف »(٢) .

وكذلك كان تكليف من لا يجد فداء بتعليم أبناء المسلمين ، روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال : فجاء يومًا غلام يبكى إلى أبيه فقال : ما شأنك ؟ فقال : ضربنى معلمى ، قال : الخبيث يطلب بذحل(٣) بدر والله لا تأتيه أبدًا »(٤) .

ومن لم يكن يعرف القراءة والكتابة منوا عليه كأبى عزة الشاعر ، والمطلب ابن حنطب المخزومى ، أسره بعض بنى الحارث ابن الخزرج ، فترك فى أيديهم حتى خلوا سبيله فلحق بقومه .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسيرة : باب الإمداد بالملائكة .
وأحمد فى مسنده ١/٣٠ ، ٣١ .

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/٩٠ ونسبه للطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط وقال : رجاله رجال الصحيح .

(٣) ذحل بدر : ثأر بدر .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٤/٤٧ ، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح .

أما عن معاملة المسلمين لأسرى بدر ، فهى تلك المعاملة الحسنة التى لم يشهد تاريخ البشرية مثلها إلا ما حدث من المسلمين للأسرى ، روى ابن اسحاق عن نبيه بن وهب : إن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم على أصحابه وقال : استوصوا بالأسارى خيرًا . قال : وكان أبو عزيز بن عمير أخو مصعب فى الأسارى . قال : فقال أبو عزيز : مَرَّ بى أخى مصعب - ورجل من الأنصار يأسرنى - فقال : شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع ، لعلها تفديه منك . قال : وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها . قال : فاستحيى فأردها على أحدهم ، فيردها على ما يمسها .

غنائم بدر وقسمتها :

لما أراد المسلمون أن يقتسموا الغنائم التى فاء الله بها عليهم يوم بدر ، اختلفوا ، فقال الشباب الذين خرجوا يتعقبون الكفار : والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم .

وقال الذين جمعوا الغنائم : هى لنا ، نحن الذين استحوذنا عليها وليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين يحرسون رسول الله ﷺ ونافحوا دونه : نحن خفنا على رسول الله ﷺ أن يصيب منه العدو غرة ، فاشتغلنا به عن جمع الغنائم ، فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ : ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١) .

---

(١) سورة الأنفال الآية ١ .

نزلت هذه الآية بعد اختلاف المسلمين فى الغنائم .. وقد روى عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو ، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون ، فأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حونياهم وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو : لستم بأحق بها منا ، نفينا العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : لستم بأحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ﴾ فقسمها رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين »(١) .

وقسمت الغنائم : خمس لرسول الله ﷺ ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وأربعة أخماس للمجاهدين، وجاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَاعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمتُم مِنَ شَيءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرسُولَ ولذِى القُربَى واليَتامَى والمسَاكِينِ وابنِ السَبيلِ ﴾(٢).

سرية عمير بن عدى الخطمى

بطل هذه السرية عمير بن عدى الخطمى الضرير ، إلى عصماء بنت مروان، كانت تعيب الإسلام ، وتؤذى رسول الله ﷺ ، وتحرض عليه بقول الشعر .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٣٥/٢ ، ١٣٦ ،وقال : على شرط مسلم وأقره الذهبى .
وأحمد فى المسنده/٣٢٤ ، وأورد الهيثمى فى المجمع ٩٢/٦ وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤١ .

قد سمعها عمير وهى تهجو المسلمين خلال المعركة فى بدر ، فنذر إذا عاد رسول الله ﷺ منتصرا من بدر ليستأذنه فيقتلها ، فعندما عاد ، ذهب إليها ليلاً وهى نائمة بين أولادها .. فتحسس مكانها فقتلها ، ثم صلى الصبح مع النبى ﷺ بالمدينة وأخبره بذلك فقال : « لا ينتطح فيها عنزان »(١) .

غزوة قرقرة الكدر

خرج رسول الله ﷺ بعد بدر بسبعة أيام ، ويقال : فى نصف المحرم سنة ثلاث ، ويقال لست خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة(٢) .

خرج رسول الله ﷺ يريد بنى سليم ، وذلك بعد أن استخلف على المدينة سباع بن عرفطة ، وللصلاة : عبد الله بن أم مكتوم ، وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان اللواء أبيض ، وسار إليهم رسول الله ﷺ فبلغ ماء يقال له الكدر ، فأقام بها ثلاثة أيام ، و لم يعترضه أحد بحرب ، إلا أنه وجد من غنائمهم نحو خمسمائه بعير . فاستاقها صحابته ، ولما بلغوا موضع (ضرار) أخرج خمسها ، وقسم اربعة أخماسها على المسلمين ، ثم عادوا إلى المدينة . ويقال : كانت غيبته خمس عشرة ليلة .

سرية سالم بن عمير

إلى أبى عفك اليهودى ، وكان شيخًا كبيرًا ، يقول الشعر ، ويحرض على النبى ﷺ وأصحابه ، بعث إليه رسول الله ﷺ سالم بن عمير الأوسى الأنصارى ، فأقبل إليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش فى الفراش ، ثم قتله.

---

(١) لا ينتطح فيها عنزان: هذا من الكلام الموجز البديع ، ومعناه : أى لا يعارض فيها معارض، ولا يسأل عنها ، فإنها هدر . راجع النهاية فى غريب الحديث ٧٤/٥ .

(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى للحافظ مغلطاى بن قليج ص ٢١٨ .

زواج على وفاطمة رضوان الله عليهما

في السنة الثانية من الهجرة ، بعد غزوة بدر ، وذلك لما رواه البخارى ومسلم(١) من حديث على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر ، وكان النبى ﷺ أعطانى مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتنى بفاطمة بنت النبى ﷺ ، واعدت رجلاً صواغًا في بنى قينقاع أن يرتحل معى فتأتى بإذخر ، فأردت أن أبيعه من الصواغين فنستعين به في وليمة العرس ، فبينما أنا أجمع لشارفى من الأقتاب والغرائر والحبال، وشارفاى مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشار في قد أجبت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذت من أكبادهما ، فلما أملك عينى حين رأيت المنظر قلت : من فعل هذا ؟ قالوا : حمزة بن عبد المطلب .. » فذكر الحديث .

وفى خطبة السيدة فاطمة رضى الله عنها روى البيهقى(٢) عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال : « خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت مولاة لى : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا ، قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت : أو عندى شيء أتزوج به ؟ فقالت : إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك .

قال : فوالله مازلت ترجينى حتى دخلت على رسول الله ، فلما أن قعدت بين يده أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلال وهيبة .

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب المغازى ومسلم في كتاب الأشربة .

(٢) البيهقى في الدلائل ٣/١٦٠ باسناد حسن .

فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت ، فقال: « لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ » فقلت : نعم ، فقال : « وهل عندك من شيء تستحلها به؟ » فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال : « ما فعلت درع سلحتكها ؟ » .

فو الذى نفس على بيده إنها لحطمية ما قميتها أربعة دراهم ، فقلت : عندى . فقال : « قدزوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها » فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

أما عن جهازها ، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده[١] من حديث على رضى الله عنه قال : « جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميل[٢] وقربة ووسادة أدم[٣] حشوها أذخر[٤] » .

وأنجبت السيدة فاطمة رضى الله عنها لعلى رضى الله عنه الحسن والحسين ومحسنًا ، وأم كلثوم ، وزينب رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ١٤/١ ، ورجاله ثقات .

وابن ماجه فى سننه ، كتاب الزهد : باب ضجاع آل محمد .

(٢) خميل : قطيفة .

(٣) أدم : جلد .

(٤) أذخر : بنات طيب الرائحة .

غزوة قينقاع(١)

كانت هذه الغزوة يوم السبت ، نصف شوال ، على رأس عشرين شهرًا من الهجرة ، وقد كانت الكفار بعد الهجرة على ثلاثة أقسام : قسم وادعهم عليه ﷺ، على أن لا يحاربوه ، ولا يألبوا عليه عدو ، وهم طوائف اليهود الثلاثة : قريظة والنضير وقينقاع .

وقسم : حاربوه ، ونصبوا له العداوة كقريش ، ومن انضم معهم من القبائل .

وقسم : تركوه وانتظروا ما يؤول إليه أمره كطوائف العرب ، فمنهم من كان يحب ظهوره فى الباطن ، كخزاعة ، ومنهم من كان يعكس ذلك كبنى بكر، ومنهم من كان معه فى الظاهر ومع عدوة فى الباطن ، وهم المنافقون .

وكان انتصار المسلمين فى غزوة بدر محركًا للأحقاد والشر فى نفوس الأعداء لاسيما اليهود ، وصاروا يرجفون فى المدينة فأخذوا يتكلمون فى رسول الله ﷺ ، وفى المسلمين ويطعنون عليهم ويتربصون بهم الدوائر .

فرأى رسول الله ﷺ أن يعظهم ويدعوهم إلى ترك المعاندة وإضمار الشر بالمسلمين ، كما يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام .

فقد أخرج أبو داود بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع ثم قال :

---

(١) بنو قينقاع : بطن من يهود المدينة ، لهم شجاع وصبر ، وكانوا حلفاء عبد الله بن أبى سلول ، وهم أول يهود نقضوا العهد .

يا معشر اليهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ، قالوا : يا محمد إنك ترى أنا قومك ، فلا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

ثم قال ابن عباس : فأنزل هؤلاء الآيات إلا فيهم(١) ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾(٢) .

وكان يهود بني قينقاع أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وبدأوا المسلمين بالشر والعدوان ، وذلك أن امرأة من نساء الأنصار قدمت تجلب(٣) لها فباعته بسوق بني قينقاع ، ثم جلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًا ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على يهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج : باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة .

وذكره ابن هشام في السيرة ، بسند ابن اسحاق ، وحسن الحافظ ابن حجر إسناد ابن اسحاق ، انظر فتح الباري ٧/٣٣٢ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٣) تجلب : أي ما يجلب إلى السوق للبيع .

بينهم وبين بنى قينقاع ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾[١] .

فخرج إليهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة أبا لبابة ابن المنذر الأنصارى ، وعهد اللواء إلى حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض ، وعندما وصل إليهم النبى ﷺ والمسلمين ، حاصروهم أشد الحصار خمس عشر ليلة متتابعة لا يخرج منهم أحد ، ولا يدخل إليهم بطعام أحد ، فقذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكمة ﷺ .

وكان لبنى قينقاع حليفان : عبد الله بن أبى بن سلول المنافق ، وعبادة بن الصامت ، فأما عبد الله بن أبى فقام إلى رسول الله ﷺ حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسن فى موالى : فلم يلتفت إليه رسول الله ﷺ ، وكرر ثانية فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فأدخل يده فى جيب درعه ﷺ فقال له ﷺ : أرسلنى ، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجه الشريف ظللاً فقال له رسول الله : « ويحك !! أرسلنى » قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى : أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ؟ إنى والله أمرؤ أخشى الدوائر . فقال له رسول الله ﷺ : هم لك ، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، ولهم النساء والذرية ، وللمسلمين الأموال.

فشدت أكتافهم وأخرجوا ، ثم أمر رسول الله ﷺ المنذر بن قدامه الأنصارى بحلهم، وأمر أن يجلوا من المدينة فلحقوا بأذرعات من جهة الشام ، فما كان أقل بقاؤهم بها ، لأنهم هلكوا ، وغنم المسلمون من حصونهم سلاحًا وآلات كثيرة .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٨ .

فأخذ رسول الله ﷺ صفية والخمس ، وفض أربعة أخماسه على أصحابه ، وكان الذى قبض أموالهم ، محمد بن مسلمة الأنصارى .

وأما عبادة بن الصامت فقد تبرأ إلى الله ورسوله منهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، فأنزل الله تعالى فى عبادة بن الصامت وفى عبد الله بن أبى بن سلول : ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ . فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾(١) إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(٢) .

وهكذا كانت نهاية يهود بنى قينقاع ، جزاء الغدر والخيانة ، وتلك نهاية الخيانة والخائنين فى كل مكان وزمان ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

غزوة السويق(٣)

كانت فى ذى الحجة يوم الأحد لخمس خلون من ذى الحجة ، على رأس اثنتين وعشرين شهرًا من الهجرة .

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٥١ : ٥٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥ .

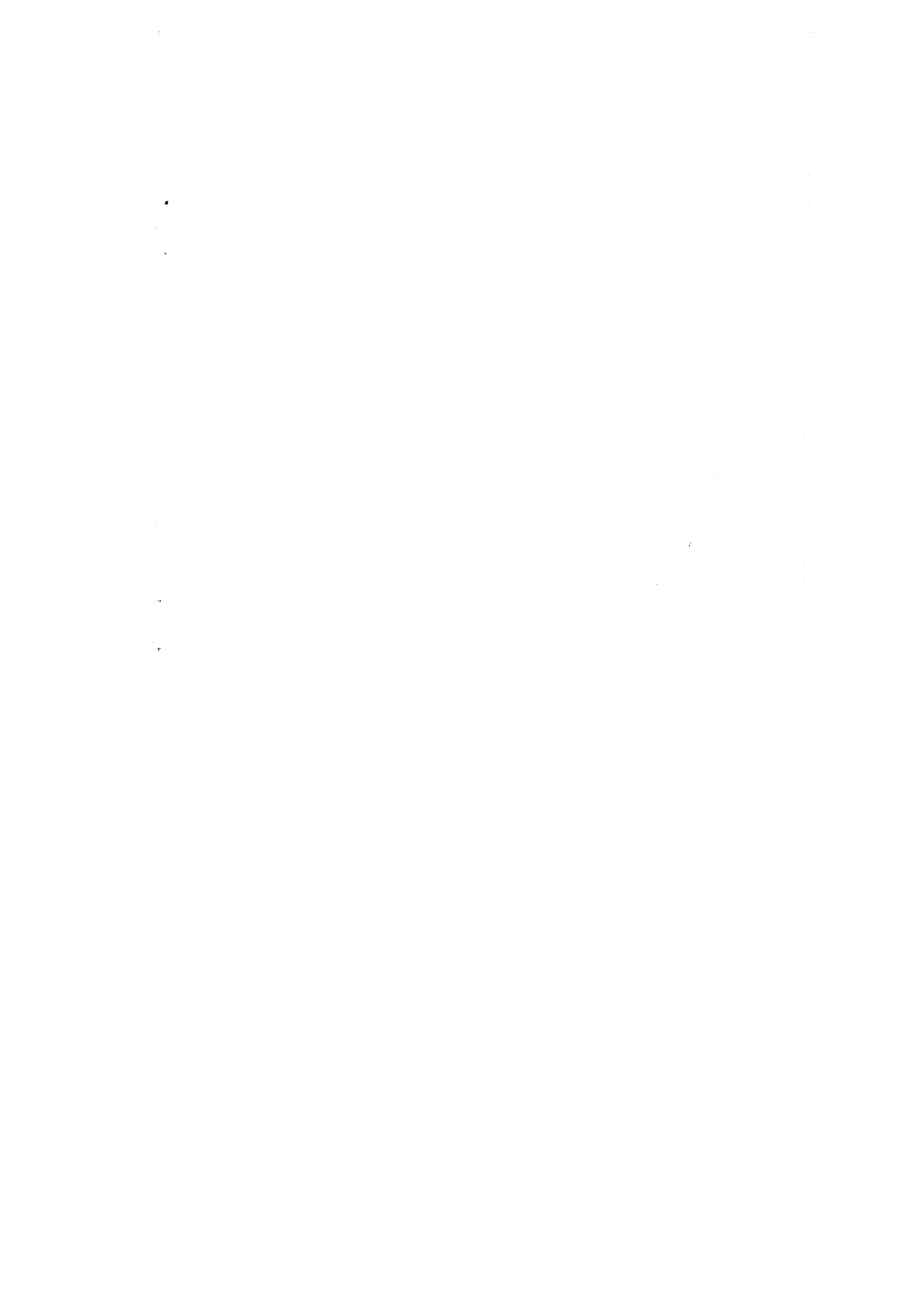
(٣) سميت بذلك لأنه كان أكثر زاد المشركين السويق ، وغنمه المسلمون ، والسويق : هو أن تحمص الحنطة والشعير أو نحوذلك ، ثم تطحن ، ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن وتلت به ، فإن لم يكن له شىء من ذلك مزج بالماء .

وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة ، نذر أن لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمدًا عليه الصلاة والسلام فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه ، حتى أتوا (العريض) على ثلاثة أميال من المدينة ، فحرقوا نخلاً ، وقتلوا رجلاً من الأنصار ، وانصرفوا راجعين ، فرأى أبو سفيان أنه قد بر بيمينه .

وخرج عليه الصلاة والسلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار ، واستخلف على المدينة أبا لبابة الأنصارى ، وجعل أبو سفيان وقومه يلقون جرب السويق تخفيفًا للهرب والنجاة ، خشية أن يدركهم النبى ﷺ وأصحابه ، فيصيبهم ما أصابهم ببدر ، فبلغ رسول الله رحيلهم و لم يدركهم ، فجمع المسلمون السويق غنيمة لهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكانت غيبته خمسة أيام ، فقال المسلمون حين رجوعهم لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : « نعم » .

الباب الرابع

أحداث العام الثالث للهجرة



الباب الرابع

أحداث العام الثالث للهجرة

سرية محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف[١]

خرج محمد بن مسلمة وأربعة معه إلى كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، أى من السنة الثالثة ، على رأس خمسة وعشرين شهرًا من مهاجرة ﷺ .

وكان كعب شاعرًا ، وكان يهجو النبى ﷺ والمسلمين ، وقد وجدوه مع من حارب من بنى قينقاع ، وعفى عنه ، ولما أصيب المشركون ببدر وبلغ كعبًا ذلك من المبشرين : زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، قال كعب : ويلكم ، أحق هذا وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ؟ وإن كان محمد قد أصاب هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها .

وكعب بن الأشرف ، كان يحرض المشركين على رسول الله ﷺ بعد غزوة بدر ، ثم يؤذى المسلمين بالتشبيب بنسائهم ... حتى انتدب له رسول الله ﷺ كلاً من : محمد ابن مسلمة ، وسلطان بن سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر ، والحارث ابن أوس بن معاذ ، بعثهم لقتله .

وسبب قتله : إيذاء كعب بن الأشرف للمسلمين بهجائه لهم فى شعره ، روى كعب بن مالك رضى الله عنه ، قال : « إن كعب بن الأشرف اليهودى

---

(١) كعب بن الأشرف ، كان يهوديًا ، وقال ابن إسحاق وغيره : كان عربيًا من بنى نبهان، وهى بطن من طىء ، جاء أبوه إلى المدينة وحالف بنى النضير وتزوج فيهم (عقيلة بنت أبى الحقيق) ، فولدت كعبًا .

كان شاعرًا ، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره ، وكان رسول الله ﷺ ، قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة والحصون ، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج ، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم ، وكان الرجل يكون مسلمًا وأبوه مشرك ، والرجل يكون مسلمًا وأخوه مشرك .

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك ، والعفو عنهم ، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾(١) .

وفيهم أنزل الله ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾(٢) .

« فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ ، وأذى المسلمين . أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا ليقتلوه ، فبعث إليه... الحديث »(٣) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء .

وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٥/٦ - ١٩٦ لأحمد في مسنده وقال : ورجاله رجال الصحيح .

وفى مقتل كعب بن الأشـرف ، روى البخـارى فـى صحيحـه بسنده عـن جابر بن عبد ا لله رضى ا لله عنهما قال : « قال رسول ا لله ﷺ : « من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد أذى ا لله ورسوله » . فقام محمد بن مسـلمة فقـال : يـا رسول ا لله أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذن لى رسول ا لله ﷺ أن أقول شيئًا. قال : « قل » . فأتاه محمد بن مسلمة فقال . إن هذا الرجل قد سـألنا صدقة، وإنه قد عنّانا ، وإنى قد أتيتك أستسلفك ، قال : وأيضًا وا لله لتملنه .

قال : إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر فى أى شىء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين - وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر (وسـقًا أو وسقين) فقلت له : فيـه (وسـقًا أو وسـقين) ، فقـال : أرى فيـه (وسـقًا أو وسقين) فقال : نعم أرهنونى ، قالوا : أى شىء تريد ؟ قال أرهنونـى نسـاءكم ، قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال : أرهنونـى أبنـاءكم ، قـالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللامة ... قال سفيان : يعنى السلاح .

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعـب مـن الرضاعـة - فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة . وقال غير عمرو : قالت أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طعنه بليل لأجاب .

قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين - قيل لسفيان : سماهم عمرو ؟ قال : سمى بعضهم ، قال عمرو : جاء معه برجلين ، وقال غير عمرو : أبو عبس ابن جبر والحارث بن أوس ، وعباد بن بشر قال عمرو جاء معه برجلين .

فقال : إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسة فدونكم فاضربوه ، قال مرة : ثم أشمكم ، فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحًا - أى أطيب - وقال غير عمرو قال : عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب . قال عمرو فقال : أتأذن لى أن أشم رأسك قال : نعم فشمه ، ثم أشم الصحابة ثم قال : أتأذن لى ؟ قال : نعم فلما استمكن منه قال : دونكم ، فقتلوه ، ثم أتوا النبى ﷺ فأخبروه »(١) .

وكان لمحمد بن مسلمة مِغْوَل(٢) فى سيفه، فوضعه فى سرته ثم تحامل عليه، فغطيه حتى انتهى إلى عانته ، فصاح وصاحت امرأته : يا آل قريظة والنضير ، مرتين ، فحز رأسه ، ورجعوا ، فلما بلغوا بقى الغرقد ، كبروا وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم ، كبر وعرف أنهم قد قتلوه ، ثم انتهوا إليه فقال : « أفلحت الوجوه » فقالوا : وجهك يا رسول الله . ورموا رأسه بين يديه فحمد الله على قتله ، فأصبحت اليهود مذعورين ، فأتوا النبى ﷺ فقالوا : قتل سيدنا غيلة فذكر لهم النبى ﷺ صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب قتل كعب بن الأشرف .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب قتل كعب بن الأشرف .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى العدو يؤخذ على حين غرة .

(٢) المِغْوَل : السكين تكون فى الصوت .

غزوة غطفان(١)

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من غطفان من بنى ثلعبة بن محارب ، تجمعوا بذى أمر يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لاثنتى عشرة مضت من ربيع الأول سنة ثلاث للهجرة ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يومًا ، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً .

فلما سمع الأعراب بمهبطه ﷺ ، هربوا فى رؤوس الجبال ، وسار المسلمون حتى وصلوا ماء لهم يسمى (ذا أمر) فعسكروا به ، وأصابهم مطر كثير ، فابتلت ثياب رسول الله ﷺ ، فنزل تحت شجرة هناك ، ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمرأى من المشركين ، وشغل المسلمون بشئوونهم ، ورأى المشركون أن ينالوا من النبى ﷺ على غرة ، فبعث المشركون رجلاً شجاعًا منهم ، يقال له غورث بن الحارث أو دعثور .

فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل ، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهورًا ، فقال : يا محمد ما يمنعك منى اليوم ؟ قال : « الله » ، فرعب الرجل ، وسقط السيف من يده ، فتناوله الرسول ورفعه ، وقال له : « من يمنعك منى » ؟ فقال الرجل : لا أحد ، فما كان من الرجل إلا أن أسلم وتعهد أن لا يكثر على النبى جمعًا ، وعاد إلى قومه، فأخبرهم الخبر ، ودعاهم إلى الإسلام ، ونزل فى ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَآ أَيُّها الذين آمَنُوا اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إذ هَمَّ قَومٌ أن يَبسُطوا إليَكُم أَيدِيَهُم فَكَفَّ أَيدِيهُم عَنكُم وَاتَّقوا اللهَ وَعلَى اللهِ فليتَوكَّلِ المؤمِنُونَ ﴾(٢) .

---

(١) هذه الغزوة تسمى أيضًا : ذات الرقاع ، وتسمى غزوة ذى أمر وتسمى غزوة أنمار .

(٢) سورة المائدة الآية ١١ .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة(١)

وقعت هذه فى السرية هلال جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة .

عمدت قريش إلى إرسال تجارتها إلى الشام عن طريق العراق ، وذلك بعدما خافت من طريقهم التى يسلكونها عادة إلى الشام لما وقع عليهم ببدر ، وبعد أن تأكدوا أن السيطرة على طريق المدينة أصبح بيد المسلمين .

وقد بلغ رسول الله ﷺ خبر هذه التجارة التى وفرت لها قريش عددًا من كباوها لحمايتها ، وكان منهم : أبو سفيان بن حرب ، وصفوان ابن أمية وغيرهما، واستجاروا بفرات بن حبان - من بنى بكر بن وائل - فخرج بهم فى الشتاء .

وسلك بهم طريق العراق ، وكانت هذه التجارة من أعظم تجارتهم فيها المال الكثير والفضة الكثيرة .

فأرسل إليهم النبى ﷺ زيد بن حارثة فى مائة راكب ، فلقيهم على ذلك الماء ، فما كادت تصل القافلة حتى هاجموها وأسر فرات بن حيان، وهرب من كانوا عليها .. فاستولوا على كامل التجارة ، وقدموا بالعير والأسير على رسول الله ﷺ ، وقد بلغ الخمس عشرين ألف درهم ، وقيل خمسة وعشرين ألف درهم ، وأما الأسير فرات بن حيان فأسلم وحسن إسلامه .

---

(١) القردة : ماء من مياه نجد .

غزوة أحد(١)

كانت الواقعة يوم السبت فى النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة ،قال الإمام مالك : كانت بعد بدر بسنة ، وعنه أيضًا : كانت على أحد وثلاثين شهرًا من الهجرة(٢) .

وسبب غزوة أحد ، لما أصيبت قريش يوم بدر ، ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناءهم ، فكلموا أبا سفيان ومن كان له فى تلك العير تجارة فقالوا : يا معشر قريش إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم ، فاعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا أن ندرك منه ثأرًا ، ففعلوا .

وفيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾(٣) .

قال أبو سفيان : أنا أول من أجيب إلى ذلك ، وتبعته بنو عبد مناف ، فباعوها ، وكانت ألف بعير ، وخمسين ألف دينار ، وبذلك أجمعت قريش على حرب رسول الله ﷺ ، وبثوا شعراءهم وخطباءهم يستنفرون القبائل لمشاركتهم فى حرب الرسول ﷺ والمسلمين .

---

(١) اسم الجبل الذى وقعت المعركة تحته ، وهو جبل بينه وبين المدينة نحو ستة أميال ، وهو شمال المدينة ، على نحو ثلاثة أميال من مسجد رسول الله ﷺ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٣/٢٠٢ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٣٦ .

وكان ممن بُعث لهذه المهمة : أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى ، يسير فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة لحرب رسول الله ﷺ ، وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب الحمجى إلى بنى مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم لحرب رسول الله ﷺ .

وكذلك اشترك فى تأليب القبائل أبو عامر الذى كان يسمى فى الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق .

ودعا جبر بن مطعم غلامًا له حبشيًا يقال له : وحشى ، كان يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطئ بها ، فقال له : أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد ، بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق ، وكانت هند - زوجة أبو سفيان - تحرضه هى الأخرى على قتل سيدنا حمزة .

فخرجت قريش بحدها وجدها وخيلها ورجالها ، وأحابيشها(١) ، ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأخرجوا معهم النساء التماس الحفيظة كى لا يفروا ، فخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة ، مع أزواجهن ، على رأسهن هند يبكين قتلى بدر ، ويحرضنهم على القتال ، وعدم الفرار .

وكان العباس بن عبد المطلب ، عم النبى ﷺ ، واقفًا على ما تدبره قريش للنبى ﷺ ، ويعلم ما صنعت من تأليب القبائل ، وجمع الجموع ، وعزمها على مهاجمة المدينة ، فكتب العباس بن عبد المطلب كتابًا يخبر الرسول ﷺ بخبرهم ،

---

(١) الأحابيش : هم الذين حالفوا قريشًا من بنى المصطلق وبنى الهون من خزيمة . اجتمعوا عند حبشى وهو جبل بأسفل مكة ، وتحالفوا على أنهم مع قريش فسموا أحابيش باسم الجبل الذى اجتمعوا عنده . وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم .

وبعثه مع رجل من بنى غفار ، وشرط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام ، فقدم على رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فقرأه عليه أبى بن كعب ، واستكتم الرسول أبيا، ونزل على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس ، فقال : والله إنى لأرجو أن يكون خيرًا ، واستكتمه الرسول أيضًا .

وقد أرجفت اليهود والمنافقون ، وشاع الخبر ، وقدم عمرو بن سالم الخزاعى فى نفر ، وقد فارقوا قريشًا من ذى طوى ، فأخبر النبى ﷺ وسالم بالخبر أيضًا وانصرفوا .

ثم أرسل النبى ﷺ أنسًا ومؤنسًا ابنى فضالة يتسنطان أخبار قريش ، فألفياها قد قاربت المدينة ، وأرسلت خيلها وإبلها ترعى زروع يثرب المحيطة بها .

كما أرسل ﷺ بعدها الحباب بن المنذر مستطلعًا ، فجاءت الرسل تؤكد ما أخبر به العباس ، وأن جيش قريش بمشارف المدينة .

خروج قريش للمعركة :

جمع أبو سفيان قريبًا من ثلاثة آلاف رجل من قريش وحلفائهم والأحابيش ، وفيهم سبعمائة دارع ، ومائتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وخمس عشرة امرأة .

ولما تم الحشد والإعداد ، خرج أبو سفيان ومن معه من مكة لخمس مضين من شوال متجهًا إلى المدنية .

وسار الجيش حتى وصلوا للأبواء ، حيث قبر السيدة آمنة بنت وهب أم المصطفى ﷺ ، وأرادوا نبشه ، والمشير عليهم بذلك هند ، قالت : لو بحثتم

قبر أم محمد فإن أسر منكم أحدًا فديتم كل إنسان بأرب من آرابها - أى جزء من أجزائها - ولكن زعماءهم أبوا ذلك وقالوا : لا يفتح هذا الباب وإلا نبش بنو بكر موتانا .

ثم تابعت قريش سيرها حتى نزلت عند بعض السفوح من جبل أحد على بعد خمسة أميال من المدينة .

وجعلت قريش على ميمنة الخيل : خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها : عكرمة بن أبى جهل . وعلى المشاة : صفوان بن أمية ، وعلى الرماة : عبد الله بن أبى ربيعة ، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبى طلحة - عبد الله ابن عبد العزى العبدرى - وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك : يا بنى عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذ زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما تخلوا بيننا وبينه فتكفيكموه ، فهموا به وتوعدوه وقالوا : نحن نسلم إليكم لواءنا ، ستعلم غدًا إذا التقينا كيف نصنع ؟ فكان هذا التحمس من آل عبد الدار هو مراد أبى سفيان .

كما أخذت هند زوجة أبو سفيان بنصيبها هى والنسوة اللواتى معها فى إثارة حماس المشركين ، فقد أخذن يضربن بالدفوف خلف الرجال ويحرضنهم .

موقف الرسول ﷺ والمسلمين من الخروج للعدو :

عندما علم رسول الله ﷺ والمسلمون بمسير أبى سفيان ومن معه إليه ، وإنهم نزلوا حيث نزلوا ، فجمع النبى ﷺ وجوه المهاجرين والأنصار ، وحضر

معهم عبد الله بن أبى زعيم المنافقين ، وكان ذلك يوم الجمعة ، وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا فلما أصبح قصها على أصحابه .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ عليه وسلم قال : رأيت فى رؤياى أنى هززت سيفًا فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها بقراً والله خير فإذا هم المؤمنون يوم أحد(١) .

وروى الترمذى فى سننه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « تنفل رسول الله ﷺ وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، فقال : « رأيت فى سيفى ذى الفقار فلاً ، فأولته فلاً يكون فيكم « أى انهزامًا » ورأيت أنى مردف كبشًا ، فأولته كبش الكتيبة ، ورأيت أنى فى درع حصينة ، فأولتها المدينة ، ورأيت بقرًا تذبح ، فبقر والله خير ، فبقر والله خير » ، فكان الذى قال رسول الله ﷺ(٢) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب من قتل من المسلمين يوم أحد ، وفى كتاب المناقب : باب علامات النبوة ، وفى كتاب التعبير : باب إذا رأى بقرًا تنحر .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الرؤيا : باب رؤيا النبى ﷺ .
وابن ماجه فى سننه ، كتاب التعبير : باب تعبير الرؤيا .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب السير فى النفل ، وقال : حديث حسن غريب .
والحاكم فى المستدرك ١٢٨/٢ ، وصححه ووافقه الذهبى .
وابن ماجه فى سننه ، كتاب الجهاد : باب السلاح .
وأحمد فى مسنده ٢٧١/١ ، وقال الساعاتى فى الفتح الربانى ٢٢١/١٧وسنده صحيح .

فجمع رسول ﷺ أصحابه وقال : « وإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ويدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام . وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها فإنا أعلم بها منهم » وكان ذلك رأى أكابر المهاجرين والأنصار .

ووافق عليه أيضًا عبد الله بن أبى حين استشاره الرسول ﷺ ، ولم يستشره قبل ذلك فقال : يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا . ولا دخلها إلا أصبنا منه . فدعهم يا رسول الله ﷺ فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم . وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

ولكن الكثيرين ولا سيما الشباب ممن لم يشهد بدرًا ، أو شهدها وأمتعهم الله بالنصر قالوا : يا رسول الله ﷺ : أخرج بنا إلى أعدائنا ، ولا يرون أناجبنا عنهم وضعفنا ، وما زال هؤلاء برسول الله ﷺ حتى اتبع رأيهم لأنهم الأكثرون عددًا والأقوون جلدًا .

فصلى رسول الله ﷺ الجمعة فى اليوم العاشر من شوال ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وحثهم على الثبات والصبر ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك .

ثم دخل بيته فلبس لامته - عدة الحرب - ثم خرج عليهم ، فلما رآه الذين أشاروا بالخروج ندموا وقالوا : استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، يا رسول الله إن شئت فاقعد ، فقال : « ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين أعدائه .

ثم أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج ، فخرج فى ألف من أصحابه ، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وعقد ثلاثة ألوية ، لواء للأوس بيد أسيد بن الحضير ، ولواء للمهاجرين بيد على بن أبى طالب ، ثم نقله بعد ذلك ليد مصعب بن عمير لأنه من بنى عبد الدار وهم حملة اللواء ، ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر .

انسحاب عبد الله بن أبى بن سلول ومن معه :

ثم سار الجيش حتى إذا كان بالشوط(١) ، رجع عبد الله بن أبى بثلاثمائة من أصحابه ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، فقال لهم عبد الله ابن عمرو بن حرام - أخو بنى سلمة الأنصارى : يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن نرى أن لا يكون قتال . فلما استعصوا عليه قال لهم: أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عز وجل عنكم نبيه ﷺ .

وأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾(٢) .

---

(١) وهو بستان بين جبل أحد والمدينة .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٩

وقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾(١) .

ولما رأى بنو سلمة من الأوس ، وبنو حارثة من الخزرج ، عبد الله بن أبى قد خذل ، هموا بالانصراف ، وكانوا جناحين من المعسكر ثم عصمهما الله وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) .

وقالت طائفة الأوس لما رجع ابن أبى : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود بنى قريظة . وذلك لأن بنى قريظة من حلفاء سعد بن معاذ ، فقال رسول ﷺ : لا حاجة لنا فيهم .

كما رد ﷺ كتيبة اليهود موالى عبد الله بن أبى فمن حديث أبى حميد الساعدى رضى الله عند قال : « خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة خشناء قال : من هذا ؟ قال : هو عبد الله ابن أبى بن سلول فى مواليه من اليهود من بنى قينقاع وهم رهط عبد الله ابن سلام فقال : أو قد أسلموا ؟ فقال : إنهم على دينهم قال : قل لهم فليرجعوا ، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين »(٣) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٧

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٢

(٣) عزاه الحافظ بن حجر لإسحاق بن راهويه وحسن إسناده ، انظر المطالب العالية حديث ٤٣١٩

استعراض الجيش والتنافس فى الخروج ورد بعض الصبيان :

استعرض الرسول ﷺ الجيش ، كما استعرض الشباب يوم خروجه أحد ، فرد من استصغره منهم مثل ابن عمر والبراء وغيرهما ، ممن لا طاقة لهم على الجهاد خرجوا رغبة فى الجهاد وحبًا للاستشهاد فى سبيل الله ، وأجاز من رآه مطبقًا منهم مثل رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ عرضنى يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنه فلم يجزنى وعرضنى يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازنى »(١) .

تعبئة المسلمين للقتال :

صار رسول الله ﷺ يهيب حماس المسلمين ، ويحثهم على الصبر والثبات ، ويدعو إلى الاستبسال فى القتال ، ومما أثار بها حميتهم ، أنه ﷺ أخذ بسيفه فى يده وقال لأصحابه : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فأحجم القوم ، ثم كرر الكلمة فقام رجل فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة(٢) ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى » قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانه رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب، وكان إذا اعتصب بعصابة حمراء علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ ، عصب رأسه بها ، وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله ﷺ : « إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى : باب غزوة الخندق ومسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب بيان سن البلوغ .

(٢) سماك بن خرشه أخو بنى ساعدة الأنصارى .

نزول المسلمين بالشعب فى أحد ، ووضع الرماة على الجبل :

مضى رسول الله ﷺ فى سبعمائة من أصحابه - بعد رجوع عبد الله بن أبى ومن معه - حتى وصل الشعب من أحد ، على مقربة من المشركين ثم جعلوا ظهروهم للجبل ووجوهم للمدينة .

وقد حانت صلاة الصبح يوم السبت الخامس عشر من شوال ، فأذن بلال وأقام ، وصلى عليه الصلاة والسلام بأصحابه صفوفًا ، وبوأ كل فريق مكانه ، وأمر رسول الله ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير ، وكانوا خمسين رجلاً ، وأوصاهم قائلاً : « انضحوا بالنبل عنا لا نؤتين من قبلكم، والزموا مكانكم ، إن كانت النوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم » .

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: « لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبى ﷺ جيشًا من الرماة ، وأمر عليهم عبد الله وقال : لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا » .

وفى رواية لأبى داود : « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال : ووضعهم موضعًا وقال : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم »[١] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة أحد .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى الكمناء .

بدء المعركة :

التقى الجمعان وبدأ القتال بالمبارزة ، فقد دعا طلحة بن أبي طلحة العبدري - أحد حملة لواء المشركين - إلى البراز ، فأحجم عنه الناس ، حتى دعا ثلاثة وهو على جمل له ، فبرز إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى استوى معه على بعيره ، ثم ألقاه على الأرض فذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال : « لكل نبي حَوَارِيٌّ[1] وإن حَوَارِيَّ الزبير » . وقال : « لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه » .

وخرج سباع بن عبد العزى من صفوف المشركين ، وهو يقول : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع ، يا ابن أم أنمار أتحاد الله ورسوله ؟! ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب .

ونادى أبو سعد بن طلحة - وكان أحد حملة لواء المشركين - وقد سمع علي بن أبي طالب يقول : أنا أبو القصم ، فقال : هل لك يا أبا القصم في البراز في حاجة ؟ قال : نعم ، فبرزا بين الصفين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ فصرعه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله .

ثم التحم الجيشان وحمي الوطيس ، وتعانقت السيوف وحملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، فينصخم الرماة بالنبال فينكصون على أعقابهم ، وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم قتلاً ، كل ذلك وهند زوجة أبي سفيان تواصل هي ومن معها من النساء الضرب بالدفوف وإثارة حماس القوم، ورسول الله ﷺ يقول : « اللهم إني بك أجول وأصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل » .

---

(١) الحواري : هو المخلص الصفي .

صور من البطولة والإيمان لصحابة رسول الله ﷺ فى أحد :

عندما اشتد القتال والتحم الجيشان أبلى كثير من المسلمين بلاءًا حسنًا ، وبدت صور نادرة من البطولات من الصحابة رضوان الله عليهم ، والآن تذكر أمثلة من هذه البطولات :

فهذا هو الصديق أبو بكر ، فقد أيدى بطولة نادرة وتضحية فريدة حيث خاصر بنفسه ليقتل ابنه من أجل دينه ونصرته .

لما أطلع ابنه عبد الرحمن قائلاً : من يبارز ؟ حيث نهض إليه الصديق شاهرًا سيفه فقال له عبد الرحمن : لولا أنك أبى لم أنصرف ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : شم سيفك ، وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك .

وهذا أبو دجانة يلبس عصابته الحمراء - عصابة الموت - نزل إلى ميدان القتال ، بعد أن أخذ السيف من رسول الله ﷺ ، فجعل لا يلقى أحدًا من المشركين إلا قتله ، وكان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحًا إلا ذفف عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتقاه بدرقته ، فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله .

ورأى رضى الله عنه إنسانًا يخمش الناس خمشًا شديدًا ، قال : فصمدت له، فلما حملت عليه بالسيف ولول ، فإذا هى امرأة ، وهى هند بنت عتبة ، قال : فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

كما أبلى سيدنا حمزة رضى الله عنه بلاءا حسنًا ، قال وحشى غلام جبير ابن مطعم : والله إنى لا نظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق - ما يبقى - به

شيئًا ، مثل الجمل الأورق ، وكنت لحمزة تحت صخرة فلما دنا منى رميته بحربتى فأضعها فى ثنيته حتى خرجت من بين وركيه ، قال فكان ذلك آخر العهد به .

وخرج حنظلة بن أبى عامر إلى رسول الله ﷺ وهو يسوى الصفوف بأحد فلما انكشف المشركون ضرب فرس أبى سفيان بن حرب ، فوقع على الأرض وصاح ، وحنظلة يريد ذبحه ، فأدركه الأسود بن شعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ، ومشى حنظلة إليه فى الرمح وقد أثبته ، ثم ضربه الثانية فقتله ونجا أبو سفيان ، وأخرج الحاكم بسنده عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر بعد أن التقى هو أبو سفيان حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم تغسله الملائكة فأسالوا صاحبته » فقالت : إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسلته الملائكة »(١) .

وهذا هو أنس بن النضر الأنصارى وهذه هى شجاعته ، جاء إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار - حينما قال ابن قمئة : قتلت محمدًا - وقد ألقوا ما بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ ، ثم لقى سعد بن معاذ فقال : أى سعد ، إنى أجد ريح الجنة دون أحد ، واستقبل المشركين فقاتل قتالاً شديدًا حتى قتل شهيدًا ، وبه بضع وثمانون ضربة بسيف ، أو طعنة بحربة أو رمية بسهم ، فما عرفه بين القتلى إلا أخته الربيع بنت النضر ، بشامة فى إصبعه .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢٠٤/٣ ، ٢٠٥ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ووافقه الذهبى .

والبيهقى فى سننه ١٥/٤ من حديث ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عنه .

روى الشيخان فى صحيحهما بسند يهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « عمى الذى سميت به - أى باسمه وهو أنس بن النضر - لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا . قال : فشق عليه ، قال : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ، وإن أرانى الله مشهدًا ، فيما بعد ، مع رسول الله ﷺ ليرانى الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها .

قال : فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال : فاستقبل سعد بن معاذ فقال له : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أحد ، فقاتل حتى قتل ، قال : فوجد فى جسمه بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية ، قال : فقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر ، فما عرفت أخى إلا ببنانه ، ونزلت هذه الآية : ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(١) فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه »(٢) .

وفى رواية البخارى زيادة : « فلقى يوم أحد فهزم الناس فقال : اللهم إنى اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمون - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون - فتقدم بسيفه ، فلقى سعد بن معاذ فقال : أين يا سعد ؟ إنى أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة - أو ببنانة - وبه بضع وثمانون : من طعنة وضربة ورمية بسهم » .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة أحد .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب ثبوث الجنة للشهيد .
والترمذى فى سننه ، وقال : حسن صحيح .
وأحمد فى مسنده ١٩٤/٣ .

وهذا عمرو بن الجموح ورجاؤه أن يطأ فى الجنة بعرجته ، روى أبى قتادة رضى الله عنه قال : « أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة؟ وكانت رجله عرجاء ، فقال : رسول الله ﷺ « نعم » ، فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم ، فمر رسول الله ﷺ فقال : « كأنى انظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة » فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فى قبر واحد »(١) .

وهذا أبو خيثمة ، قتل ابنه فى معركة بدر فجاء إلى رسول الله ﷺ يقول : لقد أخطاتنى وقعة بدر وكنت والله - عليها حريصًا ، حتى ساهمت ابنى فى الخروج فخرج فى القرعة سهمه فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها ويقول لى : الحق بنا ترافقنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا ، ثم قال : وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقًا إلى مرافقته ، وقد كبرت سنى ورق عظمى ، وأحببت لقاء ربى فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة ابنى فى الجنة ، فدعا الرسول ﷺ له : فنال نعمة الاستشهاد فى هذه المعركة .

وكان نعيم بن مالك يقول فى ذلك اليوم : فوالذى نفسى بيده لأدخلن الجنة ، فيقول له الرسول ﷺ : بم ؟ أى بأى شىء تستحق دخول الجنة ؟ فيقول :

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٩٩/٣ . وقال صحيح على شرطهما لولا إرساله ، ووافقه الذهبى وقال : صحيح مرسل .

وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٠١/٩ - ٣٠٢ وقال : ورجاله رجال الصحيح .

والبيهقى فى السنن الكبرى ٣٠٧/٦ - ٣٠٨ موصولاً من حديث إسحاق بن سعد .

بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف فيقول له الرسول ﷺ :صدقت ... وقد كتب الله له الشهادة في هذا اليوم ودخل الجنة ، وهكذا أقسم على الله فأبره .

وقد حمل المسلمون على لواء المشركين فكان إذا سقط اللواء من يد واحد أخذه من خلفه ، فيحمل عليه المسلمون فيقتلونه ، فيأخذ اللواء رجل آخر حتى قتله حملة اللواء من المشركين ، ولما لم يقدر أحد على الدنو منه ، أنزل الله نصره على المؤمنين فحسوا الكفار بسيوفهم حتى كشفوهم عن عسكرهم وكانت الهزيمة .

فولى الكفار لا يلوون على شيء ، ونساؤهم يدعون بالويل ، بعد فرحهم وضربهم بالدفوف ، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم .

روى البخاري بسنده قال البراء : « فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتدون في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن » .

وقال الزبير بن العوام رضي الله : « والله لقد رأيتني انظر إلى خدم هند بنت عتبه وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتتنا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدًا قد قتل ، فانكفأ وانكفأ علينا القوم ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه أحد من القوم » .

الرماة خالفوا أمر الرسول ﷺ :

لما رأى الرماة هزيمة المشركين ، وصار المسلمون يجمعون في غنائم قريش ؛ وقال أصحاب عبد الله بن جبير ، الغنيمة أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما

تنتظرون ؟ فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا لتأتين الناس فنصيبن من الغنيمة .

وثبت أميرهم عبد الله بن جبير فى نفر يسيرون العشرة مكانه ، وقال : لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ ، فقالوا : لم يرد هذا ، قد انهزم المشركون فما مقامنا هنا ؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ، وينتهبون معهم ، وخلوا الخيل .

وحينذاك انتهز خالد بن الوليد ، فشد على بقية الرماة فقتلهم ، ومعه عكرمة بن أبى جهل ، كما قتلوا أميرهم عبد الله بن جبير .

وبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم ، اندفع خالد بن الوليد بخيله فى ظهورهم ، وأخذوهم على غرة وتنادى فرسان المشركين : يا للعزى يا لهبل ، ووضعوا السيوف فى المسلمين فهزموهم وقتلوا فيهم قتلاً زريعًا ، وتفرق المسلمون فى كل وجه وتركوا ما انتهبوا ، وحلوا من أسروا ، والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض ، فمن ذلك مقتل اليمان والد حذيفة على يد المسلمين خطأ ، فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لما كان يوم أحد هزم المسلمون ، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أى عباد الله، أخراكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أى عباد الله أبى أبى ، قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم ، قال عروة : فوالله ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله »[1] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا .
وفى كتاب المناقب : باب ذكر حذيفة بن اليمان .
والحاكم فى المستدرك : ٣/٣٧٩ .

إشاعة مقتل الرسول ﷺ :

كانت راية المسلمين بيد مصعب بن عمير ، فقاتل مصعب بالراية دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، قتله ابن قمئة ظناً أنه رسول الله ﷺ ، وصاح : إن محمدًا قتل ، حينئذ ارتبك الناس ، وأتاهم العدو من خلفهم ، واشتد القتل فيهم ، وذهلوا عن أنفسهم فمنهم من ولى هاربًا لم ترده إلا حيطان المدينة ، ومنهم من انطلق صاعدًا فى الجبل وألقى سلاحه من هول الفاجعة ، وفى انسحاب الرماة طلبًا للغنيمة ، واضطراب المسلمين وانتفاض صفوفهم وفرار من فر نزل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلتُمْ وتنازَعتمُ فِى الأمر وَعَصَيتُم مِن بَعدِ مَا أَرَاكُم ما تُحِبُونَ ، مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنيا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرةَ ، ثُمَّ صَرَفكُم عَنهُم لِيَبتَلِيكُم ، وَلَقَد عَفَا عَنكُم واللهُ ذُو فَضلٍ عَلَى المؤْمِنِين ﴾[١] .

﴿ إِذ تصعدون ولا تَلْوون عَلَى أَحدٍ والرَّسُولُ يَدعُوكُم فِى أُخراكُم فَأَثَابَكُم غَمًّا بغم لِكَيلا تَحزَنوا عَلَى مَا فَاتكُم وَلا مَا أَصَابكُم واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُون ﴾[٢] .

ثم لم يلبثوا أن فاؤوا إلى الرسول وإلى القتال بعد أن أفاقوا من أثر الصدمة .

ومنهم من قاتلوا دفاعًا عن دينهم وحماية لأنفسهم وهم كثير قال ابن حجر فى الفتح[٣]: «والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق : فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انقضى القتال ، وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوا مِنكُم يَومَ التَقَى الجَمعَانِ، إنما استَزَلَّهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعض مَا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٥ .

(٣) فتح البارى ٣٦٤/٨ .

كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنهُم إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(١) .وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى ﷺ قد قتل - مع ثباتهم - فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته فى القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة ، وفرقة ثبتت مع النبى ﷺ ، ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئًا فشيئًا لما عرفوا أنه حى » .

ولما فقد المسلمون رسول الله ﷺ قال رجل منهم : إن رسول الله ﷺ قد قتل فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فإنهم داخلوا البيوت، فقال أنس بن النضير الأنصارى : إن كان رسول الله ﷺ قتل أفلا تقاتلون عن دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء ؟

وقال : اللهم إنى اعتذر إليك مما قال هؤلاء - يعنى المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - ثم لقى سعد بن معاذ فقال : يا سعد إنى لأجد ريح الجنة دون أحد ، ثم ألقى بنفسه فى خضم المعركة ، وما زال يقاتل حتى استشهد .

وكذلك ثابت بن الدحداح حيث قال : « يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل ، فإن الله حى لا يموت ، فقاتلوا على دينكم فإن الله مظهركم وناصركم، فنهض إليه نفر من الأنصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٥ .

وقتل من معه من الأنصار ، وفى حال المسلمين وانهزامهم بعد إشاعة موته ﷺ نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾(١) .

وعما قاله المنافقون أثر شائعة موته ﷺ ، فقد ظهر نفاقهم وما يضمرونه للمسلمين ولرسول الله ﷺ من الشر جليًا ، فقال بعضهم : « لو كان نبيًا ما قتل فارجعوا إلى دينكم الأول » وقال آخرون : « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا » .

وقال بعض المسلمين الذين فروا إلى الجبل : ليت لنا رسولاً إلى ابن أبى ليأخذ لنا أمانًا من أبو سفيان ، يا قوم إن محمد قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

ثبات النبى ﷺ وقتاله المشركين :

ثبت النبى ﷺ يقاتل عدو الله كالجبل الأشم ، ويدافع المحيطين به منهم من كل ناحية ، وهو يقول : « إلى عباد الله ، إلى عباد الله » ، ففاء إليه الكثيرون ممن أذهلتهم إشاعة أنه قد قتل ، فقعدوا عن القتال ، كما فاء إليه من تفرقوا يقاتلون بين الصفوف ، حتى تكونت حوله ﷺ ثلة من أصحابه ، فسار بهم حتى وصل إلى الصخرة التى فوق الجبل .

هكذا ثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنه ، وهو يرمى عن قوسه حتى تقطع وتره ، وتوجه رسول الله ﷺ ، يلتمس أصحابه ،

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٤٤ ، ١٤٥ .

فاستقبله المشركون ، ورموه بالنبل والحجارة ، وضربوه بالسيوف ، ورماه عتبة بن ابى وقاص ، فكسر رباعيته اليمنى والسفلى ، وجرح شفته السفلى ، وشجه عبد الله بن شهاب الزهرى فى وجهه ، وسال الدم من الشجة حتى أخضل الدم لحيته الشريفه.

ورماه ابن قمئة فجرح وجنته ، ودخلت حلقتان من المغفر فى وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك الأنصارى بعد الهزيمة ، عرفه من عينيه الشريفتين تزهران من تحت المغفر ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن انصت ، فألبس كعب رسول الله ﷺ لامته ، ولبس لامة رسول الله ﷺ ، وقاتل دونه قتالاً شديدًا ، وجرح بضعة وعشرين جراحه ، فكل من يضربه يحسبه رسول الله ﷺ ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به نحو الشعب .

وروى أبو يعلى(١) فى مسنده عن على رضى الله عنه قال : « فلما انجلى الناس يوم أحد نظرت فى القتلى ، فلم أر رسول الله ﷺ ، فقلت والله ما كان ليفر ، وما أراه فى القتلى ، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ ، فما فى خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت جفن سيفى ، ثم حملته على القوم فأفرجوا لى ، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم » .

---

(١) بإسناد حسن ، قاله البوصيرى .

رجال حول الرسول ﷺ :

وثبت حول النبى ﷺ ثلة من المهاجرين والأنصار وضحوا بأنفسهم من أجله ، فروى مسلم بسنده عن أنس قال : أفرد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش : طلحة وسعد .

وقال ابن سعد : إنهم أربعة عشر رجلاً منهم : أبو بكر ، وسبعة من الأنصار . وذكر الواقدى فى المغازى : أنه ثبت مع الرسول ﷺ يوم أحد من المهاجرين سبعة : أبو بكر ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وطلحة ، والزبير ، وأبو عبيده .

ومن الأنصار سبعة : أبو دجانه ، والحباب بن المنذر ، وعاصم ابن ثابت ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير .

وأخرج الطبرى من طريق السدى : أن ابن قمئة لما رمى النبى ﷺ وتفرق الصحابة منهزمين ، وجعل الرسول يدعوهم فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً .

وسبب اختلاف الروايات فى عدة من ثبت معه ، باعتبار اختلاف الأحوال ، فإنهم تفرقوا فى القتال عقب شائعة موته ﷺ ، واشتغل كل واحد بهمه ، والذب عن نفسه ، ثم عرفوا عن قرب بقاءه ﷺ فتراجعوا إليه أولاً فأولاً ، فكان يقدمهم للقتال فيشتغلون به([١]) .

---

(١) فتح البارى ٣٦٣/٨

وعلى هذا فإن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه إليه ، فكل من يسمع النداء يفيئ إليه ، حتى تجمع حوله عدد كثير كما وصل إلى ثلاثين فى بعض الروايات ، فمن هنا اختلفت الروايات فى ذكر عدد من ثبتوا حوله .

وقد أظهر الصحابة الكرام صور شتى من البطولات فى الدفاع عن رسول الله ﷺ من هؤلاء :

سعد بن أبى وقاص : روى الحاكم أن سعد بن أبى وقاص رمى دون رسول الله ﷺ بألف سهم ، بعضها من سهام رسول الله ﷺ حين فرغت سهامه .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى عثمان التهدى قال : « لم يبق مع النبى ﷺ فى تلك الأيام التى كان يقاتل فيها رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما »(١) .

ونثل له رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد ، وقال : « أرم فداك أبى وأمى »(٢) .

وكما جاء من حديث على كرم الله وجهه قال : « ما سمعت النبى ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد ، فإنى سمعته يقول يوم أحد : « يا سعد أرم فداك أبى وأمى »(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الفضائل ، وفى كتاب المغازى : باب غزوة أحد ومسلم فى صحيحه كتاب الفضائل .

(٢) هذا الحديث رواه البخارى بسنده عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص .
أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى : باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلاً .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل .

ومنهم طلحة بن عبيد الله : كان أبو بكر الصديق إذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، قاتل عن رسول الله ﷺ قتالاً شديدًا .

وقد روى النسائى[١] فى سننه بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : « لما كان يوم أحد ، وولى الناس ، كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى أثنى عشر رجلاً منهم طلحة ، فأدركهم المشركون فقال النبى ﷺ : « من للقوم ؟ » قال : طلحة : أنا ، فقال : « كما أنت » ، فقال رجل : أنا ، قال : «أنت » ، فقاتل حتى قتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال : « من لهم ؟ » قال طلحة : أنا ، قال : « كما أنت » ، فقال رجل من الأنصار : أنا ، قال : « أنت » فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى بقى مع النبى طلحة ، فقال : « من اللقوم ؟ » قال طلحة : أنا ، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه ، فقال : حسس ، فقال رسول الله ﷺ « لو قلت باسم الله ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون » ثم رد الله المشركين .

وقيل أن الذى رماه بالسهم فأصيبت يده هو مالك بن زهير الجشمى كان يريد بسهمه رسول الله ﷺ ، فاتقاه طلحة بيده فأصاب خنصره .

---

(١) أخرجه النسائى فى سننه ، كتاب الجهاد : باب ما يقول من يطعنه العدو .
وروى البيهقى فى سننه نحوه عن جابر أيضًا .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن قيس بن أبى حازم قال : « رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى ﷺ يوم أحد شلاء »(١) .

كما روى الترمذى فى سننه بسنده عن الزبير رضى الله عنه قال : « كان على النبى ﷺ يوم أحد درعان ، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع ، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة ، قال الزبير : فسمعت النبى ﷺ يقول : « أوجب طلحة »(٢) .

ومنهم أبو طلحة الأنصارى ، دافع عن رسول الله ﷺ دفاع الأبطال ، روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : « لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ وأبو طلحة بين يديه مجوبًا عليه بجحفة ، وكان راميًا شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل ، فيقول رسول الله ﷺ : « أنثرها لأبى طلحة » ، ثم يشرف إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : يا نبى الله بأبى أنت ، لا تشرف ألا يصيبك سهم ، نحرى دون نحرك »(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب طلحة وفى كتاب المغازى : باب إذهمت طائفتان .
وابن ماجه فى سننه فى المقدمة .
وأحمد فى مسنده ١٧٤/١ - ١٨٠

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الجهاد : باب ما جاء فى الدرع .
وفى كتاب المناقب : باب مناقب طلحة . وقال الترمذى : حسن غريب .
والحاكم فى المستدرك ، وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل الأنصار : باب مناقب أبى طلحة ، وكتاب المغازى : باب إذهمت طائفتان أن تفشلا .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب غزوة النساء مع الرجال .

ومنهم قتادة بن النعمان الأنصارى ، أبلى فى الدفاع عن رسول الله ﷺ بلاء حسنًا ، وكان يقى وجه الرسول ﷺ بوجهه حتى يتقى به السهام ، وأصيبت عين قتادة حتى وقعت فردها رسول الله ﷺ ، فكانت أحسن عينيه .

قال قتادة : كنت أتقى بوجهى دون وجهه ﷺ ، فكان آخرها سهمًا ندرت منه حدقتى ، فأخذتها بيدى ، وسعيت إلى الرسول ﷺ ، فلما رآها فى كفى دمعت عيناه ، فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك ، فاجعلها أحسن عينيه وأحدها نظرًا ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

ومنهم أبو دجانه ترس بنفسه دون رسول الله ﷺ ،يقع النبل فى ظهره ، وهو منحنى حتى كثر فيه النبل وهو لا يتحرك .

وهذا عمارة بن زياد بن السكن ، يثبت فى خمسة نفر من الأنصار حين سمع رسول الله ﷺ يقول حين غشيه القوم : « من رجل يشرى لنا نفسه ؟ » ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً ، ثم رجلاً يقتلون دونه حتى كان آخرهم عمارة ابن زياد الأنصارى فقاتل حتى أثبتته الجراح ، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله : « أدنوه منى » فأدنوه منه ، فوسده قدمه الشريفة ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ .

ولا ننسى فى هذا المقام مصعب بن عمير رضى الله عنه ، قاتل دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، قتله ابن قمئة وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمدًا .

وأما عن الأنصار السبعة الذين ضحوا بأنفسهم لحماية رسول الله ﷺ فقد روى مسلم فى صحيحه[١] بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : « أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه ، قال : « من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقى فى الجنة » ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضًا ، فقال : « من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقى فى الجنة » فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .

وجاء دور النساء فى الدفاع عن رسول الله ﷺ ، فهذه أم عمارة نسيبه بنت كعب المازنية ، قالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى ، وذلك لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابن قمئة وهو يقول : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ،ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربنى هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب غزوة أحد .

(٢) سيرة ابن هشام ٨٦/٣

وروى الواقدى بسنده عن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ألتفت يوم أحد يمينًا وشمالاً إلا وأراها تقاتل دونى » .

كما كان للملائكة دور فى الدفاع عن رسول الله ﷺ ، فقد روى الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد »(١) .

دور النساء المسلمات فى غزوة أحد :

كان لنساء المسلمات دور عظيم ، وصل كما سبق أن ذكرنا - إلى حد القتال والدفاع عن رسول الله ﷺ كما فعلت السيدة نسيبه بنت كعب ، إلى جانب أنهم كانوا يسقين العطشى ويداوين الجرحى ، فقد روى الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن أنس قال : « ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر - زوج الرسول - وأم سليم - أمه - وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنفزان القرب على متونهما ، تفرغان فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب اللباس : باب الثياب البيض وفى كتاب المغازى : باب قوله تعالى : ﴿ وإذ همت طائفتان ﴾ .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الفضائل : باب قتال جبريل وميكائيل عن النبى ﷺ يوم أحد .

وأحمد فى المسند ١٧١/١ ، ١٧٧

ومن نساء المسلمات اللآتى شاركن فى غزوة أحد ، السيدة أم سليط ، فقد روى البخارى فى صحيحه(١) بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم مروطًا بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقى منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التى عندك - يريدون أم كلثوم بنت على - فقال عمر : أم سليط أحق منها - وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ قال عمر : فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد » .

وجاء فى صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه قال : « كان النبى ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ، ويداوين الجرحى »(٢) . وجاء فيه أيضًا من حديث أم عطية الأنصارية رضى الله عنها قالت : « غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم ، فأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى »(٣) .

وأما عن إيمانهن ، فقد روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أورينه حتى انظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب ذكر أم سليط .

(٢) أخرجهما مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد : باب غزو النساء مع الرجال .

(٣) نفس المصدر السابق .

ما أصاب رسول ا لله ﷺ من أذى المشركين :

فقد رماه عتبة بن أبى وقاص فكسر رباعيته اليمنى والسفلى ، وجرح شفته السفلى ، وكان سعد بن أبى وقاص يقول : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة - يعنى أخاه - ولقد كفانى فيه قول الرسول ﷺ : « اشتد غضب ا لله على من دمى وجه رسوله » .

ودعا عليه رسول ا لله ﷺ فقال : « اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرًا ، فما حال عليه الحول حتى مات كافرًا » .

وشج رسول ا لله ﷺ فى جبهته عبد ا لله بن شهاب ، ورماه ابن قمئة فجرح وجنته ، ودخلت حلقتان من المغفر فيها فسلط ا لله عليه تيسًا فقتله ، وذلك أنه لما انصرف إلى مكة ، خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل ، فشد عليه تيسها فنطحه نطحه أردته من شاهق الجبل إلى أسفل ، فتقطع قطعًا .

كما جحشت ركبته ﷺ فى أحد ، وذلك أن أبو عامر الفاسق كان قد حفر حفرًا وغطاها ليقع فيها المسلمون ، فوقع فى حفرة منها رسول ا لله ﷺ ، فأخذ علىّ بيده ، واحتضنه طلحة حتى استوى قائمًا .

قال ابن حجر : مجوع ما ذكر فى الأخبار ، أنه شج وجهه ، وكسرت رباعيته وجرحت وجنته ، وشفته السفلى من باطنها ، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت ركبته »[١] .

---

(١) فتح البارى ٨/٣٧٤

وقد قام أبو عبيده بن الجراح بإخراج حلقتى المغفر من وجهه ﷺ ، وكره تناولهما بيده فيؤذى الرسول ﷺ ، فأزم على إحدى الحلقتين بفمه فاستخرجها ، وقد سقطت ثنيته معها ، ثم أزم على الأخرى فاستخرجها فوقعت الثنية الأخرى .

ومص مالك بن سنان ، والدأبى سعيد الخدرى الدم عن وجهه الشريف ، ثم ازدرده - ابتلعه - فقال رسول الله ﷺ : « من مس دمى دمه لم تصبه النار » .

وكان النبى ﷺ يقول وقد أصابته الجراح والدم يسيل على وجهه يوم أحد : « وكيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم ، وكسروا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله » فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَىْءٌ أَو يَتُوب عَلَيهِم أَو يُعذِبهُم فَإنهُم ظَالِمُونَ ﴾(١) .

وقد كان علىّ بن أبى طالب وزوجته السيدة فاطمة رضى الله عنهما يصلحان من شأن جروح رسول الله ﷺ ، فكان علىّ يسكب الماء بالمجنى ، والسيدة فاطمة تغسل الدم ، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن سهل بن سعيد أنه قال وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ : « أما والله إنى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يكسب الماء ، وبما دووى قال :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٢٨

« كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ تغسله ، وعلى بن أبى طالب يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم » .

تمثيل المشركين بشهداء أحد وحزن الرسول ﷺ : خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ فوقعت الهزيمة ، وأصيب من أصيب من المسلمين ، ولما انتهى القتال انطلقت هند بن عتبة ، والنسوة اللاتى معها يمثلن بقتلى المسلمين ، فصرن يجدعن الآذان والأنواف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدمًا وقلائد ، وأعطت هند خدمها وقلائدها وحشيًا غلام جبير بن مطعم مكافأة له على قتل حمزة رضى الله عنه ، وبقرت هند عن كبد سيد الشهداء حمزة فلا كتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

ومر الحليس بن الكنانى سيد الأحابيش بأبى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة ويقول : ذق عقق ، فقال الحليس : يا بنى كنانة ، هذا سيدا قريش يصنع بابن عمه لحمًا ، ما ترون ، فقال أبو سفيان : ويحك اكتمها عنى فإنها كانت زلة .

و لم يقتصر التمثيل بالقتلى على النساء بل شاركهن فى ذلك الرجال ، فقد ذكر فى عيون الأثر ، أن خارجة بن زيد كان قد أخذته الرماح يوم أحد فمر به صفوان بن أمية معرفه ، فأجهز عليه ، ومثل به وقال : هذا ممن أغرى بأبى يوم بدر .

وممن مثل به كما مثل بحمزة ، عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة ، وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة ، وأمر رسول الله ﷺ بدفن حمزة وعبد الله بن

جحش فى قبر واحد .وخرج رسول الله ﷺ يتفقد القتلى ، ويلتمس عمه حمـزة ، فوجده ببطن الوادى ، قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه ، فقال : « لن أصاب بمثلك أبدًا ، وما وقفت قط موقفًا أغيظ على من هذا » ثم قال : لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » .

فلما رأى المسلمون ما عليه رسول الله ﷺ من الحزن على من فعل بعمه ما فعل ، وعلى المثلة فى قتلاهم ، قالوا : لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١) .

فعفا رسول الله ﷺ ونهى عن المثلة .

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر حمزة وكان شقيقها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : ألقها فارجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أنه قد مثل بأخى ، وذلك فى الله فما ارضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى ، فلما جاء الزبير إلى الرسول فأخبره قال : خل سبيلها ، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له(٢) .

---

(١) سورة النحل الآيات ١٢٦ - ١٢٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٠١/٣ .

عودة المشركين إلى مكة وشماته أبى سفيان واليهود والمنافقين بالمسلمين :

وإن أبا سفيان لما أرد الانصراف أشرف على جبل وقال : أفى القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه ، فقال : أفى القوم أين أبى قحافة ؟ فقال : لا تجيبوه ، فقال : أفى القوم ابن الخطاب ؟ فقال أبو سفيان : أن هؤلاء قد قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ، إن الذى عددت لأحياء ، وقد بقى لك ما يسوؤك ، فقال : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، فقال له عمر : لا سواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، فقال أبو سفيان : وإنكم ستجدون فى القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤنى .

ثم أخذ يرتجز: أعل هبل ، أعل هبل ، فقال النبى : « أجيبوه » قالوا: مانقول ؟ قل : « قولوا : الله أعل وأجل » فقال ابو سفيان لنا العزى ، ولا عزى لكم ، فقال النبى : « أجيبوه » قالوا : ما نقول قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » ثم قال أبو سفيان : إن موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه : « قل : نعم هو بيننا وبينك موعد »[1] .

وانصرف المشركون بعد أن واعدوا النبى ﷺ بدرًا من قابل ، فبعث رسول الله ﷺ علىّ بن أبى طالب وقال : « أخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المعازى : باب غزوة أحد .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى الكمناء .
وأحمد فى مسنده ٢٩٣/٤ .

قال عليّ : فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

فلما أبصرهم الرسول الله ﷺ قعدوا على أثقالهم سراعًا عجالاً نادى بأعلى صوته بذهابهم ، فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبي الله ﷺ فناموا وبقى أناس من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم فذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيكُم مِن بَعدِ الغَمِ أَمنَه نُعَاسًا يَغشَى طَائِفَةً مِنكُم وَطَائِفَةٌ قَد أَهَمَّتهُم أَنفُسُهُم يَظُنُونَ بِالله غَيرَ الحَق ظَنَّ الجَاهِلِيةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأَمرِ مِن شَيءٍ . قُل إِنَّ الأَمرَ كُلَّهُ لله . يُخفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَا لَا يُبدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَو كَانَ لَنَا مِنَ الأَمرِ شَيءٌ مَا قُتِلنَا هَٰهُنَا . قُل لَو كُنتُم فِي بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ القَتلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِم . وَلِيَبتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُم وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُم . والله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[١] .

وروى البخارى في صحيحه بسنده عن أبي طلحة الأنصارى رضي الله عنه قال : « غشينا ونحن في مصافنا يوم أحد ، حدث أنه فيمن غشيه النعاس يومئذ قال : فجعل سيفي يسقط من يدى وآخذه ، ويسقط من يدى فآخذه ، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه ، وأخذ له للحق[٢] .

وكذلك ظهرت شماته اليهود والمنافقين بالمسلمين ، فهذا عبد الله بن أبي والمنافقون معه يشتمون ويسرون بما أصاب المسلمين ، ويظهرون أقبح القول ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٤ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب المغازى : باب ثم أنزل عليكم من بعد الغم نعاسًا .
والترمذى في سننه ، كتاب تفسير سورة آل عمران ، وقال حديث حسن صحيح .
وأحمد في المسند ٤/٢٩ .

فيقول ابن أبى والمنافقون لابنه عبد الله . وهو جريح قد بات يكوى بالنار ، وما كان خروجك معه إلى هذا برأى ، عصانى محمد وأطاع الولدان ، والله لكأنى كنت انظر إلى هذا ، فقال ابنه : الذى صنع الله لرسوله وللمسلمين خير .

ويبق أن أشرنا إلى موقف اليهود وقولهم : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب هكذا نبى قط ، أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه .

وجعل المنافقون يخذلون عن النبى ﷺ وأصحابه ، ويأمرونهم بالتفرق عنه ويقولون : لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل ، وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذلك فى أماكن ، فمشى يستأذن رسول الله ﷺ فى قتل من سمع ذلك منه من يهود ومنافقين ، قال ﷺ : يا عمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، ولليهود ذمة، فلا أقتلهم ، قال : فهؤلاء المنافقون ، قال : أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ بلى يا رسول الله ، وإنما يفعلون ذلك تعوذًا من السيف فقد بان لنا أمرهم ، وأبدى الله أضغانهم ، فقال : نهيت عن قتل من قال : لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، يا ابن الخطاب إن قريشًا لن ينالوا منا مثل اليوم حتى نستلم الركن .

وقد جاءت فيما قاله المنافقين وفى تحذير المؤمنين من أن يكونوا كالمنافقين الذى يفتحون عمل الشيطان فى نفوسهم بقولهم : لو ، فلن تجر عليهم هذه التمنيات الباطلة إلا الحسرة ، وإن الله سبحانه وتعالى هو الذى بيده كل الأمور ومنها الحياة والموت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٦ .

عدد شهداء أحد ، وعدد من قتل من المشركين :

الراجح أن عدد شهداء أحد سبعين شهيدًا ، يؤيد هذا ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه : « جعل رسول الل ﷺ على الرماة يوم أحد ... فذكر الحديث ، إلى أن قال : فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين ، أراه قال : يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيرًا وسبعين قتيلاً »(١) .

وروى الحاكم والترمذى بسنديهما من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه قال : « أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة ، فمثلوا بقتلاهم ، فقالت الأنصار : لن أصبنا منهم يومًا من الدهر لنربين عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة ، نادى رجل لا يعرف : لا قريش بعد اليوم ، مرتين فأنزل الله على نبيه ﷺ : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » فقال النبى ﷺ : « كفوا عن القوم »(٢).

وعدد من قتل من المشركين يوم أحد ، فكانوا عشرين قتيلاً .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة أحد .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد ؛ باب فى الكمناء .
وأحمد فى المسند ٢٩٣/٤ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٥٩/٢ ، ٤٤٦ وقال فى الموضعين صحيح الأسناد ووافقه الذهبى .
والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب من تفسير سورة النحل . وقال : حديث حسن غريب .

دفن شهداء أحد ، ومنزلتهم :

كان لبعض الشهداء فى أحد قد نقلوا إلى المدينة ليدفنوا فيها فأمرهم رسول الله ﷺ بردهم إلى حيث قتلوا .

روى أبو داود فى سننه بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : « إن قتلى أحد حملوا من مكانهم ، فنادى مناد رسول الله ﷺ : « أن ردوا القتلى إلى مضاجعها »(١) فأعادوهم .

وكان رسول الله ﷺ يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد ، بل فى الكفن الواحد وكان يقدم أكثرهم قرآنا .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ، ثم يقول : « أيهم أكثر أخذاً للقرآن » فإذا أشير له إلى أحد قدمه فى اللحد ، وقال : « أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة » ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، و لم يصل عليهم و لم يغسلوا »(٢) .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الجنائز:باب فى الميت يحمل من أرض إلى أرض:دفن الشهداء.
والنسائى فى سننه ، كتاب الجنائز : باب أين يدفن الشهيد .
والترمذى فى سننه ، كتاب الجهاد : باب ما جاء فى دفن الشهيد . وقال : حسن صحيح.
وابن ماجه فى سننه ، كتاب الجنائز : باب ما جاء فى لاصلاة على الشهداء ودفنهم .
وأحمد فى مسنده ٣/٣٠٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الجنائز : باب الصلاة على الشهداء ، وفى كتاب المغازى : باب من قتل من المسلمين يوم أحد .
والترمذى فى سننه ، كتاب الجنائز : باب ما جاء فى ترك الصلاة على الشهيد . وأبو داود فى سننه ، كتاب الجنائز : باب فى الشهيد يغسل .
والنسائى فى سننه ، كتاب الجنائز : باب ترك الصلاة عليهم .
وابن ماجه فى سننه ، كتاب الجنائز : باب ما جاء فى الصلاة على الشهيد .
وأحمد فى مسنده ٥/٤٣١ .

وكذلك روى الترمذى فى سننه بسنده عن هشام بن عامر رضى الله عنه قال : « شكى إلى رسول الله ﷺ الجراحات يوم أحد فقال : « احفروا وأوسعوا وأحسنوا وأدفنوا الأثنين والثلاثة فى قبر واحد ، وقدموا أكثرهم قرآنا » فمات أبى فقدم بين رجلين »(١) .

وقد رخص رسول الله ﷺ فى دفن الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد ، لما رأى ما كان عليه المسلمين من الجهد والجراح الذى يصعب معه حفر قبر لكل واحد ، وقد دفن سيدنا حمزة رضى الله عنه مع ابن أخته عبد الله بن جحش فى قبر ، ودفن مصعب بن عمير وسعد بن الربيع فى قبر ، ودفن عمرو بن الجموع مع صاحبه وصهره وعبد الله بن حرام فى قبر ، وهكذا سائر الشهداء .

وشهداء أحد دفنوا بثيابهم ودمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم ذهب الجمهور من الفقهاء إلى عدم الصلاة على الشهداء الذين قتلوا فى جهاد المشركين وعدم تغسيلهم .

وقد اختلف فى الصلاة على شهداء أحد ، فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ أمر فى قتلى أحد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم » .

وروى البخارى - أيضًا - عن عقبة بن عامر قال : « صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانى سنين ، كالمودع للأحياء ... الحديث » .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الجهاد : باب دفن الشهيد . وقال : حديث حسن صحيح .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجنائز : باب تعميق القبر .
والنسائى فى سننه ، كتاب الجنائز : باب ما يستحب فى توسيع القبر .
وابن ماجه فى سننه ، كتاب الجنائز : باب ما جاء فى حفر القبر .

قال الشافعى فى كتابه الأم : جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة، أن النبى ﷺ لم يصل على قتلى أحد ، وما روى أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح ، وقد كان ينبغى لمن عارض بذلك هذه الأحاديث الصحيحه أن يستحى على نفسه ، قال : وأما حديث عقبة بن عامر ، فقد وقع فى نفس الحديث أن ذلك كان بعد ثمان سنين ، يعنى والمخالف يقول : لا يصلى على القبر إذا طالت المدة قال : وكأنه ﷺ دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعًا بذلك ، ولا يدل ذلك على نسخ الحكم الثابت(1) .

أما عن منزلة شهداء أحد ، فلا أدل على منزلتهم ودرجتهم من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بل أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِهم يُرزَقُونَ ﴾(2) .

فالشهداء أحياء عند ربهم ، روى أبو داود فى سننه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتهوى إلى قنايل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ، مأكلهم وحسن منقلبهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله عز وجل :أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله هؤلاء الآيات على رسوله(3) : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِين قُتِلُوا فِى سَبِيل اللهِ أَمواتًا بَل أَحْيَاءٌ ﴾(4) .

---

(1) فتح البارى ٣/٤٥٢ .

(2) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

(3) أخرجه أبو داود فى سننه، كتاب الجهاد: باب فضل الشهادة. وأحمد فى مسنده ١/٢٦٥. وابن ماجه فى سننه ، كتاب الجهاد باب فضل الشهادة فى سبيل الله .

(4) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

وروى مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال مسروق : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحيَاءٌ عِندَ رَبهِم يُرزَقُون ﴾ ، قال : أما إنا سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم كطير خضر بشرح فى أيها شاءت ، تم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال فبينما هم كذلك ، إذ أطلع عليهم ربهم إطلاعة ، فقال : سلونى ما شئتم ؟! فقالوا : يا ربنا ! وما يسألوا ، قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا فى الدنيا ، حتى نقتل فى سبيلك ، قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا »(١) .

ولما لشهداء أحد من منزله عظيمة وتضحية وفداء فى سبيل الله ، كان النبى ﷺ يزورهم ويسلم عليهم ، ويقول : « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار» .

وكان أبو بكر يفعله ، وكذلك عمر وعثمان ، « وقد بقى الشهداء بمكانهم حتى كان عهد معاوية وإجرائه العين من أحد ، فانفجرت العين عليهم فنقلوا من أماكنهم . وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس، وهذا إكرام من الله للشهداء .

كما حرم على الأرض أن تأكل أجسادهم ، روى الإمام مالك رضى الله عنه فى الموطأ : « أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام الأنصاريين كانا قد حفر السيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، وكانا فى قبر واحد ، وهما

---

(١) أحرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب ومن تفسير آل عمران . وقال حسن صحيح .

ممن استشهد يوم أحد ، فحفر عنهما ليغيرا مـن مكانهمـا ، فوجـدا لم يغـيرا كأنمـا ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قـد جـرح فوضـع يـده علـى جرحـه ، فدفـن وهـو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعـت كمـا كـانت ، وكـان بـين أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة »(١) .

دعاء وابتهال وتوجه إلى المدينة :

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن شهداء أحد ، قـال لأصحابـه : « اسـتووا حتى اثني على ربي عز وجل » فصاروا خلفه ثم أخذ يدعو ربه .

فقد روى الإمام أحمد في مسنده(٢) بسنده عن عبيد الله بن رفاعـة الزرقـي رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشـركون قـال رسـول الله ﷺ : « استووا حتى اثني على ربي ، فصاروا خلفه صفوفًا فقال : اللهم لك الحمد كلـه ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لمـا قبضـت ، ولا هـادي لمـا أضللـت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعـت ، ولا مـانع لمـا اعطيـت ، ولا مقـرب لمـا باعدت ، ولا مبعد لما قربت ، اللهم أبسط علينا مـن بركـاتك ورحمتـك وفضلـك ورزقك ، اللهم إني عائذ بك من شر ما اعطيتنا وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينـا الإيمان وزينه في قلوبنـا ، وكـره إلينـا الكفـر والفسـوق والعصيـان ، واجعلنـا مـن الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خـزا يـا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عـن سـبيلك ، وأجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إنه الحق».

---

(١) الموطأ ، كتاب الجهاد : باب الدفن في قبر واحد ، « البدايـة والنهايـة ٤٣/٤ « نقـلا مـن السيرة النبوية في ضوء القرآن السنة ٢١٧/٢ .

(٢) أخرجه أحمد في مسندة ٤١٤/٣ .

ثم انصرف رسول الله ﷺ ، راجعًا إلى المدينة ، سعد ابن معاذ آخذ بعنان فرسه ، فلقيته حمنة بن جحش . فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لبمكان » .

ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى ثم قال : « لكن حمزة لا بواكى له » فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن خضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرًا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال: « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » ونهى يومئذ عن النواح .

وروى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال : « مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين، قالت : أرونيه حتى انظر إليه؟ قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته، قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة »(١) .

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله حمله عن فرسه سعد بن معاذ ، وسعد ابن عبادة ، واتكأ عليهما حتى دخل بيته ، فناول سيفه ابنته فاطمة : فقال : « اغسلى عن هذا دمه يا نية ، فوالله لقد صدقنى اليوم » .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣٠٢ ، والطبرى فى تاريخه ٤٣٣/٢ .

وناول على بن أبى طالب رضى الله عنه زوجته فاطمة سيفه ، وقال : وهذا أيضًا فأغسلى عنه دمه ، فوا لله لقدصدقنى اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف ، وأبو دجانة » .

كما أخرج الحاكم فى المستدرك بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « جاء على رضى الله عنه بسيفه يوم أحد قد انحنى ، فقال لفاطمة رضى الله عنها : هاكى سيفى حميدًا ، فإنها قد شفتنى فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت أحدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دجانة ، وعاصم ابن ثابت بن الأقلح ، والحارث بن الصمة »[١] .

غزوة حمراء الأسد[٢]

بعد مغادرة جيش قريش أحدًا ، استقر بالروحاء - على بعد ثلاثة أميال بالمدينة - وهناك بداهم التآمر من جديد فى محاولة للإغارة على المدينة .

وجاءت الأخبار إلى المدينة ، بأن قريشًا تريد العودة لتستأصل المسلمين فى مدينتهم ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن دعا أصحابه للخروج لتعقب قريش، وزرع الخوف فى قلب من يفكر بالاعتداء على المدينة .

كانت غزوة أحد فى يوم السبت الخامس عشر من شوال ، وفى يوم الأحد، أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب قريش وقال : « لا يخرجن معنا

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٢٤ وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه ووافق الذهبى .

وعزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/١٢٣ وقال : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة ، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

إلا من حضر معنا القتال » ، فخرج الذين حضروا أحد من المسلمين ، واستاذن جابر بن عبد الله فى الخروج ، لأنه تخلفه عن أحد كان لعذر ، فأذن له ، وقال ابن أبى رأس المنافقين : أنا راكب معك ، فأبى عليه رسول الله ﷺ .

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وحمل اللواء على بن أبى طالب ، وساروا حتى وصلوا حمراء الأسد يوم الاثنين .

فقد روى الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها ، كما روى عنها عروة بن الزبير فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِمَا أَصَابَهُم القَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنهُم وَاتَّقَوا أَجرٌ عَظِيم ﴾ قلت لعروة : يا ابن أختى كان أبواك منهم : الزبير وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما اصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، قال : « من يذهب فى أثرهم ؟ » فانتدب منهم سبعون رجلاً ، قال : كان فيهم أبو بكر والزبير[1] .

وقال ابن كثير عقب ذكر هذا الحدث : « هذا سياق غريب جدًا ، فالمشهور عند أصحاب المغازى ، أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد هم كل من شهد أحدًا ، وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون ، وبقى الباقون[2] ، وقد جمع بينهما الشامى بقوله : والظاهر أنه لا تخالف بين قولى عائشة وأصحاب المغازى لأن معنى قولها ، فانتدب منهم سبعين ، أنهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون »[3] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب الذين استجابوا لله والرسول ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل طلحة والزبير .

(٢) سيرة ابن هشام ١٠١/٣ .

(٣) زاد المعاد ٢٤٣/٣ .

وروى الطبراني في معجمه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أحد ، وبلغوا الروحاء ، قال أبو سفيان : لا محمدًا قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، شر ما صنعتم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر بنى عيينة - فأنزل الله عز وجل ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ وذلك أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ : موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة ، فأتوه فلم يجدوا به أحدًا ، وتسوقوا فأنزل الله - عز وجل - ذكره « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء »(١)

وخرج رسول الله ﷺ ، وكان دليله ثابت بن ثعلبة الخزرجى ، وعسكر بحمراء الأسد ، ومر برسول الله ﷺ معبد بن أبى معبد الخزاعى - وهو يومئذ مشرك ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة - أى موضع سره وأهل مودته - نصح رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ومر معبد بأبى سفيان وأصحابه وقد هموا أن يرجعوا إلى رسول الله وأصحابه ، فقال له : ما وراءك يا معبد ؟ قال : قد خرج محمد فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله ، يتحرقون عليكم تحرقًا ، واجتمع إليهم من كان تخلف عنهم ، ونصحه بعدم العودة فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه فانصرفوا سراعًا .

---

(١) عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٢١/٦ للطبرانى وقال : رجاله رجال الصحيح غير محمد ابن منصور الجواز وهو ثقة .

وعند انصرافهم أرسل ابو سفيان مع نفر يريدون المدينة من عبد القيس ، أن يخبروا رسول الله ﷺ وأصحابه بأنهم أجمعوا على الرجعة ، فلما بلغوا رسول الله ﷺ ذلك قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وأرسل معبد الخزاعى رجلاً يخبر رسول الله ﷺ بانصراف أبى سفيان ومن معه خائفين .

فانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فوصلها يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وقد غاب رسول الله ﷺ خمسة أيام عن المدينة .

وفى غزوة حمراء الأسد وخروج المسلمين بجراحهم يقول سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾(١) .

طمع الأعراب والمنافقين واليهود فى المسلمين أثر أحد :

لقد كان لغزوة أحد من الآثار الشيء الكثير إذا انتقض على الإسلام وأهله كثير ممن هادنهم أو ما لأهم خوفًا منهم ، وعلى الرغم مما فعله النبى ﷺ من الخروج إلى حمراء الأسد ، وما أظهروه من مظاهر البأس إلا أن ما حدث فى أحد جعل الأعراب يتجرأون ويبدأون بمحاولة مهاجمة المدينة والإغارة عليها ونهب أموالها وخيراتها .

فمن ذلك تحريض طليحة وسلمه ابنى خويلد ، وكانا على رأس بنى أسد ، تحريضهما قومهما ومن أطاعوهما على مهاجمة المدينة والسير إلى

---

(١) سورة آل عمران الآيات ١٧٢ - ١٧٣ .

المسلمين فى عقر دارهم ، و لم يمضى على أحد أكثر من شهرين ونصف ، ومن ذلك أيضًا ، تجميع خالد بن سفيان بن مبيح الهذلى الجموع ليغزو المدينة فى نفس الوقت تقريبًا .

ولقد جرأت الحادثة أيضًا اليهود فى المدينة ليظهروا حقدهم الدفين على الإسلام وأهله ، ويسخرون من المسلمين علانية ، ويكررون محاولاتهم الغادرة للكيد للمسلمين والإسلام .

ولقد جرأت الحادثة أيضًا المنافقين ليظهروا نفاقهم ، وينبثوا بين صفوف المسلمين يشيعون الشائعات والدس محاولين بذلك تمزيق الصف الإسلامى .

لقد كان عبد الله بن أبى بن سلول له مقام بقومه كل جمعة لا ينكر لشرفه فى قومه ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ ليخطب الناس قام فقال : « أيها الناس : هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وغرروه ، واسمعوا له وأطيعوا » ثم يجلس ، إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت !! .

فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجرًا - أى أمرًا عظيمًا - أن قمت أشدد أمره ، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال : مالك وتلك ، فأخبره فقال له : أرجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ما ابتغى أن يستغفر لى .

زواج سيدنا عثمان بن عفان بالسيدة أم كلثوم رضى ا لله عنهما :

ذكر الواقدى أن عثمان بن عفان عقد على أم كلثوم بنت رسول ا لله ﷺ فى السنة الثالثة من الهجرة بعد وفاة أختها روقية عام بدر ، وكان عقده عليها فى ربيع الأول منها ، وبنى بها فى جمادى الآخرة منها .

وسيدنا عثمان بن عفان لما تزوج السيدة أم كلثوم بعد وفاة أختها روقيه ، كان يقال له : ذو النورين ، ولما خبطها من رسول ا لله ﷺ قال له : « لو كان لى يا عثمان عشرة لزوجتك واحدة بعد الأخرى » .

زواج النبى ﷺ بالسيدة حفصة رضى ا لله عنها :

كانت السيدة حفصه بنت عمر بن الخطاب رضى ا لله عنها زوجًا لخنيس بن حذافة السهمى ، وكان بدريًا توفى بعد بدر ، وقيل بعد أحد ، ولكن الأول أرجح .

روى البخارى([١]) فى صحيحه ، أن عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه عرضها على عثمان بعد وفاة زوجته رقية ، فقال : لا حاجة لى فى الزواج ، ثم عرضها على أبى بكر فسكت ، ولم يرجع له بقول ، حتى وجد عمر فى نفسه ، ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحها إياه ، وقد بين له الصديق بعد خطبة النبى لحفصة أن ما منعه من الجواب إلا أنه كان يعلم أن رسول ا لله ذكرها ، وأنه كره أن يفشى سر رسول ا لله ﷺ .

مولد الحسن بن على رضى ا لله عنهما :

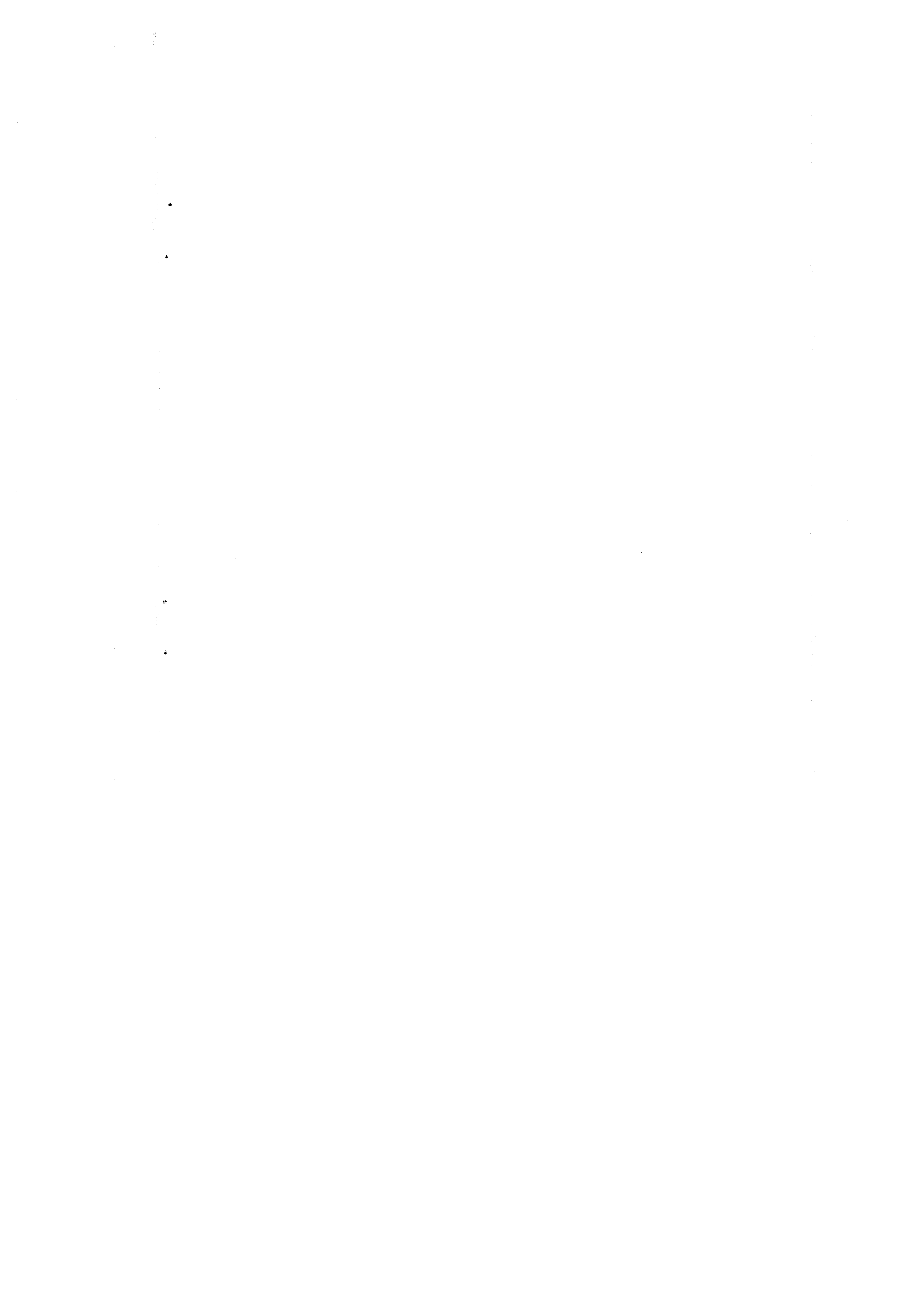
فى هذا العام - العام الثالث الهجرى - ولد للسيده فاطمة بنت رسول ا لله ﷺ ابنها الحسن بن على ، وكان مولده فى رمضان عند الأكثر ، وقيل بعد ذلك .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب النكاح : باب عرض الرجل ابنته أو أخته على أهل الخير.

الباب الخامس

أحداث العام الرابع للهجرة



الباب الخامس

أحداث العام الرابع للهجرة

سرية أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدى

سرية أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومى ، فى هلال المحرم ، إلى قطن(١) ، إلى طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين فقد بلغ النبى ﷺ أنهم قد جمعا الجموع لحرب النبى ﷺ ، فأرسل أبا سلمة على رأس سرية تعدادها خمسون ومائة رجلاً من الأنصار والمهاجرين ، فساروا حتى وصلوا إلى أرضهم ، فلما سمعوا بهم هربوا وتفرقوا ، وتركوا نعمًا كثيرة من الأبل والغنم ، فأغاروا عليها ، و لم يلق كيدًا .

سرية عبد الله بن أنيس الجهنى

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس الجهنى المدنى الأنصارى إلى سفيان ابن خالد بن نُبيح الهذلى بعُرنة(٢) لخمس خلون من المحرم سنة أربع من الهجرة .

روى أبو داود فى سننه ، بسنده من حديث عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال دعانى رسول الله ﷺ فقال : « إنه قد بلغنى أن خالد بن سفيان بن نُبيح يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بعرنة فأته فاقتله » ، قال : قلت يا رسول الله أنعته حتى أعرفه ، قال : « إذا رأيته وجدت له قشعريرة » .

---

(١) جبل بناحية فَيْد ، وقيل : ماء من مياه بنى أسد بنجد . وفى معجم البلدان : فَيْد : بليدة فى نصف طريق مكة من الكوفة ، وفيه : أنها أكرم نجد قريب من طىء .

(٢) عُرنة : موضع قريب من عرفة ، يحده من الجهة الغربية .

قال : فخرجت متوشحًا بسيفى ، حتى وقعت عليه بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً ، وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه أومىء برأسى الركوع والسجود .

فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ ، قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا ، قال : أجل أنا فى ذلك ، قال : فمشيت معه شيئًا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآنى فقال : «أفلح الوجه» ، قال : قلت : قتلته يا رسول الله : قال : « صدقت » ، قال : ثم قام معى رسول الله ﷺ فدخل فى بيته فأعطانى عصا ، فقال : « أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس » .

قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ ، قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرنى أن أمسكها، قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله لم أعطيتنى هذه العصا ؟ ، قال : «آية بينى وبينك يوم القيامة ، أن أقل الناس المختصرون(١) ، يومئذ يوم القيامة » ، فقرنها

---

(١) المختصرون : المتكئون على المخاصر ، والمخاصر : جمع مخصرة وهى ما يمسكه الإنسان بيده من عصا وخلافه ، والمقصود هنا : الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكئون عليها انظر : صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلى ص ٢٣٨ .

عبد الله بسيفه فلم تزل معه ، حتى إذا مات أمر بها ، فضمت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعًا »(١) .

وكانت عودته إلى المدينة يوم السبت لسبع بقين من المحرم ، سنة أربع من الهجرة ، بعد أن غاب ثمانية عشر يومًا .

سرية الرجيع(٢)

في صفر من السنة الرابعة للهجرة ، وفد على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة ، جاءوا إلى المدينة ، والتقوا برسول الله ﷺ ، وسألوا النبي ﷺ أن يرسل معهم من يعلم القرآن وشرائع الإسلام ، واستجاب لهم رسول الله ﷺ ، فبعث معهم بعشر(٣) من المؤمنين كما جاء في رواية البخاري فأخرج في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بعث رسول الله ﷺ عشرة عينًا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزولوه .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة : باب صلاة الطالب .
وأحمد في مسنده ٣/٤٩٦ مختصرًا .
والبيهقي في السنن ٣/٢٥٦
كما حسن إسناده الحافظ ابن حجر ، الفتح ٢/٢٥٠ .
وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٠٣ ، ١٠٤ للطبراني وقال : ورجاله ثقات .

(٢) الرجيع : ماء لهذيل بين مكة وعُسفان بناحية الحجاز .

(٣) ويقال ستة ، ففي رواية ابن سعد كونهم عشرة وهي موافقة لما أخرجه البخاري في صحيحه ، وذكر ابن اسحاق كونهم ستة .

فقالوا : تمر يثرب فاتبعوا آثارهم ، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع ، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم : أنزلوا فأعطوا أيديكم ، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا .

فقال عاصم بن ثابت : أيها القوم ، أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا ، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق ، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها .

قال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لى بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجروه وعالجوه ، فأبى أن يصحبهم فقتلوه ، فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر ابن نوفل خبيبًا - وكان خبيب هو الذى قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موس يستنجد بها ، فأعارته ، فدرج فتى لها وهى غافلة حتى أتاه ، فوجدته مجلسه على فخذه والموس بيده ، قالت : ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك .

قالت : والله ما رأيت أسيرًا ، قط خيرًا من خبيب ، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب فى يده ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة .

وكانت تقول : إنه لرزق رزقه الله خبيبًا ، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل ، قال لهم خبيب : دعونى أصلى ركعتين ، فتركوه ، فركع ركعتين ، فقال : والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت ، ثم قال : اللهم احصهم عددًا واقتلهم بددًا ، ولا تبق منهم أحدًا ، ثم أنشأ يقول :

فلست أبالى حين أقتل مسلمًا على أى جنب كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع(١)

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب سن لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة ، وأخبر - يعنى النبى ﷺ - أصحابه يوم أصيبوا خبرهم ، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشىء منه يعرف - وكان قتل رجلاً عظيمًا من عظمائهم - فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر(٢) فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا »(٣) .

قال ابن اسحاق : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية ابن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان - حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدًا عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ قال زيد : والله ما أحب أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى ، قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدا ، ثم قتله نسطاس .

---

(١) شلو ممزع : أى عضو ممزق .

(٢) الدبر : الزنابير ، أو ذكور النحل .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب فضل من شهد بدرًا وفى كتاب المغازى : باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان .
وأبوا داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى الرجل يستأسر .
وأحمد فى مسنده ٢/٢٩٥، ٣١٥ .

وأما الثلاثة الباقون قال الحافظ ابن حجر : لعلهم كانوا أتباعًا لهم فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم .

وقد أنزل الله تعالى فيهم من القرآن كما روى ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم قعدوا فى أهليهم ، ولاهم أدوا رسالة صاحبهم . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذى أصابهم فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(١) .

سرية المنذر إلى بئر معونة(٢)

أو سرية القراء

فى شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة ، وفد أبو براء عامر ابن مالك بن جعفر مُلاعب الأسنة ، على رسول الله ﷺ فدعاه للإسلام ، فلم يسلم و لم يبعد من الإسلام ، وقال لرسول الله ﷺ : لو أنك بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول

---

(١) سورة البقرة الآيات : ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٢) بئر معونة : موضع فى بلاد هذيل بين مكة وعسفان ، ماء لبنى عامر بن صعصعة . وقيل: قرب حرة بنى سليم على بعد عشرين فرسخًا من المدينة ، وهو صدر وادى العقيق .

الله ﷺ : « إنى أخشى عليهم أهل نجد » فقال أبو براء : أنا لهم جار فأبعثهم فليدعوا الناس لأمرك .

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو فى سبعين رجلاً(١) من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، وعروة بن أسماء بن الصلت ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وكانوا يعرفون بالقراء(٢) .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب ، وأوعز إلى رجل فأنفذه بالرمح من خلفه ، فقال حرام فزت ورب الكعبة .

فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل من بنى سليم : عصية ورعل وذكوان ، خرجوا حتى غشو القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم إلا كعب بن زيد ، وعمرو بن أمية الضمرى ، والمنذر بن محمد ، فأما كعب بن زيد ، فإنهم تركوه وبه رمق من الجراح التى لم تصب منه مقتلاً ، وقد عاش حتى قتل شهيدًا يوم الخندق .

---

(١) قيل عددهم ثلاثون ، وقيل أربعون ، وقيل سبعون وهو الذى فى الصحيح لحديث أنس رضى الله عنه الذى ذكر فيه أنهم سبعون . وهو الصحيح .

(٢) القراء : هم جماعة من حفظة القرآن ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، وقيل : أنهم شببة ، وكانوا يستعذبون الماء لرسول الله ﷺ ويحتطبون له ، حتى إذا كان الليل قاموا إلى السوارى للصلاة ، وقيل : وكان أهلهم يظنون أنهم فى المسجد ، وكان أهل المسجد يظنون أنهم فى أهليهم .

وكانا عمرو بن أمية الضمرى ، والمنذر بن محمد فى سرح القوم ، ولم يعلما بما حدث لأصحابهما إلا من الطير التى كانت تحوم العسكر فقالا : والله إن لهذا الطير لشأنًا ، فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة ، فقال المنذر لعمرو : ما ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر ، فقال المنذر بن محمد: لكننى لا أرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لأخبر عنه الرجال ، وقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرو بن أمية أسيرًا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبرهم ، قال : هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفًا ، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفًا .

وعندما علم رسول الله ﷺ بما حدث لأصحابه فى بئر معونة حزن حزنًا شديدًا ، وقد بلغ حزن النبى ﷺ أنه مكث شهرًا يدعو فى صلاة الصبح على رعل وذكوان وعصية .

ومما ورد من الحديث الشريف فى قصة أصحاب رسول الله ﷺ : ما أخرجه البخارى فى صحيحه - بسنده من حديث أنس رضى الله عنه قال : « إن رعلاً وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو ، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ ذلك رسول

ا لله ﷺ فقنت شهرًا يدعو فى الصبح على أحياء من أحياء العرب ، على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان »(١) .

وأخرج مسلم فى صحيحه(٢) بسنده عن حديث أنس رضى ا لله عنه قال: « جاء ناس إلى النبى ﷺ فقالوا : أن أبعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالى حرام ، يقرأون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء ، فبعثهم النبى ﷺ إليهم ، فعرضوا لهم فقتلوهم ، قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا ، أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا ، قال : وأتى رجل حرامًا - خال أنس - من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام : فزت ورب الكعبة ، فقال رسول ا لله ﷺ لأصحابه : « إن إخوانكم قد قتلوا ، وإنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ، فرضينا عنك ورضيت عنا » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة بنى الرجيع .
وفى كتاب الوتر : باب القنوت قبل الركوع وبعده .
وفى كتاب الجهاد : باب الإمام على من نكث عهدًا .
وفى كتاب الدعوات : باب الدعاء على المشركين .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد : باب استحباب القنوت فى جميع الصلاة ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة .
وأحمد فى المسند ١٦٧/٣ ، ٢٥٥ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب ثبوت الجنة للشهيد .

وأخرج أيضًا البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها : «... فقتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة ، وعن أبى أسامة قال : قال هشام بن عروة فأخبرنى أبى قال : لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى ، قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة . فقال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع ، فأتى النبى ﷺ خبرهم فنعاهم فقال : « إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا ورضيت عنا فأخبرهم عنهم » وأصيب يومئذ عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ، ومنذر ابن عمرو سمى به منذرًا »(١) .

وأخرج أبو داود فى سننه بسنده من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « قنت رسول الله ﷺ شهرًا متتابعًا فى الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح ، فى دبر كل صلاة ، إذا قال : « سمع الله لمن حمده » من الركعة الأخيرة ، يدعو على أحياء من بنى سليم ، على رعل وذكوان وعصية ، ويؤمن من خلفه »(٢) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه .
وفى كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبى وأصحابه إلى المدينة .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الصلاة : باب القنوت فى الصلاة .
والحاكم فى المستدرك ٢٢٥/١ وصححه وأقره الذهبى .
وأحمد فى مسنده ٣٠١/١ .

غزوة بنى النضير(١)

كانت هذه الغزوة فى ربيع الأول سنة أربع(٢) للهجرة ، وكان بين بنى النضير وبين المسلمين عهود مثل التى كانت بين بنى قينقاع وبين المسلمين .

خرج النبى ﷺ فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر الصديق وعمر وعلى رضى الله عنهم ، يستعينهم فى دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية بعد أخذ الأمان لهما ، فقالوا يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ، ثم هموا أن يرموا عليه صخرة من فوق جدار أحد البيوت ليقتلوه .

ونهاهم سلام بن مشكم فلم ينتهوا ، فقال لهم : لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم ، وإنه لنقض للعهد ، فأتاه الخبر من السماء ، وألهم الله رسوله بما يريد هؤلاء من بغى وعدوان .

فقام ﷺ مظهرًا أنه يقضى حاجة ، ورجع إلى المدينة وتبعه أصحابه ، فأخبرهم بما أرادت يهود من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم .

---

(١) بنو النضير قبيلة كبيرة من اليهود ، يقيمون بجوار المدينة ، ديارهم على مقربة من قباء .

(٢) وحدث اختلاف فى سنة إجلاء بنى النضير : جعلها ابن اسحاق بعد بئر معونة وأحد، ووافقه ابن حجر ، وأيده ابن القيم وخطأ من قال : أنها بعد بدر بستة أشهر وقال ابن القيم فى زاد المعاد ٣٤٩/٣ : « وزعم محمد بن شهاب الزهرى أن غزوة بنى النضير كانت بعد بدر بستة أشهر ، وهذا وهم منه أو غلط عليه ، بل الذى لا شك فيه أنها كانت بعد أحد ، والتى كانت بعد بدر بستة أشهر هى غزوة بنى قينقاع ، وقريظة بعد الخندق ، وخيبر بعد الحديبية ، وكان له مع اليهود أربع غزوات ، أولها : غزوة بنى قينقاع بعد بدر ، والثانية : بنى النضير بعد أحد ، والثالثة : قريظة والخندق ، والرابعة : خيبر بعد الحديبية ».

وحينئذ أرسل ﷺ إليهم محمد بن مسلمة يقول لهم : إن رسول الله ﷺ أرسلنى إليكم أن أخرجوا من بلادى ، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى ، لقد أجلتكم عشرًا فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه ، وقد فوجىء بنو النضير بهذا الإنذار ، وتملكهم الأسى والحيرة ولكنهم لم يجدوا بدًا من التسليم فبدأوا يتهيأون للرحيل من المدينة .

وبينما هم على هذه الحالة من الحيرة والتردد جاءهم عبد الله بن أبى بن سلول ومعه جماعة من أهل النفاق يقولون لهم أثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم : إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم .

فعنئذ تغير اتجاهم وتشبثوا بالبقاء أملاً فى مساعدة هؤلاء المنافقين ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ، ونابذوه بنقض العهد ، وقال فى شأنهم جل وعلا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(١) .

حصار بنى النضير وإجلاءهم عن المدينة :

ولما انقضت الأيام العشرة التى أمهلهم فيها رسول الله ﷺ و لم يخرج بنو النضير من ديارهم أمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(١) سورة الحشر : الآيات ١١ - ١٣ .

أما بنو النضير فتحصنوا فى حصونهم ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فحاصرهم عليه الصلاة والسلام ست ليال، وقيل خمس عشرة ليلة(١) ، ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون ذلك أدعى إلى إضعاف حماسهم للقتال ، ففزع اليهود وجزعوا ونادوا : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ ونسوا أن ذلك بإذن الله تعالى فقد قال فى محكم كتابه ﴿ ما قطعتم مِن لِينةٍ(٢) أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين ﴾(٣) .

وفى قطع النخيل وتحريقها ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « حرق رسول الله ﷺ نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، فنزلت ﴿ مَا قَطَعتمُ مِّن لِينَةٍ أَو تَركتمُوهَا قَائِمةً عَلَى أُصُولِها فبِإذنِ الله﴾.

وفى لفظ آخر له « أن النبى ﷺ حرق نخل بنى النضير ، قال : ولها يقول حسان بن ثابت :

وهان على سراء بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطير

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث :

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق فى نواحيها السعير
ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أى أرضينا تضير(٤)

---

(١) قال : بخمس عشرة ابن اسحاق وتبعه ابن الحزم ، أما القول بست ليال هو قول : الواقدى وابن سعد والبلاذرى وابن حيان .

(٢) لينة : النخلة أو نوع منها .

(٣) سورة الحشر : الآية ٥ .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة بنى النضير .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى الحرق فى بلاد العدو .
والترمذى فى سننه ، كتاب الجهاد والسير : باب فى التحريق والتخريب ، وفى كتاب التفسير : باب من سورة الحشر وقال : حسن صحيح .

ولما يئس اليهود من نصرة عبد الله بن أبى و لم يتقدم أحد لنجدتهم ، وملأ الرعب قلوبهم ، واشتد الحصار عليهم ، وأيقنوا أن حصونهم لا تمنعهم من سوء المصير ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يؤمنهم على أموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة .

فصالحهم النبى ﷺ على أن يخرجوا منها ولكل ثلاثة منهم بعيرًا يحملون عليه ما شاءوا من مال أو طعام أو شراب ليس لهم غيره ، وصاروا يخربون بيوتهم بأيديهم ليحملوا منها ما استطاعوا مما يحرصون عليه ، ولئلا ينتفع بها المسلمون .

وقد نزل بعضهم بخيبر كيحيى بن أخطب ، وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة ابن الربيع ، وسار الباقون إلى أذرعات بالشام .

أخرج الحاكم فى مستدركه - بسنده من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « ... وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل والأمتعة والأموال إلا الحلقة - يعنى السلاح - فأنزل الله فيهم ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنتُم أَن يَخْرُجُوا ﴾ ، فقاتلهم النبى ﷺ حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا ، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ، ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى ، وأما قوله : ﴿ لِأَوَّلِ الحَشْرِ ﴾ فكان ذلك أول حشر فى الدنيا إلى الشام»(١) .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤٨٣/٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبى .

وقد ترك بنو النضير وراءهم مغانم كثيرة من غلال وسلاح وعقار ودور ، خمسين درعًا وثلاثمائة وأربعين سيفاً ، ولما كان المسلمون قد أخذوها صلحًا بدون قتال ، فكانت فيئًا من حق رسول الله ﷺ يتصرف فيها كيف شاء ، وقد قسمها على المهاجرين دون الأنصار بعد أن استبقى منها قسمًا جعلت غلته للفقراء والمساكين .

وهكذا كان جزاء من خانوا وغدروا ، ولم يفوا بالعهد ، هؤلاء قوم لاخلاق ولا عهد ولا ميثاق لهم ، فكان لابد من إجلاءهم لإنهاء المتاعب المتلاحقة بسببهم ، وتخليص المسلمين من شرورهم .

وفى سبب نزول سورة الحشر ، أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال سعيد بن جبير : قلت لابن عباس : سورة التوبة قال : التوبة هى الفاضحة ، مازالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تبق أحدًا منهم إلا ذكر فيها ، قال : قلت : سورة الأنفال ، قال : نزلت فى بدر قال : سورة الحشر قال : نزلت فى بنى النضير (١) .

غزوة بدر الصغرى(٢)

خرج رسول الله ﷺ فى شعبان سنة أربع من الهجرة ، ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه ، وعشرة أفراس ، واستخلف على المدينة عبد الله بن

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب حديث بنى النضير .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب التفسير : باب فى سورة براءة والأنفال والحشر .

(٢) وتسمى أيضًا غزوة بدر الموعد ، وبدر الصغرى ، وبدر الآخرة .

رواحة(١) ، وحمل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وجاء المسلمون بتجارات لهم إلى بدر - حيث كانت بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة فى شعبان ، يقيم فيها التجار ثمانية أيام يتبادلون فيها التجارة - فربحت ربحًا كثيرًا ، قال عثمان بن عفان رضى الله عنه : ربحت للدينار ديناراً .

وخرج أبو سفيان فى أهل مكة ، وهم ألفان ومعهم خمسون فرسًا ، حتى بلغوا مَجَنة(٢) من ناحية مر الظهران ، ثم ألقى الرعب فى قلبه ، ثم قال : أرجعوا لا يصلحنا إلا عام خصب غيداق ، نرعى فيه الشجر ، ونشرب اللبن فيه ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع فارجعوا . فسمى أهل مكة ذلك الجيش ، جيش السويق ، أى أنهم خرجوا لشرب السويق لا للحرب .

وقيل فى سببها : أن أبا سفيان قال يوم أحد : الموعد بيننا وبينكم بدر رأس الحول ، فقال النبى ﷺ : (نعم) .

وقدم نعيم بن مسعود الأشجعى مكة ، فأخبر أبا سفيان وقريشًا بتهيؤ المسلمين لحربهم ، وكان عام جدب فأعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين ، واعتل بجدب الأرض ، وجعل له جعلاً على أن يذهب إلى المسلمين بالمدينة فيرجف فيها بكثرة جموع أبى سفيان وعظم جيشه ، وعدته ، فذهب نعيم وقال للنبى ﷺ إن قريشًا قد جمعت لكم الجموع فقال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد » ولم يلتفت المسلمين إلى ما أرجفه وخرجوا ، ونصرهم الله وأذهب عنهم ما ألقى فى نفوسهم من رعب .

---

(١) وقال ابن هشام : استعمل عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول .

(٢) وقيل : عُسفان .

فأنزل الله سبحانه وتعالى في المؤمنين : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

ومن وفيات هذا العام :

وفاة أبي سلمة : عبد الله بن عبد الأسد بن هلال القرشي المخزومي ، كان من السابقين الأولين ، وكان وزوجه من المهاجرين إلى الحبشة ، وكان أول من هاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً وأحدًا وأصيب فيها بجرح ثم برأ وبعثه النبي ﷺ في سرية في أول العام الرابع الهجري ، فلما عاد من سريته انتقض جرحه ، فمات رضي الله عنه لثلاث بقين من جمادى الأولى .

وفاة عبد الله بن عثمان بن عفان ، ابن السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنها ، وكان حينئذ ابن ست سنين ، فصلى عليه رسول الله ﷺ .

مواليد هذا العام :

مولد الحسين بن علي ، وهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولد في شهر شعبان من العام الرابع من الهجرة .

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٧٢ - ١٧٤ .

اختلف في سبب نول هذه الآيات ، فعن مجاهد وعكرمة أنها نزلت في هذه الغزوة وقال أكثر المفسرين : نزلت في غزوة حمراء الأسد المتقدمة بعد أحد مباشرة (معالم التنزيل للبغوي ٣٧٤/١) . وذكر الواقدي في المغازي : أن الآية الأولى في غزوة حمراء الأسد وهاتين الآيتين في غزوة بدر الآخرة (المغازي للواقدي ٣٨٨/١) .

تزوج رسول الله ﷺ بزينب بنت خزيمة :

في شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله ، وكانت تدعى أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها وإحسانها إليهم ، وأصدقها ﷺ اثنتى عشرة أوقية ونصف ، وكانت قبل النبى ﷺ تحت الطفيل بن الحارث فطلقها ، ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث فقتل يوم بدر ، وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد ، ولما كان زوجها ممن استشهدوا يوم بدر و لم يكن لها من بعده من يعولها فقد تزوجها رسول الله ﷺ ، ليضرب المثل لأصحابه فى التضحية كى يقتدوا به فى الزواج من أمثالها ممن فقدن ويفقدن أزواجهن فى سبيل الله ، ومكثت عنده ثمانية أشهر ، وقيل لم تمكث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها ، و لم يمت من أزواجه ﷺ فى حياته إلا هى والسيدة خديجة .

تزوج النبى ﷺ بأم سلمة :

وفى ليال بقين من شوال تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة هند بنت أبى أمية ابن المغيرة ، وقد كانت قبله عند أبى سلمة وهو من المسلمين السابقين ، وقد أصيب زوجها فى غزوة أحد ثم مات شهيدًا ، فعزاها الرسول الله ﷺ قائلاً : « سلى الله أن يؤجرك فى مصيبتك ويخلفك خيرًا » فقالت : ومن يكون خيراً من أبى سلمة ، وقد خطبها كل من أبى بكر وعمر فلم تقبل .

فخطبها ﷺ ، فقالت : إنى مسنة ، وذات أيتام وشديدة الغيرة ، فقال : أما الصبية فإلى الله ورسوله ، وأدعوا الله لك فيذهب عنك الغيرة ، وأما السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك ، فدعا لها فكان كذلك .

واختلف فيمن ولى تزويجها : فقال ابن سعد فى كتابه (الطبقات) : ولى تزويجها منه ﷺ : سلمة بن أبى سلمة دون غيره من أهل بيتها .

وذكر الواقدى أن الذى ولى تزويجها ابنها عمر ، وهو غلام صغير ورد بأنه كان له من العمر حينئذ ثلاث سنين، وقيل إن الذى زوجها من رسول الله ﷺ ابن عمها عمر بن الخطاب، وقال ابن الجوزى: إن رسول الله ﷺ لا يفتقر نكاحه إلى ولى(١) .

وكان زواج النبى ﷺ لأم سلمة جبراً لخاطرها وحفظًا لها ولأولادها من الضيعة .

وتوفيت رضى الله عنها فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح.

تعلم زيد بن ثابت كتاب اليهود :

فى هذه السنة أُمر زيد بن ثابت بتعلم كتاب اليهود ، روى أبو داود فى سننه بسنده عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود وقال : « إنى والله ما آمن يهود على كتاب » . قال : فما مر بى نصف شهر حتى تعلمته(٢) .

---

(١) وجملة ما قيل فى ذلك : أما كون الذى زوجها من الرسول ﷺ ابنها عمر : فقد ورد هذا بلفظ صريح فى رواية أخرجها النسائى فى كتاب النكاح : باب إنكاح الابن لأمه ، وصححه الحافظ بن حجر فى الإصابة ٢٢٣/٨ ، إلا أن ابنها عمر كان صغيرًا فى ذلك الوقت لذلك فهذا القول دار عليه كلام كثير .

وأما كون الذى زوجها سلمة ابنها أيضًا فهو قول ابن اسحاق والبلاذرى والقرطبى فى التفسير وصححه .

وهناك قول ثالث مبنى على ما ورد فى الحديث كما فى المسند وغيره أن الذى زوجها (عمر) دون ذكر لفظ (ابنها) الذى انفرد به النسائى ، لذلك قالوا : إن المقصود هو عمر ابن الخطاب رضى الله عنه . (الإرشاد إلى سيرة المصطفى ص ٢٥١ ، ٢٥٢ بالهامش) .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب العلم : باب رواية حديث أهل الكتاب .

والترمذى فى سننه، كتاب الاستئذان : باب ما جاء فى تعليم السريانية . وقال : حسن صحيح.

وأخرجه البخارى تعليقًا فى كتاب الأحكام : باب ترجمة الحكام ، وهل يجوز ترجمان واحد ؟



الباب السادس

أحداث العام الخامس للهجرة

الباب السادس

أحداث العام الخامس للهجرة

غزوة دومة الجندل(١)

حدثت هذه الغزوة فى ربيع الأول من سنة خمس للهجرة ، عندما بلغ رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعًا كثيرًا يظلمون من مرَّ بهم ، ويريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ للخروج إليهم ، فخرجوا فى ألف من المسلمين ، واستعمل على المدينة : سباع بن عرفطة الغفارى ، وكان يسير الليل ويكمن النهار ، وكان معه مذكور العددى من بنى غفار دليلاً ، فلما دنا من دومة الجندل قال له الدليل : يا رسول الله ، سوائمهم ترعى عندك ، فأقم حتى أطلع لك ، فأقام وخرج الدليل طليعة حتى وجد آثار النعم والشاة ، فرجع فأخبر النبى ﷺ ، فسار حتى هجموا على الماشية والرعاء ، فأصابوا من أصابوا ، وهرب من هرب .

فلما علم أهل دومة الجندل رعبوا وتفرقوا ، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحدًا ، فأقام أياماً ، وبث السرايا فعادت كل سرية بإبل و لم تلق أحدًا، إلا أن محمد بن مسلمة أخذ رجلاً منهم ، فأتى النبى ﷺ فسأله عن أصحابه فقال : هربوا أمس لما سمعوا أنك أخذت نعمهم . وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم .

---

(١) مدينة بشمال المدينة تبعد عنها خمس عشرة ليلة ، على الحدود بين الحجاز والشام ، تقرب من دمشق الشام خمس ليال .

ورجع رسول الله ﷺ وصحابته إلى المدينة فى العشرين من ربيع الآخر ، وصالح رسول الله ﷺ وهو عائد عيينة بن حصن الفزارى ، وهو الذى كان يسميه رسول الله ﷺ « الأحمق المطاع » ، وقد أقطعه الرسول أرضًا يرعى فيها دوابه على بعد ست وثلاثين ميلاً من المدنية ، لأن أرضه كانت قد أجدبت .

غزوة بنى المصطلق(١)

أو غزوة المريسع(٢)

وقت الغزوة :

قيل كانت فى يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس ، ذهب إلى هذا الرأى : الواقدى ، وتبعه ابن سعد ، وهو قول قتادة وعروة كما فى دلائل البيهقى ، وقول موسى بن عقبة وابن سعد وابن قتيبة والبلاذرى ، والذهبى وابن القيم وابن حجر وابن كثير .

ويؤيد هذا الرأى والقائلين به ، ما روى البيهقى عن عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهرى أنه قال : « ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس » .

وقال ابن كثير : قال موسى بن عقبة عن الزهرى : « هذه مغازى رسول الله ﷺ التى قاتل فيها ، يوم بدر فى رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد فى

---

(١) المصطلق : لقب لخزيمة بن كعب ، وهم بطن من خزاعة .

(٢) المريسع : ماء بنى خزاعة ، بينه وبين الفرع نحو من يوم ، وبين الفرع والمدينة ثمانية برد .

شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبنى قريظة - فى شوال سنة أربع ، ثم قاتل بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس » .

وقال البخارى : كانت سنة ستة ، وقال بذلك أيضًا ابن إسحاق ، وتبعه خليفة بن خياط ، وابن جرير الطبرى ، وابن حزم وابن عبد البر وابن العربى ، وابن الأثير ، وابن خلدون .

وقال ابن عقبة : كانت سنة أربع ، كذا ذكره البخارى مع قوله السابق - أى أنها كانت سنة ستة - فى هذه الغزوة ، ذكره فى كتاب المغازى ، باب غزوة بنى المصطلق من خزاعة وهى غزوة المريسيع ، لكن تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله : وكأنه سبق قلم ، أراد أن يكتب سنة خمس ، فكتب سنة أربع ، والذى فى مغازى موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابورى ، والبيهقى فى الدلائل وغيرهم سنة خمس ، ورجح الحافظ : كونها فى سنة خمس(١) .

وعلى أية حال ، فى شعبان سنة خمس للهجرة ، بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشًا على حرب المسلمين فى أحد بقيادة رئيسهم الحارث بن أبى ضرار يجمعون الجموع لحربه ، ولغزو المدينة ، وقد أطمعها فى التفكير على ذلك انتصار المشركين فى غزوة أحد ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أعد عدته ، وخرج إليهم فى سبعمائة من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة أبا ذر الغفارى وقال ابن سعد : استخلف زيد بن حارثة ، وقيل غيرهما .

وأعطى رآية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ، ورآية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وساروا حتى دهموهم وهم عند ماء لهم يسمى « المريسيع » وهم غارون(٢) وأنعامهم تسقى الماء .

---

(١) انظر : فتح البارى ٤٣٠/٧ ، كتاب المغازى : باب غزوة بنى المصطلق وغزوة أنمار .

(٢) غارون : غافلون .

أخرج الشيخان في صحيحهما بسنديهما عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : « أن ابن عوف قال : كتبت إلى نافع فكتب إلى النبى ﷺ أغار على بنى المصطلق ، وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية ، حدثنى به ابن عمر وكان فى ذلك الجيش »(١) .

فأمر عمر بن الخطاب فنادى فيهم : أن قولوا أن لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم . فأبوا ، فترامو بالنبل ، ثم أمر رسول الله المسلمين فحملوا حملة رجل واحد ، فقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين إلا هشام بن صبابة ، فقتله أحد الأنصار ظناً أنه من الأعداء ، وقد غنم المسلمون غنائم كثيرة : ألفى بعير وخمسة آلاف شاة ، هذا عدا السبايا من النساء والأسارى من الرجال .

وكان شعار المسلمين فى غزوة بنى المصطلق (يا منصور : أمت أمت) ، روى الطبرانى بسنده عن سنان بن وبره قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة المريسيع غزوة بنى المصطلق فكان شعارهم : يا منصور أمت أمت »(٢) .

قصة جويرية بنت الحارث وزواج النبى ﷺ بها :

فقد كانت من السبايا جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق وقعت فى سهم ثابت بن قيس أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، فأتت رسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب العتق: باب من ملك من العرب رقيقًا فوهب وباع.
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد : باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب من دعاء المشركين .
وأحمد فى مسنده ٣١/٢ ، ٣٢ ، ٥١ .

(٢) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٢/٦ وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط وقال : إسناده حسن .

أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس أو لا بن عم له فكاتبته على نفسي فجئت أستعينك على كتابتي .

والقصة كاملة روتها السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت : « لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت ابن قيس بن الشماس ، أو لا بن عم له ، وكاتبته على نفسها ، وكانت امراة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها. قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكرهتها ، عرفته أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت ابن قيس بن الشماس أو لا بن عم له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابي. قال : « فهل لك خير من ذلك » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : «أقضى كتابك وأتزوجك » ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : « قد فعلت ».

قالت : « وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بيديهم ، قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعظم امرأة أعظم بركة على قومها منها »(١) .

وبفضل حكمة رسول الله ﷺ بهذا التصرف أسلم بنو المصطلق طواعية ، وصاروا أعوانا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم ، فقبل لحظة كانت خزاعة تقاتله ، فلما استأصلها رفق بها وصاهرها ، وتبعه أصحابه ، وأصبحوا من أهله بعد أن كانوا بالأمس من أعدائه .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٧/٦ . وقال الساعاتي في الفتح الرباني ١٠٩/١٤ - ١١٠ سنده جيد .

محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين فى هذه الغزوة :

بينما المسلمون على الماء يستقون ، وكان مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود الغفارى يقود فرس عمر، فازدحم جهجاه وسنان بن دبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصاح الجهنى : يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه ، يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الحيين وشهروا السلاح ، حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة .

فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فإنها منتنة » وأزال ما بينهما خلاف وأخمد الفتنة .

وفى ذلك أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « كنا مع النبى ﷺ فى غزوة ، قال : يرون أنها غزوة بنى المصطلق ، فكسع(١) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصارى : ياللأنصار ، وقال المهاجرى : يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « ما بال دعوى جاهلية ؟ » قالوا : يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : « دعوها فإنها منتنة » .

فسمع بذلك عبد الله بن أبى فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام عمر فقال : يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبى ﷺ : دعه لا يتحدث الناس

---

(١) كسع : ضرب دبره أخرجه بيده أو برجله أو بسيفه .

أن محمدًا يقتل أصحابه ، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم أن المهاجرين كثروا بعد »(١) .

ولكن عبد الله بن أبى رأس المنافقين وزعيمهم أراد أن يوقظ هذه الفتنة فقال وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم : أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله مانحن وهم إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يأكلك». أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على الحاضرين من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فسعى إلى رسول الله ﷺ فأخبره وعنده عمر بن الخطاب سيف الحق ، فاستأذن رسول الله ﷺ فى قتله ، أو أن يأمر به من يقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، ولكن آذن بالرحيل » .

وحين علم ابن أبى سلول أن رسول الله ﷺ قد بلغه ما تكلم به ، ذهب إلى النبى ﷺ وأنكر أنه قال ما قال ، وقد حلف على كذبه هذا .

أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى سفر أصاب الناس فيه شدة ، فقال عبد

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير : باب قوله ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴾ .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب البر والآداب والصلة : باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلوماً .

والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب من سورة المنافقين . وقال : حسن صحيح .

وأحمد فى مسنده ٣/٣٩٢ ، ٣٩٣ .

الله بن أبى لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله » .

وقال : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأتيت النبى ﷺ فأخبرته ، فأرسل إلى عبد الله بن أبى فسأله ، فاجتهد يمينه ما فعل ، قالوا : كذب زيد يا رسول الله ﷺ فوقع فى نفسى ما قالوا شدة حتى أنزل الله - عز وجل - تصديقى فى قوله : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ ﴾ فبعث إلىَّ النبى فقرأ فقال : ﴿ إن الله قد صدقك يا زيد ﴾(١) .

وارتحل النبى ﷺ بالمسلمين فى وقت لم يكن يرتحل فيه ، فلقيه أسيد بن خضير ، وبعد أن حياه بتحية الإسلام قال : « يا نبى الله ، والله لقد رحلت فى ساعة منكرة ، ما كنت تروح فى مثلها » ، وهذا يعنى ساعة قيامهم بالرحيل عند الظهيرة فى غير حيينه ..

فرد عليه رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ فقال أسيد : وأى صاحب يا رسول الله ؟ فرد عليه : عبد الله ابن أبى ، قال أسيد : وما قال ؟ فقال ﷺ : زعم أنه إن رجع المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

فقال أسيد : فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك استلبته ملكًا .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير (سورة المنافقين) : باب إذا جاءك المنافقون .
ومسلم فى صحيحه فى صفات المنافقين .
والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب ومن سورة المنافقين . وقال حسن صحيح .
وأحمد فى المسند ٣٦٩/٤ ، ٣٧٣ .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك ، حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا من الأرض فوقعوا نيامًا ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبى .

وفى أثناء ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى سورة المنافقين ، وفيها صحة ما نقله زيد بن الأرقم من مقالة عبد الله بن أبى بن سلول ، وفيها قوله عز وجل : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وعندها أخذ رسول الله ﷺ بأذن الغلام الصادق زيد بن الأرقم وقال : «هذا الذى أوفى الله بأذنه» .

وعلم عبد الله بن عبد الله بن أبى ما نزل بحق أبيه ، فقصد إلى رسول الله ﷺ يحاوره فيما لو أراد قتله ، وأنه سيتولى هذا الأمر ، لأنه لا يقوى أن يرى قاتل أبيه ، وقد يضطر إلى قتل مؤمن بكافر .. فهون عليه رسول الله ﷺ إذا قال : بل به نترفق ونحسن صحبته ما بقى معنا .

أخرج البزار فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبى وهو فى ظل أطم(٢) فقال : عبر علينا ابن أبى كبشة

(١) سورة المنافقون الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) أطم : جدار مرتفع .

(يعنى بذلك رسول الله) فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله : يارسول الله ، والذى أكرمك لئن شئت لآتيتك برأسه ، فقال : « لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته»(١).
هذا كان موقف عبد الله بن عبد الله بن أبى من أبيه ، أروع مثل للتضحية والإيمان ، وهذا هو موقف النبى الكريم ﷺ أروع مثل فى العفو والرحمة .

حادثة الإفك(٢)

هذه الحادثة ، هى الثانية التى تمخضت عنها غزوة بنى المصطلق ، ولكن هذه كانت أشد وقعًا وأكثر ظلمًا وشناعة ، لأنها تناولت سيدة من سيدات بيت النبوة ، ألا وهى أقرب وأحب زوجات رسول الله ﷺ ، ألا وهى السيدة عائشة رضى الله عنها .

ونترك السيدة عائشة رضى الله عنها ابنة الصديق تروى لنا هذا الحدث الرهيب كما حدث - لا كما أرجف به المنافق ابن أبى بن سلول ، وصدقه آخرون - وهذه هى الحادثة - كما رواها الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن السيدة عائشة رضى الله عنها - واللفظ للبخارى - قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه فأقرع بيننا فى غزوة غزاها(٣) فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب ، فأنا أحمل فى هودجى ، وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين آذن(٤) ليلة بالرحيل .

---

(١) عزاه الهيثمى فى المجمع ٣١٨/٩ للبزار وقال : ورجاله ثقات .

(٢) الإفك : الكذب ، ويراد به هنا قذف السيدة عائشة ضى الله عنها .

(٣) غزوة غزاها : هى غزوة بنى المصطلق . كما هو فى رواية أبى يعلى فى مسنده عن عائشة ٤٥٠/٤ .

(٤) آذن : أعلم .

سبب تأخر السيدة عائشة عن الركب :

فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش - يعنى لقضاء حاجتها - فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى ، فإذا عقد لى من جزع ظفار(١) قد انقطع فالتمست عقدى ، وحبسنى ابتغاؤه .

وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت ، وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة(٢) من الطعام ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا .

فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فأممت منزلى الذى كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون إلىّ ، فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى(٣) من وراء الجيش ، فادلج(٤) فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتانى فعرفنى حين رآنى ، وكان يرانى قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه(٥) حين عرفنى ، فخمرت - غطيت - وجهى بجلبابى ، والله ما كلمنى كلمة ، ولا

---

(١) جزع ظفار : خرز يمانى .

(٢) العلقة : القليل من الطعام .

(٣) صفوان بن المعطل : صحابى جليل ، أول مشاهدة المريسيع ، ويقال الخندق ، وبحسبه تزكية قول الرسول ﷺ فيه : « ما علمت عليه إلا خيراً » . وفى الصحيح أنه قتل شهيدًا فى سبيل الله ، فقيل : استشهد فى غزوة أرمينية فى خلافة عمر بن الخطاب سنة تسع عشرة ، وقيل بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض الروم فى خلافة معاوية (الفتح ٨/٣٧١).

(٤) أدلج : سار آخر الليل .

(٥) الاسترجاع : قوله إنا لله وإنا إليه راجعون .

سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلتـه فركبتهـا ، فـانطلق يقـود بـى الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة ، فهلك من هلك ، وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى بن سلول .

انتشار الإفك فى المدينة :

فقدمنا المدينة ، فاشـتكيت حـين قدمـت شـهرًا والنـاس يفيضـون فـى قـول أصحاب الإفك لا أشعر بشىء من ذلك ، وهو يريبنى(١) فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حـين أشـتكى ، إنمـا يدخـل علـىّ رسول الله ﷺ ثم يقول « كيف تيكم ؟ » ثم ينصرف ، فـذاك يريبنـى ولا أشـعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت(٢) ، فخرجت مـع أم مسـطح قبـل المنـاصع(٣) وهو متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل .. فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنـة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخـر بـن عـامر خالـة أبـى بكـر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى وقد فرغنـا مـن شأننا ، فعثرت أم مسطح فى مرطها ، فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها ؛ بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بـدراً ؟ قـالت : أى هنتـاه(٤) أو لم تسـمعى مـا قـال ؟ قلت: وما قال ؟ فأخبرتنى بقول أهل الإفك .

فازددت مرضاً على مرضى ، فلما رجعت إلى بيتى ودخل علىّ رسـول الله ﷺ ثم قال : « كيف تيكم ؟ » فقلت : أتأذن لى أن آتى أبوى ؟ وأنا حينئذ أريـد

---

(١) يريبنى : أوهمه وشكله .

(٢) نقهت : برأت من المرض .

(٣) المناصع : مكان خارج المدينة لقضاء الحاجة .

(٤) هنتاه : يعنى يا هذه .

أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لى رسول الله ﷺ ، فجئت أبوى فقلت لأمى : يا أمتاه ، ما يتحدث الناس ؟ فقالت : يا بنية هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة(١) عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها(٢) . فقلت : سبحان الله ، أو قد تحدث الناس ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى .

استشارة رسول الله ﷺ بعض أصحابه عند تأخر الوحى :

فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستأمرهما فى فراق أهله ، فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً ، وأما على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك .

فدعا رسول الله ﷺ بريرة ، فقال : « أى بريرة ، هل رأيت من شىء يريبك ؟ » قالت : بريرة : لا والذى بعثك بالحق ، إن رأيت عليها أمراً أغمصه(٣) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن(٤) فتأكله .

---

(١) وضيئة : حسنة مبهجة جميلة .

(٢) أكثرن عليها : القول فى عيبها .

(٣) أغمصه : أعيبه .

(٤) الداجن : الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم .

قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر : « يا معشر المسلمين من يعذرني(١) من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمت عن أهلي إلا خيرًا ، لقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي » فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

آثار فتنة الإفك :

فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج - وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ، ولكن احتملته(٢) الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن خضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ، فأصبح أبواي عندي، وقد بقيت ليلتين ويومًا .. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ ثم جلس ، ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها .

---

(١) يعذرني : من ينصرني عليه وينتقم منه .

(٢) احتملته : أي غلبته العصبية .

حديث رسول الله ﷺ لعائشة وجوابها له :

وقد لبث شهرًا لايوحى إليه فى شأننا ، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : « أما بعد : يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه » فلما قضى مقالته قلص دمعى(١) حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبى : أجب رسول الله فيما قال ، قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ، فقلت لأمى : أجيبى رسول الله ، قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله ، قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث الذى استقر فى أنفسكم، وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم إنى بريئة - لا تصدقوننى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنى منه بريئة - لتصدقنى ، والله ما أجد لكم ولى مثلاً إلا قول أبى يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشى ، وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، وأن الله مبرئى ببراءتى ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيًا يتلى ، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فىّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها .

---

(١) قلص دمعى : أى ارتفع وجف من شدة الحزن .

نزول الوحى ببراءة السيدة عائشة رضى ا لله عنه :

فوا لله ما رام[١] رسول ا لله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء[٢] ، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان[٣] من العرق وهو فى يوم شات من ثقل الوحى الذى ينزل عليه .

فلما سرى عن رسول ا لله ﷺ سرى عنه وهو يضحك ، فكان أو كلمة تكلم بها : « يا عائشة أما وا لله عز وجل فقد برأك » ، فقالت أمى : قومى إليه ، فقلت : وا لله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا ا لله عز وجل ، وأنزل ا لله عز وجل : ﴿إِنَّ الذِينَ جَآءُوا بالإفكِ عُصبَةٌ مِنكُم ...﴾ العشر الآيات كلها - يعنى إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ا للهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] .

فلما أنزل ا لله هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : وا لله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذى قال لعائشة - يعنى عنها - ما قال ، فأنزل ا لله : ﴿ وَلاَ يأتَلِ أُوَلُواْ الفَضلِ مِنكُم وَالسَّعَةِ أَن يؤتُوا أُولِى القُربَىٰ والمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرينَ فِى سَبِيلِ ا للهِ وَليعفُوا وَليصفَحُوا أَلاَ تحِبُّونَ أَن يَغفِرَ ا للهُ لكُم وَا للهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥] .

قال أبو بكر : بلى وا لله إنى أحب أن يغفر ا لله لى !! فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : وا لله لا أنزعها منه أبدًا . قالت عائشة : وكان

---

(١) ما رام : ما برح وما فارق مجلسه .

(٢) البرحاء : الحالة التى كانت تعتريه عند الوحى .

(٣) الجمان : هو اللؤلؤ الصغار .

(٤) سورة النور الآيات : ١١ - ٢٠ .

(٥) سورة النور الآية : ٢٢ .

رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمرى ، فقال : « يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ » فقالت : يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيرًا ، قالت : وهى التى كانت تساميني[١] من أزواج رسول الله ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك »[٢] .

الذى تولى كبر الإفك :

والذين خاضعوا فى الحديث الآثم هو رأس المنافقين وعظيمهم : ابن أبى ، وحمنة بنت جحش ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت .

أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: « وكان الذى يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبى ، وهو الذى يستوشيه وهو الذى تولى كبره منهم هو وحمنة »[٣] .

---

(١) تناظرنى وتحرص على أن تكون لها حظوتى عنده ﷺ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير : باب سورة النور وفى المغازى : باب حديث الإفك .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب التوبة : باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب سورة النور .

وأحمد فى مسنده ٥٩/٦ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب تفسير سورة النور : باب قوله ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ﴾ .

ومسلم فى كتاب التوبة ، باب حديث الإفك .

والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب تفسير سورة النور .

إقامة الحد على القاذفين :

لما نزلت الآيات ببراءة عائشة أقام النبى ﷺ الحد على مسطح وحسان وحمنة .

روى الترمذى فى سننه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لما نزل عذرى قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم »(١) .

وأما ابن أبى رأس النفاق ، فقيل إنه لم يحد سياسة وتأليفًا لقومه وأتباعه ، وإلى هذا ذهب ابن القيم فى الهدى ، والذى رجحه الحافظ ابن حجر(٢) : أنه أقيم عليه الحد استنادًا إلى ما رواه الحاكم فى الإكليل .

موقف صفوان بن المعطل من حسان بن ثابت :

قال ابن اسحاق : حدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج : فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب ومن سورة النور . وقال : حسن غريب.

وابن ماجه فى سننه ، كتاب الحدود : باب حد القذف .

وأبو داود فى سننه ،

وأحمد فى مسنده ٦١/٦

(٢) فى فتح البارى ٣٨٨/٨ .

ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتلته ، قال عبد الله بن رواحه : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال : لا والله ، قال: لقد اجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : « أحسن يا حسان ، أتشوفت على قومي ، أن هداهم الله للإسلام » ثم قال : « أحسن يا حسان في الذي أصابك » قال : هي لك يا رسول الله »(١).

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٥/٢ ، وابن جرير ٦١٨/٢ ، والبيهقي في الدلائل ٧٤/٤ - ٧٥ .
وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة ص ١٢٨ سنده صحيح وقد وصلها موسى بن عقبة في مغازيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .
وعزاه الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٣٤ - ٢٣٦ للطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح .

غزوة الخندق

أو غزوة الأحزاب

لا زالت قريش تتحين الفرصة للقضاء على المسلمين ونبيهم ، وخاصة بعد أن عاكسهم الحظ و لم يتمكنوا من الخروج فى بدر الآخرة ، التى كانت ردًا على أبى سفيان حيث توعد المسلمين بعد غزوة أحد .

و لم تكن قريش وحدها التى تريد القضاء على النبى ﷺ وعلى المسلمين ، بل كانت الأعراب أيضًا ، وكذلك اليهود من بنى قينقاع وبنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة .

وفى هذه الظلمات المتكاثفة من الشر والفتنة والغدر ، أخذ اليهود يجوسون خلال الديار ، سواء بين القبائل ، أو فى قريش يقلبونهم ضد رسول الله ﷺ وصحابته ، حيث أخذ سادتهم وكبراؤهم ينتقلون فى أرجاء الجزيرة العربية لكى يثيروا العرب على محمد وأصحابه ، و لم يتركوا سبيلاً للكيد إلا وسلكوه .

حيث وجد اليهود أن الإسلام لا يزال ينتشر وتقوى شوكة المسلمين واليهود تتقلص وتمحق ، ورسول الله ﷺ يزداد فوزاً ونصرًا ، وعزاً ومكانة عند أصحابه .

وذلك أنه لما أجلى ﷺ بنى قينقاع ، ثم أتبعهم ببنى النضير من المدينة إلى خيبر ، لما وقع منهم من الحقد والغدر والخيانة ، وجدوا بها من يهود قومًا أهل عدد وجلد ، وليس لهم من البيوت والأحساب ما لبنى النضير ، فخرج منهم وفد على رأسهم حيى بن أخطب النضرى ، وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع

ابن أبى الحقيق ، ونفر من وائل حتى قدموا على قريش ، فدعوهم إلى حرب النبى ﷺ وقالوا : نحن معكم حتى نستأصل محمدًا ، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله، فرحبت قريش بمقدمهم ، واستجابوا لدعوتهم ، وحرضوهم على مواصلة ما عزموا عليه .

وانتهزت قريش وجود وفد يهود ، فقال أبو سفيان : يا معشر يهود ، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أديننا خيرًا أو دينه ؟ فنحن عمار البيت ننحر اللحوم ، ونسقى الحجيج ، ونعبد الأصنام. فقالت يهود : اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتنحرون البدن ، وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم ، فأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾(١) .

واستمرت اليهود فى تأليب القبائل ، فخرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إن نصروهم .

ثم خرجت يهود فطافوا على بنى سليم ، فوعدوهم المسير معهم إذا خرجت قريش ، وطافوا أيضًا على بنى مرة ، وبنى فزارة ، وبنى أشجع وبنى سعد وأسد ، وكل من له عند المسلمين ثأر ، يحرضونهم ويعلمونهم أن قريشًا معهم .

---

(١) سورة النساء الآيتان : ٥١ - ٥٢ .

وتجمعت الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين ، وعندما أهل شوال سنة خمس(١) من الهجرة ، خرجت أحزاب المشركين من كل جانب ، فخرجت قريش وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب فى أربعة آلاف من قريش ، وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن أبى طلحة العبدرى ، ومعهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير ، وخرجت غطفان ويرأسها عيينة بن حصن الأحمق المطاع ، وكان معه ألف فارس ، وخرج بنو مرة يرأسها الحارث بن عوف المرى ، وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن رخيلة ، وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس ، وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدى ، وخرج غيرهم من القبائل ، فكان مجموع الأحزاب المشركة عشرة آلاف مقاتل ، وكان قائدهم العام أبو سفيان بن حرب .

وعندما علم رسول الله ﷺ بتحزب الأحزاب ، وما اجتمعوا عليه من الأمر، فاستشار أصحابه ، أيقيمون فى المدينة أم يخرجون للقاء العدو ؟ فأشار سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال : يا رسول الله كنا بفارس إذا حوصرنا وتخوفنا الخيل خندقنا علينا، وبهذا عرض سلمان الفارس على رسول الله ﷺ أن يحفر المسلمون خندقًا فى الجهة الشمالية،لأن الأحزاب لا تستطيع النفاذ إلى المدينة إلا منها.

فأعجب رسول الله ﷺ بهذه الفكرة واستحسنها ، ودعا لسلمان بالخير .

---

(١) ذهب إلى هذا القول ابن سعد فى الطبقات ، والبيهقى فى السنن وقطع به الذهبى ، واعتمده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، وأبى عبيد فى الأموال . وقال ابن كثير : « وقد كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن اسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفًا وخلفًا ، وقد صرح الزهرى بأن الخندق قد كانت بعد أحد بسنتين ، ولا خلاف أن أحداً فى شوال سنة ثلاث » سيرة ابن كثير ٣/ ١٨٠ .

حفر الخندق :

وبدأ المسلمون يعملون فى حفر الخندق ، وكان الجو بارداً ، ورسول الله ﷺ يعمل معهم بيديه ، ويحمل التراب بنفسه ، وجعل رسول الله ﷺ لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها .

وكانت غزوة الخندق هى أول غزوة حضرها سلمان الفارسى مع رسول الله ﷺ ، لأنه كان قبلها تحت الرق . وأحتق المهاجرون والأنصار فى سلمان كل يريد أن يكون من قبيله ، فحسم الرسول الأمر بقوله : « سلمان منا أهل البيت».

وفى حفر الخندق أخرج الشيخان فى صحيحهما(١) بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون فى غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبداً

وفى لفظ آخر قال : « جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمدًا على الإسلام ما بقينا أبداً

قال : يقول النبى ﷺ وهو يجيبهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك فى الأنصار والمهاجرة » قال : يؤتون بملىء كفى من الشعير ، فيصنع لهم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب غزوة الأحزاب وهى الخندق .

بإهالة(١) سنخ توضع بين يدى القوم ، والقوم جياع ، وهى بشعة فى الحلق ولها ريح منتن » .

وأخرج أيضًا الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق ، حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه - وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ، وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزل سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

قال : ثم يمد صوته بآخرها »(٢) .

هذا فى جانب المؤمنين الصادقين ، أما عن المنافقين فقد أبطأوا عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ، يتخاذلون ، ويتسللون إلى أهليهم دون إذن الرسول الله ﷺ ، وجعل الرجل من المسلمين إذا أراد أن يقضى حاجته استأذن النبى ﷺ ، فيأذن له ، وإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخير واحتساباً له ، فأنزل الله سبحانه وتعالى فى أولئك المؤمنين قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) الإهالة : الدهن الذى يؤتدم به .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .

ومسلم فى صيحه ، كتاب الجهاد والسيرة : باب غزوة الأحزاب .

باللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِر لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١) .

وأنزل الله تعالى فى المنافقين الذين يتسللون من العمل بغير إذن رسول الله ﷺ قوله عز وجل : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَد يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَد يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢) .

معجزاته ﷺ فى غزوة الأحزاب

إبصاره قصور الملوك وإعطاؤه مفاتيح ملكهم :

وبينما يحفر المسلمون الخندق عرضت لهم صخرة بيضاء صلدة شق عليهم كسرها ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها - يعنى المدينة - حتى كأنها مصباح فى ليل مظلم ، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « لقد أضاء لى من الأولى قصور الحيرة ، ومدائن كسرى، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ومن الثانية القصور الحمر من أرض الروم، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ومن الثالثة قصور صنعاء ، وأخبرنى

---

(١) سورة النور الآية : ٦٢ .

(٢) سورة النور الآيتان : ٦٣ ، ٦٤ .

وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة قصور صنعاء ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا » فاستبشر المسلمون وقالوا : موعود صادق[١] .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكينا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال : « بسم الله ، فضرب ضربة كسر ثلثها ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية ، فقطع الثلث الآخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة »[٢] .

ولقد صدق رسول الله ﷺ ، إذا لم يمر على هذه الحادثة إلا وقتاً قليلاً حتى فتحت هذه البلاد كلها ودخلت تحت لواء الإسلام .

تكثيره ﷺ لطعام :

وأقام المسلمون على الخندق قرابة شهر حتى حفروه ، وأصابتهم مجاعة ، فروى لنا أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه رأى النبي ﷺ يوم الخندق عاصبًا بطنه بحجر من الجوع ، وأنهم لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقًا .

---

(١) روى هذه القصة ابن اسحاق ، والطبرى ، والطبرانى . وروى أصلها الإمام البخارى فى صحيحه .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٠٣/٤ .

والنسائى فى سننه ، كتاب الجهاد : باب غزوة الترك .

والبيهقى فى الدلائل ٤١٧/٣ - ٤١٨ ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٣٩٧/٧ .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً(١) فانكفأت(٢) إلى امرأتى، فقلت لها : هل عندك شيء ؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا ، فأخرجت لى جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة(٣) داجن(٤) ، قال : فذبحتها وطحنت ، ففزعت إلى فراغى ، فقطعتها فى برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ ومن معه ، قال : فجئته فساررته ، فقلت : يا رسول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت فى نفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ وقال : « يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سوراً(٥) فحيهلا بكم».

وقال رسول الله ﷺ : « لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم ، حتى أجيء » . فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس ، حتى جئت امرأتى، فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلت الذى قلت لى ، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك، ثم قال:«ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى فى برمتكم(٦) ولا تنزلوها»،

---

(١) خمصاً : خلاء البطن من الطعام .

(٢) انكفأت : رجعت وانقلبت .

(٣) البهيمة : السخلة الصغيرة من ولاد المعز .

(٤) داجن : ما ألف البيوت .

(٥) سوراً : السور ، الطعام الذى يدعى إليه .

(٦) اقدحى فى برمتكم : أى أغرفى .

وهم ألف . فأقسم با لله إلا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا(١) . وإن برمتنا لتغـط(٢) كما هى ، وإن عجينتنا - أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو»(٣) .

وعند الانتهاء من حفر الخندق ، خرج رسول ا لله ﷺ بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف رجل ، وستة وثلاثون فرساً ، وجعل لواء المهاجرين بيـد زيـد بـن حارثـة ، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة ، واستعمل على المدينـة ابـن أم مكتـوم ، وأمـر الذرارى والنساء فجعلوا فوق الأطام (الحصون) ، وأسند ظهر الجيش إلى جبـــل (سلع) وجعل الخندق بينه وبين المشركين .

وكان رسول ا لله ﷺ يبعث سلمة بن أسـلم الأنصـارى فـى مـائتى رجـل ، وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة رجل يحرسون المدينـة ، ويظهـرون التكبـير خوفًـا على الذرارى والنساء من غدر بنى قريظة ، لأنهم كانوا من داخل الخندق إلى المدينــة ، وشكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ، فصارت كالحصن .

الأحزاب أمام الخندق :

بعد أن انتهى العمـل فـى حفـر الخنـدق ، أقبلـت الأحـزاب حتـى جـاوزت المدينة، وإذ بهم أمام الخندق ، وقفوا فى دهشة وتعجب ، واشتدت بهـم الحـيرة ،

---

(١) تركوه وانحرفوا : أى شبعوا وانصرفوا .

(٢) لتغط : تغلى ويسمع غليانها .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الأشربة : باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثـق برضـاه .
والحاكم فى المستدرك ٣/٣٠ ، ٣١ .
وأحمد فى مسنده ٣/٣٠ .

لأن العرب لم يكن لهم عهد بهذا النوع من السلاح للدفاع فى حروبهم ، وتمركزت قريش ومن تابعها حول الخندق ، واتخذت غطفان ومن تبعها من أهل نجد مكان آخر ... يفصل الخندق بين النبى وأصحابه وبين جيش الأحزاب .

وعلى الجانب الآخر ، كان الرسول الله ﷺ والمسلمون ، يشددون الحراسة، ويتبادلونها ، حتى لقد كانت للرسول الله ﷺ نوبته فكان يخرج إليها أحيانًا فى الليل المظلم والبرد القارس .

ورأت الأحزاب أن لا سبيل إلى اجتياز الخندق ، وعرفت قريش والأحزاب أن الأمد سيطول بهم ، فاكتفوا بالترامى بالنبال عدة أيام ، وأيقنوا أنهم سيقيمون أيامًا فى هذا الشتاء البارد العاصف .

شعار المسلمين يوم الخندق :

كان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق : (حم لا ينصرون) .

أخرج الحاكم فى مستدركه بسنده عن المهلب بن أبى صفرة عن البراء بن عازب يحدث عن النبى ﷺ قال : « وهو يخاف أن يبيته أبو سفيان فقال : « إن بيتم فادعوا حم لا ينصرون »(١) .

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ١٠٧ برواية لم يصرح فيها بالبراء بن عازب وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين إلا أنه فيه إرسال فإذا الرجل الذى لم يسمه المهلب بن أبى صفرة البراء بن عازب ، وقد أخرجه الحاكم أيضًا فى نفس الصفحة برواية عن البراء ابن عازب بإسناد المهلب وصرح فيه باسم البراء .

وأحمد فى المسند ٦٥/٤ ، ٢٨٩ ، ٣٧٧/٥ .

والترمذى فى سننه ، كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء فى الشعار .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى الرجل ينادى بالشعار .

بنى قريظة ونقضهم للعهد :

كان رئيس بنى قريظة : كعب بن أسد القرظى ، قد عقد عهدًا مع رسول الله ﷺ لقومه بنى قريظة ، ووادعه ، فخرج حيى بن أخطب زعيم بنى النضير حتى كعب بن أسد القرظى زعيم بنى قريظة وصاحب عهدهم ، فلما سمع به كعب أغلق بابه دونه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب افتح لى ، قال : يا حيى إنك إمرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدًا فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا ، قال : ويحك افتح لى أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله ما أغلقت بابك إلا خوفاً على جشيشتك أن آكل معك منها ، فغضب كعب حينما سمع هذه الكلمة وفتح له ، فقال ويحك يا كعب لقد جئتك بعز الدهر وبحر طام ، قال : وما ذاك ؟ قال:جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، وبغطفان على قادتها وسادتها ، وقد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه ، فقال كعب : جئتنى - والله - بذل الدهر وبجهام(١) قد هراق ماءه ، فهو يرعد ببرق ليس فيه شىء ، ويحك يا حيى فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء .

فلم يزل حيى بكعب يستميله بشتى الحيل والأساليب ، حتى غلبت عليه يهوديته فاستجاب له ، ونقض عهده مع رسول الله ﷺ ، ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العهد إلا بنى سعفة : أسد وأسيد وثعلبة ، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ ووفوا بالعهد .

---

(١) الجهام : السحاب الرقيق لا ماء فيه .

ولما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ، ومحمد بن عمرو ، وأسيد بن حضير ، وقال : « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فألحنوا إلى لحناً أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس ، وإن كان على وفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به الناس » .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوا أن الخبر صحيح ، ووقعوا فى رسول الله ﷺ ونالوا منه ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فجعل سعد بن معاذ يشاتمهم فأغضبوه ، فقال له سعد بن عبادة ، دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ، وقال أسيد بن حضير : أتسب سيدك يا عدو الله ، ما أنت كفء يابن اليهودية ، لتولين قريش إن شاء الله منهزمين وتتركك فى عقر دارك .

ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فقالوا : عضل والقارة ، أى غدروا بنا كما غدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين » ، ثم تقنع بثوبه واضطجع ، ومكث طويلاً ، فعرفوا أنه لم يأته خبر عن بنى قريظة ، ثم رفع رأسه وقال : « ابشروا بفتح الله ونصره » .

وانتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بنى قريظة العهد ، فاشتد الخوف وعظم البلاء ، فقد أتاهم العدو من فوقهم وهى قريش ومن معها من القبائل ، ومن أسفل منهم وهم يهود بنى قريظة .

أجل لقد عظم الكرب واشتد البلاء بالمسلمين ومرت بهم لحظات مريرة وأوقات عصيبة ، وتنوعت الظنون ، وكثرت الوساوس ، فأما المؤمنين الصادقون فازدادوا إيمانًا ، وأيقنوا أن نصر الله لابد أن يكون للمسلمين ، والهزيمة للأحزاب، وأما المنافقون فقد كشفوا عن نفوسهم المريضة حتى أن بعضهم قال : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط وقد سجل الله ذلك فى كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾(١) .

ثم يتمادى هؤلاء المنافقون فى غدرهم وخيانتهم ، فينسحبون من صفوف المؤمنين ، وقد عزم بعضهم على الرجوع إلى المدينة ، وتعلل بعضهم بأن بيوتهم عورة ، مكشوفة غير محصنة ، واستأذنوا النبى ﷺ ورجعوا ، أرادوا أن يضعفوا شوكة المسلمين بانسحابهم فأمد الله المسلمين بقوته ، وكانوا يطمعون فى الغنائم فأفاءها الله على المؤمنين وباء المنافقون بالخسران .

أراد المنافقون أن يخفوا حقيقتهم عن الرسول فكشف الله سترهم وفضح أمرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِنهُم يَـٰٓأَهلَ يَثرِبَ لَا مُقَامَ لَكُم فَارجِعُواْ . وَيَستَـٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَورَةٌ وَمَا هِيَ بِعَورَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴾(٢) .

اقتحام بعض المشركين الخندق :

وعندما علمت قريش ومن معها نقض بنى قريظة للعهد الذى بينهم وبين رسول الله ﷺ ، شجع ذلك بعض المشركين على اقتحام الخندق ، وممن حاول

---

(١) سورة الأحزاب الآية:١١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ١٣.

الاقتحام ، عمر بن عبدود أشجع فارس فى العرب ، وقد قاتل بدر حتى أثبتته الجراح فتخلف عن أحد .

وقد استطاع أن يقتحم بفرسه الخندق من ناحية ضيقة فيه ، فنادى وهو مقنع بالحديد : من يبارز ؟ فقام على بن أبى طالب فقال : أنا لها يا نبى الله ، فقال له النبى : إنه عمرو ، اجلس ، ثم نادى عمرو : ألا رجل منكم يبرز ؟ أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون إلى رجلاً ؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله ، فقال الرسول له : اجلس ، ولكن عمراً تمادى فى غيه وأخذ يصيح فبرز إليه على بن أبى طالب وقال له : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ؟ قال : أجل - قال : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام فقال لا حاجة لى بذلك ، فقال له : فإنى ادعوك إلى النزال ، قال له : لم يا ابن أخى فوالله ما أحب أن اقتلك ؟ فقال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك ، فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على على فتنازلا وتجادلاً ، فقتله على رضى الله عنه ، وولى غيره ممن حاول اقتحام الخندق من المشركين هارباً .

ثم لما قتل على رضى الله عنه عمرو بن عبدود العامرى ، وانهزم من اقتحم الخندق من المشركين ، تبعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه ، فحمل على هبيرة ابن وهب زوج أم هانىء أخت على بن أبى طالب فضرب ثغر فرسه فقطعه ، وسقط درعه وهرب ، وتبع عمر بن الخطاب ضرار بن الخطاب بن مرداس ، وصار يشتد فى أثره فهرب ، ورمى عكرمة بن أبى جهل رمحه وهو منهزم عن عمرو بن عبدود .

وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له بعدما غربت الشـمس يريـد أن يجتاز الخندق ، فهوى هو والفرس فصرعا ، وقيـل بـل نـزل إليـه علـى بـن أبـى طالب فقتله ، وقيل قتله الزبير بن العوام .

ورمى سعد بن معاذ يؤمئذ بسهم فقطع أكحله(١) ، وكان جرحه سببًا فـى وفاته .

وكان المسلمون يتناوبون الحراسة بينهم ، وكانوا فى برد شديد وجوع ليـلاً ونهاراً ، حتى لا يقتحمه المشركون ، وكان رسول الله ﷺ يحرس بنفسه ثلمة فيه.

إشغال المشركين المسلمين عن الصلاة يوم الخندق :

لقد ضيق المشركين الحصار على رسول الله ﷺ يوم الخندق حتى شـغلوهم عن الصلاة .

روى الشيخان فى صحيحيهما بسـنديهما عـن علـىّ كـرم الله وجهـه عـن النبى ﷺ أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غـابت الشـمس »(٢) . وروى الشـيخان أيضًـا - فـى

(١) الأكحل : عرق فى الذراع .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد : باب التغليظ فى تفويت صلاة العصر .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الصلاة : باب فى وقت الصلاة .
والنسائى فى سننه ، كتاب الصلاة : باب المحافظة على صلاة العصر .
وابن ماجه فى سننه ، كتاب الصلاة : باب المحافظة على صلاة العصر .
وأحمد فى مسنده ٧٩/١ ، ٨١ ، ١١٣ وغيره .

صحيحيهما بسنديهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « إن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس يسب كفار قريش وقال : يا رسول الله ، ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبى ﷺ : «والله ما صليتها» ، فنزلنا مع النبى ﷺ بطحان ، فتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب »(١) .

مفاوضة الرسول ﷺ زعيم بنى غطفان لتخفيف الحصار :

كان رسول الله ﷺ ليبحث عن وسيلة يفرق بها جمع الأحزاب ، فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن قائد غطفان ، وإلى الحارث بن عوف المرى قائد بنى مرة ، بالصلح ، على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة ويرجعان بمن معهما ، فقبلا .

فجرى بينه ﷺ وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ، و لم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المراوضة فى ذلك .

ومن منطلق مبدأ الشورى الذى أرسى قواعده رسول الله ﷺ ، أرسل إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد : باب الدليل لمن قال أن الصلاة الوسطى صلاة العصر .

والترمذى فى سننه ، كتاب الصلاة : باب فى الرجل إذا فاته الصلوات بأيهم يبدأ .

وابن ماجه فى سننه ، كتاب الصلاة : باب المحافظة على صلاة العصر .

وأحمد من مسنده ١/٤٠٤ - ٤٥٦ .

ا لله أمراً تحبه فنطيعه ، أم شيئًا أمرك ا لله به لابد لنا من العمل به ، أم شـيئًا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، وا لله ما أصنع ذلك إلا أننـى رأيـت العـرب قـد رمتكم عن قوس واحدة ، كالبوكم(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسـر عنكـم من شوكتهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معـاذ : يـا رسـول ا لله ، قـد كنـا نحـن وهؤلاء القوم على الشرك با لله وعبـادة الأوثـان لا نعبـد ا لله ولا نعرفـه ، وهـم لا يطمعوا أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً فحين أكرمنا ا لله بالإسلام وهدانا إليـه وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ وا لله مالنا بهذا من حاجـة ، وا لله لا نعطيهـم إلا السيف حتى يحكم ا لله بيننا وبينهم ، قال رسول ا لله : « فأنت وذاك » .

فتناول سعد بن معـاذ الصحيفـة فمحـا مـا فيهـا مـن الكتـاب ، ثـم قـال : ليجهدوا علينا .

الخدعة فى الحرب :

بينما هذا الضيق وتلك البلاء ، أراد ا لله سبحانه وتعالى أن يجعل الفرج بعـد الضيق وأن يجعل اليسر بعد العسر ، فرجل من المشركين اسمه نعيم بن مسعود أتـى رسول ا لله ﷺ ، مسلماً وعرض عليـه تنفيـذ أى أمـر يريـده النبـى ﷺ فقـال : يـا رسول ا لله ، أنى قد أسلمت ، وأن قومى لم يعلموا بإسـلامى ، فمرنـى بمـا شئت فقال رسول ا لله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة – وكان لهم نديمًا – فقال : يا بنـى قريظـة تعرفون ودى لكم ، وخوفى عليكم ، وإنى محدثكم حديثًا فـأكتموه عنـى ، قـالوا

---

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم .

نعم لست عندنا بمتهم ، فقال : لقد رأيتم ما وقع ببنى قينقاع والنضير ، وإن قريشًا وغطفان ليسوا مثلكم ، فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها وإلا انصرفوا لبلادهم، وما أنتم فتساكنون الرجل - يريد الرسول - ولا طاقة لكم بحربه وحدكم ، فأرى أن لا تدخلوا فى هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم ، بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفًا منهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه . فاستحسنوا رأيه وقالوا : قد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشًا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم ، وفراقى محمدًا ، وأنه قد بلغنى أمر قد رأيته لى حقا، أن أبلغكموه نصحًا لكم ، فاكتموا عنى ، قالوا : نفعل ، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : أنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فنضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ، فأرسل إليهم : أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم هذا عن رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهموننى . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عنى ، وقالوا : نفعل . ثم قال لهم ما قال لقريش وحذرهم .

وهكذا تألب بعضهم على بعض ، واختفت الثقة فيما بينهم ، وأصبح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالغدر والخيانة .

فاضطربت نفوس الأحزاب وزعماؤهم وأخذوا يتشاورون فيما بينهم كي يلتمسوا طريقًا لحل هذه المشكلة ، وأرادوا أن يتأكدوا من كلام نعيم فأرسل أبو سفيان زعيم قريش وفداً لبنى قريظة يدعوهم للقتال غداً - وكان ليلة سبت - فأجابوا لا يمكننا أن نقاتل فى السبت ، ولم يصبنا ما أصابنا إلا من التعدى فيه ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تذهبوا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به .

وحينئذ لم يبق لدى قريش وغطفان شك فى صدق كلام نعيم بن مسعود ، وتحققوا أن اليهود من بنى قريظة يريدون لهم الشر والوبال فنفرت القلوب وخاف بعضهم بعضاً .

دعاء رسول الله ﷺ وأصحابه :

وفى هذه الشدائد وتلك البلايا ، كان رسول الله ﷺ وصحابته يتوجهون إلى الله عز وجل ويتضرعون أن يذهب عنهم الأحزاب ويبدلهم بعد شدتهم فرحاً.

أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن ابن أبى أوفى رضى الله عنه قال : « دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم »(١) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .
ومسلم فى صحيحه، كتاب الجهاد والسير : باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو.
والترمذى فى سننه ، كتاب فضائل الجهاد : باب ما جاء فى الدعاء عند القتال .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى كراهية تمنى لقاء العدو .

وأخرجا كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعز جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده »(١) .

وأخرج أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « قلت يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقوله ، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال : نعم ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا » .

تحسس الأخبار عن المشركين :

وكان رسول الله ﷺ ، كثير الدعاء ، دائم الصلاة ، مستيقظاً لا ينام ، حتى تتضح الأمور ، وتجلى الظلمة ، يرسل من يتحسس له أخبار المشركين .

أخرج أحمد في مسنده بسنده من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : فعن محمد بن كعب القرظي قال : « قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم : يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد(٢) .

قال : والله لو أدركنا ما تركناه يمشي على الأرض ، ولجعلناه على أعناقنا ، قال : فقال حذيفة : يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هوياً(٣) ، ثم التفت إلينا فقال : « من رجل يقوم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي : باب غزوة الخندق .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل .

(٢) نجهد : في مشقة شديدة .

(٣) هوياً : الحين الطويل من الزمان .

فينظر لنا ما فعل القوم ، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع ، أدخله الله الجنة »، فما قام رجل ، ثم صلى رسول ﷺ هربًا ، ثم التفت إلينا فقال : « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ، أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة » ، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف ، وشدة الجوع، وشدة البرد .

فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله ﷺ فلم يكن لى بد فى القيام حين دعانى فقال : « يا حذيفة فاذهب فادخل فى القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا » ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم ، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل ، لا تقر لهم قدر ، ولا نار ، ولا بناء ، فقام أبو سفيان بن حرب فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه ، فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى جنبى ، فقلت من أنت ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع(١) وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث ، فما أطلق عقله ، إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله لا تحدث شيئًا حتى تأتينى ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى فى مرط(٢) لبعض نسائه مرحل(٣) ، فلما رآنى أدخلنى إلى رحله ، وطرح عليه طرف المرط ،

---

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .

(٢) مرط : كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلفع به المرأة .

(٣) مرحل : فيه خطوط .

ثم ركع وسجد وإنه لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا إلى بلادهم »(١) .

هزيمة الأحزاب :

كان رسول الله ﷺ لا يفتر طيلة هذه الأيام والليالى عن الاستغاثة والتضرع والدعاء لله عز وجل أن يؤتى المسلمين النصر ، ولما أراد الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ الفوز والنصر ، استجاب الله تعالى لرسوله والمؤمنين ، ونزل المدد من السماء وأرسل الله عليهم ريحًا شديدة فى ليلة شاتية باردة ، فهدمت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وأطفأت نيرانهم ، وفعلت فيهم جنود الله غير المرئية الأفاعيل، فامتلأت قلوبهم رعباً وخوفاً وقضى الله على المشركين باتخاذلهم وتفرق كلمتهم .

وأخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور »(٢) .

أما كيف انهزم المشركون على كثرتهم ، بعد ثبات المؤمنين وصبرهم وصدق التجائهم إلى الله تعالى ، فقد وصف الله ذلك فى كتابه المبين حيث قال: ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذكُرُواْ نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إِذ جَآءَتكُم جُنُودٌ فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَّم تَرَوهَا ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيراً إِذ جَآءُوكُم مِّن فَوقِكُم وَمِن

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب غزوة الأحزاب .
والحاكم فى المستدرك ٣١/٣ ، وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبى .
وأحمد فى مسنده ٣٨٢/٥ - ٣٩٣. واللفظ له .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الاستسقاء : باب قول النبى ﷺ نصرت بالصبا .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب صلاة الاستسقاء : باب فى ريح الصبا والدبور .

أَسفَل مِنكُم وإِذ زَاغَتِ الأَبصَارُ وَبلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِا للهِ الظُنُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ا للهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِم لَم يَنَالُوا خَيراً وَكَفَى ا للهُ المؤمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ ا للهُ قَوِياً عَزِيزاً ﴾(١) .

وكان الذى استشهد يوم الخندق ستة هم : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس ابن عتيك بن عمرو بن عبد الأشهل ، وعبد ا لله بن سهل ، من بنى عبد الأشهل ، وهؤلاء الثلاثة من الأوس . والطفيل بن النعمان الخزرجى ، وثعلبة بن غنمة الخزرجى ، وكعب بن زيد من بنى دينار بن النجار ، أصابه سهم لم يعرف راميه فقتله ، رضى ا لله عنهم أجميعن .

وقتل من المشركين يوم الخندق ثلاثة هم : منبه بن عثمان من بنى عبد الدار، أصابه سهم فمات بمكة منه ، ونوفل بن عبد ا لله بن المغيرة المخزومى ، قتل فى الخندق ، وعمرو بن عبدود العامرى من بنى عامر بن لؤى .

الغلبة للمسلمين بعد غزوة الأحزاب :

تحول ميزان القوة بعد معركة الأحزاب ، ووعد النبى ﷺ أصحابه أن لا يغزوهم المشركون بعد هذا بل هم الذين سيغزونهم .

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث جابر بن عبد ا لله رضى ا لله عنهما قال : إن رسول ا لله ﷺ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعاً كثيرة فقال: رسول ا لله ﷺ : « لا يغزوكم بعدها أبداً ولكن نغزوهم »(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب الآيات : ٩ - ٢٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الخندق .
وأحمد فى مسنده ٢٦٢/٤ .

العودة إلى المدينة :

بعد أن منّ الله تعالى على المسلمين بالنصر ، عاد الرسول ﷺ وصحابته إلى المدينة وهم يكبرون ويهللون ويقولون : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : آيبون تائبون ، عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده .

كما وضع النبي ﷺ عند وصوله المدينة سلاحه ، أخرج الطبراني - في المعجم الأوسط - بسنده من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال : « لما رجع النبي ﷺ من طلب الأحزاب ، فنزل المدينة وضع لامته ، واغتسل واستجمر»(١) .

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٠/٦ وعزاه للطبراني في الأوسط وقال : رجاله ثقات. كما أورده ابن حجر في المطالب العالية ونسبه لإسحاق بن راهويه وقال : هذا إسناد حسن .

غزوة بنى قريظة

وبعد أن أتم ا لله سبحانه وتعالى نعمته على المسلمين بهزيمة الأحزاب ، وبعد أن انصرف رسول ا لله ﷺ ، ووضع السلاح ، جاءه جبريل عليه السلام الظهر فقال : إن الملائكة ما وضعت السلاح بعد ، إن ا لله يأمرك أن تسير إلى بنى قريظة، فإنى عامد إليهم ، فمزلزل بهم .

وفى أمر جبريل عليه السلام بالخروج إلى بنى قريظة : روى الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث عائشة رضى ا لله عنها قالت : « لما رجع النبى ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح ، واغتسل أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : قد وضعت السلاح ، وا لله ما وضعناه ، فأخرج إليهم ، قال : (فا إلى أين ؟) قال : ها هنا ، وأشار إلى قريظة ، فخرج النبى ﷺ إليهم »(١) .

من أجل ذلك نادى رسول ا لله ﷺ فى نفس اليوم الذى تم فيه رحيل الأحزاب فقال : « لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة ، فساروا مسرعين وكان عددهم ثلاثة آلاف .

وحث النبى ﷺ الصحابة على المسير إلى بنى قريظة ، فقد أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث ابن عمر رضى ا لله عنهما قال : « قال النبى ﷺ يوم الأحزاب : « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » . فأدرك بعضهم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب جواز قتال من نقض العهد .
وأحمد فى مسنده ٦/٥٦ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ٢٨٠ .

العصر فى الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلى حتى نأتيهم ، وقال بعضهم : بل نصلى ، فلم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فلم يعنف أحد منهم »(١) .

كما شارك جبريل عليه السلام فى محاربة بنى قريظة ، فقد أخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كأنى انظر إلى الغبار ساطعاً فى زقاق بنى غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة »(٢) .

وسبب غزوة بنى قريظة نقض اليهود العهد الذى بينهم وبين رسول الله ﷺ، وذلك أن حيى بن أخطب وجماعة من بنى النضير أخذوا يحرضون العرب ويألبونهم على محاربة الرسول ﷺ بالمدينة ، حتى كانت غزوة الأحزاب ، وأنهم سعوا إلى بنى قريظة عند محاصرة المشركين للمدينة أن ينقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ ، وأنهم نجحوا فى ذلك حتى اشتد الكرب على المسلمين وأصبحوا بين نارين : نار المشركين خارج الخندق ، ونار اليهود من الداخل ، وهى أشد ، حتى أدى ذلك إلى أن يرسل النبى ﷺ بعض الصحابة لحراسة النساء والذرارى داخل المدينة خشية غدر اليهود ، بعد أن نقضوا العهد .

وحمل راية المسلمين يوم بنى قريظة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وخرج رسول الله ﷺ على إثره ، وقد تحصن يهود بنى قريظة بحصونهم ، وامتلأت قلوبهم رعباً ، وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم

---

(١) أخرج البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب المبادرة بالغزو .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب مرجع النبى ﷺ .

الحصار ، وكان حيي بن أخطب قد دخل مع بني قريظة في حصنهم - حين رجعت الأحزاب - وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

فلما أيقنت بنو قريظة أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يقضى فيهم بحكم الله تعالى ، قال رئيسهم كعب بن أسد : يا معشر بنى قريظة ، والله قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى أعرض عليكم ثلاث خلال فخذوا أيهما شئتم : أرى أن تسلموا فقد استبان لكم أنه نبى مرسل ، وأنه الذى بشر به كتابكم ، فتأمنوا على دمائكم ونسائكم وأبنائكم وأموالكم ، فأبوا ، فقال لهم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ونخرج إلى محمد مستمتين فى القتال حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نهلك لم نترك وراءنا ما نخشى عليه ، وإن نغلب فلن نعدم النساء والأبناء ، فأبو ، فقال : الليلة السبت ، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها ، فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، فأبوا وتخوفوا أن يعدوا فى السبت فيصيبهم ما أصاب من قبلهم ، فأعرض عنهم ورماهم بعدم الحزم .

قصة أبى لبابة :

طلب يهود بنى قريظة من رسول الله ﷺ ، أن يبعث إليهم أبا لبابة رفاعة ابن المنذر الأنصارى رضى الله عنه ، ليستشيروه فى أمرهم ، فأرسله إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان فى وجهه ، فرق لهم ، فقال كعب بن أسد : يا أبا لبابة إنا قد اخترناك على غيرك ، إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه أفترى أن ننزل على حكمه ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح .

فاستشعر أبو لبابة أنه زل وندم على ذلك ندماً شديداً وقال : فوا الله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، فلم يأت رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد ، فارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده بسلسلة ثقيلة وقال : لا أبرح من مكانى هذا حتى أموت أو يتوب الله عليّ مما صنعت ، وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبداً ولا يرى فى بلد خان فيها الله ورسوله أبداً .

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره - وكان قد استبطأه - قال : « أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » ، فنزلت توبة أبى لبابة على رسول الله ﷺ من السحر وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك ، فقالت : مم تضحك يا رسول الله ، أضحك الله سنك ؟ قال « على أبى لبابة » . قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : « بلى إن شئت » فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب فقالت : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك ، فثار الناس إليه ليطلقوه . فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ ، هو الذى يطلقنى بيده ، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه ، وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، ونزل فى حق أبى لبابة من القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٧ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيهِم إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(١) .

حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة :

ولما اشتد الضيق ببنى قريظة لم يجدوا بداً من التسليم والخضوع ، فلما أصحبوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى أخواننا بالأمس ما قد فعلت .

وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه فسأله أياهم عبد الله بن أبى بن سلول فوهبه له فلما كلمته الأوس قال ﷺ : « ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ » .

وكان سعد بن معاذ فى خيمة رفيدة بالمسجد النبوى معدة لمعالجة الجرحى وتمريضهم ، ورفيدة امرأة من أسلم تداوى الجرحى ، وكان بسعد جرح من جراء سهم أصابه بالخندق ، وقال رسول الله ﷺ : « اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » .

فلما حكمه رسول الله ﷺ فى بنى قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار ، قد وطؤوا له بوسادة من أدم ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمر أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك لتحسن فيهم ، ألا ترى ما فعل ابن أبى فى مواليه ؟ فقال لهم : لقد آن لسعدٍ أن لا تأخذه فى الله لومة لائم، ثم قال : فإنى أحكم فيهم أن تقتلوا الرجال ، وتسبوا النساء

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

والذرية، فقال له رسول الله : « لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله من فوق سبع سموات » .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل النبى ﷺ إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا من المسجد قال للأنصار : « قوموا إلى سيدكم - أو خيركم - فقال : هؤلاء نزلوا على حكمك » ، فقال: تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم قال : « قضيت بحكم الله ، وربما قال : بحكم الملك »(١) .

وكذلك أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة ، رماه فى الأكحل ، فضرب النبى ﷺ خيمة فى المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق، وضع السلاح ، واغتسل ، فأتاه جبريل عليه السلام ، وهو ينفض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعته ، أخرج إليهم، قال النبى : (فأين ؟) فأشار إلى بنى قريظة ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فنزلوا على حكمه ، فرد الحكم إلى سعد .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب الحكم فيمن حارب ونقض العهد .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الأدب : باب ما جاء فى القيام .
وأحمد فى مسنده ٣/٢٢ .

قال : فإنى أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية ، وأن تقسم أموالهم ، قال هشام فأخبرنى أبى عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلىّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإنى أظن أنك قد وضعت الحرب بينا وبينهم ، فإن كان بقى من حرب قريش شىء فأبقنى له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب ، فافجرها، واجعل موتتى فيها ، فانفجرت من لبته ، فلم يرعهم ، وفى المسجد خيمة من بنى غفار - إلا الدم يسيل إليهم فقالوا : يا أهل الخيمة، ما هذا الذى يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً ، فمات منها رضى الله عنه»(١) .

وقد أمر رسول الله ﷺ فحفرت لهم خنادق فى سوق المدينة ثم جىء بهم مكتفين بالحبال فضربت أعناقهم ودفعوا فى تلك الخنادق ، وكان عددهم نحواً من ستمائة رجل ، ثم قسمت أموالهم وأبناؤهم على المسلمين .

وقتل معهم حيى بن أخطب ، فهو السبب فيما نزل بهم من قتل وبلاء ، فقد كان دخل معهم الحصن بعد انصراف قريش وغطفان .

واختلف فى عدد بنى قريظة الذين قتلهم رسول الله ﷺ ، فقال ابن حجر : « واختلف فى عدتهم ، فعند ابن اسحاق أنهم كانوا ستمائة ، وبه جزم أبو عمرو فى ترجمة سعد بن معاذ ، وعند ابن عائذ من مرسل قتادة وكانوا سبعمائة ، وقال السهيلى : المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة ، وفى حديث جابر عند

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب مرجع النبى ﷺ من غزوة الأحزاب.
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب جواز قتال من نقض العهد .
والترمذى فى سننه ، كتاب السير : باب ما جاء فى النزول على الحكم .

الترمذى والنسائى وابن حيان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل فى طريق الجمع أن يقال إن الباقين كانوا أتباعاً ، وقد حكى ابن اسحاق أنه قيل : إنهم كانوا تسعمائة »(١) .

وحديث جابر بن عبد الله أخرجه الترمذى فى سننه بسنده عنه رضى الله عنهما قال : « رمى يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى ، فانتفخت يده ، فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال : اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى من بنى قريظة ، فاستمسك عرقه ، فنما قطرة قطرة ، حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، ويستحيى نساؤهم وذراريهم ، يستعين بهم المسلمون ، قال رسول الله ﷺ : « أصبت حكم الله فيهم » ، وكانوا أربعمائة ، فلما فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات »(٢) .

وكذلك أسلم بعض يهود بنى قريظة ، وقسمت أموالهم على المسلمين ، فقسم النبى ﷺ أموالهم بعدما أخرج الخمس ، جعل للفارس ثلاثة أسهم : سهمين للفرس ، وسهماً لراكبه أو للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثون وبعث رسول الله ﷺ سعيد بن زيد بسبايا من بنى قريظة إلى نجد فاشترى بها خيلاً وسلاحاً ليزيد من قوة المسلمين الحربية .

---

(١) فتح البارى ٧/٤١٤ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب السير : باب ما جاء فى النزول على الحكم . وقال : حديث حسن صحيح .
والدارمى فى سننه ، كتاب السير : باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ .
وأحمد فى مسند ٣٥ / ٣٥٠ .
وصحح إسناده الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٧/٤١٤ .

وقد جاء في الصحيحين بسنديهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : « حاربت قريظة والنضير ، فأجلى بني النضير ، وأقر قريظة ، ومن عليهم حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم ، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم على المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبي فأمنهم ، وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود المدينة»(١) .

قصة المرأة التي قُتلت من بني قريظة :

كان من الحكم على بني قريظة سبي النساء ، و لم يقتل من النساء إلا امرأة واحدة ، وهي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته .

أخرج الحاكم في مستدركه بسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت : والله إنها لعندي تتحدث معي تضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت : ويلك ومالك ؟ قالت : أقتل ، قالت : قلت : و لم ؟ قالت : حدثاً أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضربت عنقها ، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : والله ما أنسى عجبي من طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل »(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي : باب حديث بني النضير .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد : باب إجلاء اليهود من الحجاز .
وأبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة : باب في خبر النفير .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣٥/٣، ٣٦، وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.
وأبو داود في سننه .
أحمد في المسند ٢٧٧/٦ ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني ٨٥/٢١ سنده صحيح ورجاله ثقات .

وفي شأن بني قريظة نزل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾(١) .

موت سعد بن معاذ :

وكان سعد رضي الله عنه قد أصيب أثناء الخندق في أكحله ، فلما أصيب رفع يديه يدعو الله تعالى قائلاً : « اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ ، وأخرجوه ، اللهم فإن بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك » .

وقد استجيب دعاء سعد رضي الله عنه فتحجر جرحه وتماثل للشفاء حتى كانت غزوة بني قريظة ، وجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليه ، وكفى الله المؤمنين شر اليهود وتطهرت المدينة من أرجاسهم ، رفع سعد يده ثانية يقول : «اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم - يعني قريشًا والمشركين - فإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها واجعل موتي فيها » ، وقد استجيب دعاؤه فانفجر تلك الليلة ومات رضي الله عنه .

وقد ورد في فضله رضي الله عنه أحاديث كثيرة منها ما يتحدث فيه عن مشاركة الملائكة في حمله .

أخرج الترمذي في سننه بسنده من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال : لما أصيب أكحل سعد ، فثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها رفيده تداوي

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .

الجرحى ، فكان النبى ﷺ إذا مر به يقول : «كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟» فيخبره حتى كانت الليلة التى نقله قومه فيها وثقل ، فاحتملوه إلى بنى عبد الأشهل إلى منازلهم ، وجاء رسول الله ﷺ فقيل : انطلقوا به ، فخرج وخرجنا معه ، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا ، وسقطت أرديتنا ، فشكا ذلك إليه أصحابه ، فقال : « إنى أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة ، فتغسله كما غسلت حنظلة » فانتهى إلى البيت وهو يغسل ، وأمه تبكيه وتقول :

ويل أم سعد سعدًا　　　حزامة وجسداً

فقال : « كل بآلية تكذب إلا أم سعد » ، ثم خرج به ، قال : يقول له القوم : ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه ، قال : « ما يمنعه أن يخفف ، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه معكم »(١) .

وأخرجه الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « اهتز عرش الرحمن لموت سعد »(٢) .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب المناقب : باب مناقب سعد بن معاذ . وقال : صحيح غريب.
والحاكم فى المستدرك ٢٠٧/٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وسكت عنه الذهبى.
والطبرانى فى المعجم الكبير ١٢/٦ ، ١٣ .
وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٧/٢/٣ ، ٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار : باب مناقب سعد .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل سعد بن معاذ .
والترمذى فى سننه ، كتاب المناقب : باب مناقب سعد .
والنسائى فى سننه ، كتاب فضائل الصحابة .
وابن ماجة فى سننه فى المقدمة : باب مناقب سعد .
وأحمد فى مسنده ٣٢٧/٣ .

وأيضاً أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : «أهدى للنبى ﷺ جبة سندس ، وكان ينهى عن الحرير ، فعجب الناس منها فقال: «والذى نفس محمد بيده ، لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا»(١) .

أما ما جاء فى القبر ضم سعد بن معاذ : فقد أخرج أحمد فى مسنده بسنده من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى ﷺ : « لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد »(٢) .

وقد شهد الرسول الله ﷺ لسعد بالخير : فقد أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى(٣) بسنده من حديث عبد الله بن شداد رضى الله عنه قال : « دخل رسول الله ﷺ على سعد وهو يكيد نفسه فقال : « جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد انجزت ما وعدته ، ولينجزنك الله ما وعدك » .

نعم فقد مات سعد بن معاذ شهيداً رحمة الله عليه .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الخلق : باب ما جاء فى صفة الجنة .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل سعد بن معاذ .

(٢) أخرجه أحمد فى مسند ٥٥/٦ ، ٩٨ .
وللحديث شواهد من حديث ابن عمر : أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٤٣/٣ .
والحاكم فى المستدرك ٢٠٦/٣ وصححه ووافقه الذهبى .
والنسائى فى سننه ١٠٠/٤ ، ١٠١ . « بسند صحيح » .
ومن حديث ابن عباس : أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير حديث رقم ١٠٨٢٧ ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤٦/٣ - ٤٧ . وقال: رواه الطبرانى فى الكبير الكبير والأوسط ورجاله موثقون .

(٣) الطبقات الكبرى ١١١/٢ .

زواجه ﷺ بزينب بنت جحش(١)

فهى بنت عمة الرسول ﷺ ، وحفيدة جده عبد المطلب ، تزوجها النبى ﷺ بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة ، وكان النبى ﷺ قد زوجها زيد بن حارثة الذى كان متبناه - وكان يدعى زيد بن محمد، ثم دعى إلى أبيه - وذلك لإبطال حرمة زوجة الابن المتبنى .

فرسول الله ﷺ يخطب زينب بنت جحش لزيد ، فتأنف وتأبى ، ويأبى بعض أهلها ، ولكن كانت رغبة الرسول الله ﷺ قوية فى إتمام هذا الزواج وقد أيد الله سبحانه وتعالى رسوله فى ذلك حيث قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾(٢) .

فما كان من زينب رضى الله عنها إلا الإذعان والخضوع لما أراده الله ورسوله ، فوافقت على الزواج من زيد ، ولكنه وجد منها ترفعاً وتكبراً ، وكان ذلك يؤذيه ، وأراد فراقها وذهب إلى النبى ﷺ يشتكى من إساءتها إليه ، ويعرض عليه طلاقها ، فيقول له رسول الله : « أمسك عليك زوجك واتق الله » .

وكان جبريل عليه السلام قد أخبر الرسول الله ﷺ بأن زينب ستكون من أزواجه ، للحكمة التى قضها الله بها وهى إبطال تلك العادة الفاسدة التى كانت تحرم زواج المتبنى بزوجة ابنه المتبنى .

---

(١) هى السيدة زينب بنت جحش الأسدية ، أمها أميمة ابنة عبد المطلب ، وأخت شهيد أحد عبد الله بن جحش ، هى من أوسط العرب داراً و نسباً . توفيت رضى الله عنها سنة عشرين من الهجرة ، ودفنت بالبقيع .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

ولكن النبى ﷺ وجد غضاضة على نفسه أن يأمر زيداً بطلاقها ثم يتزوجها، خشية أن يقول الناس تزوج محمد حليلة ابنه ، فهو إذاً خاف مقالة الناس، وأخفى فى نفسه ما أظهره الله سبحانه وتعالى من أن زيداً سيطلق زينب ويتزوجها رسول الله ﷺ ، ليدلل بالتطبيق العملى على إبطال عادة التبنى ، وعلى تلك العادة الفاسدة التى تحرم الزواج من زوجة ابنه المتبنى ، وهذا الأمر الذى عاتب فيه الله سبحانه وتعالى نبيه فى قوله عز وجل : ﴿ وَإِذ تَقُولُ للذَّى أَنعَم الله عَليهِ وأَنعمتَ عَليه أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتَّقِ الله وَتُخفِى فِى نَفسِكَ مَا الله مُبديه وَتَخشَى النَاسَ والله أَحقُ أَن تَخشَاهُ فَلَمَا قَضَى زَيدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَّجنَاكَهَا لِكَى لا يَكُونَ عَلَى المؤمِنينَ حَرَجٌ فِى أَزواجِ أَدعِيائهم إِذا قضَوا مِنهُن وَطَراً وَكَانَ أَمرُ الله مَفعُولاً ﴾(١) .

ورداً على من عساه يتقول على رسول الله ﷺ بزواجه من زينب بنت جحش قال عز وجل : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَبِي مِن حَرَجٍ فِيمَا فَرضَ الله لَه، سُنَة الله فِى الذَينَ خَلَوا مِن قَبل وَكَانَ أَمرُ الله قَدَراً مقدُوراً الذَينَ يُبَلِغُونَ رِسَالاَتِ الله وَيَخشَونَه وَلَا يَخشَونَ أَحَداً إِلاَ الله وَكَفَى بالله حَسِيباً ﴾(٢) .

وفى شكوى زيد بن حارثة ومقالة رسول الله له قبل طلاقها منه :

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : « جاء زيد بن حارثة يشكو ، فجعل النبى ﷺ يقول : « اتق الله وأمسك عليك زوجك» قال أنس : لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال : فكانت

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ .

زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات »(١) .

وقد علق ابن حجر على هذا الحديث فى الفتح(٢) بقوله : « وقد أخرج ابن أبى حاتم هذه القصة من طريق السدى ، فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه : بلغنا أن هذه الآية نزلت فى زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه ، فكرهت ذلك ، ثم رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعد ، أنها من أزواجه ، فكان يستحى أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره رسول الله أن يسمك عليه زوجه، وأن يتقى الله وكان يخشى أن يعيب عليه الناس ويقولوا : تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً » .

وقد أرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة لخطبة السيدة زينب بنت جحش لرسول الله ﷺ ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث أنس رضى الله عنه قال : « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد «فاذكرها علىّ» قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهى تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت فى صدرى ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى ، فقلت : يا زينب ! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربى ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ ، فدخل عليها بغير إذن .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد : باب وكان عرشه على الماء .

(٢) فتح البارى ٤٢٥/٨ .

قال : فقال : ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار ، فخرج الناس ، وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته ، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ، ويقلن : يا رسول الله ! كيف وجدت أهلك ، قال : فما أدرى أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى ، قال : فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بينى وبينه ، ونزل الحجاب . قال : ووعظ القوم بما وعظوا به »(١) .

وقد كانت السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها تدل على زوجات النبى ﷺ وتقول : « زوجكن أهليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سماوات » وكانت رضى الله عنها من المهاجرات الأول ، كثيرة الخير والصدقة ، وكانت رضى الله عنها أولى زوجات النبى ﷺ لحوقاً به ، فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قال رسول الله ﷺ : «أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً » . قالت فكن يتطاولن أينا أطول يداً ، قالت : فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق » .

نزول الحجاب :

نزلت آية الحجاب صبيحة عرس السيدة زينب بنت جحش ، وهى قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب زواج زينب بنت جحش .
والنسائى فى سننه ، كتاب النكاح : باب المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها .
وأحمد فى مسنده من مسند أنس (الفتح الربانى للساعاتى ٢١/٨٧ ، ٨٨) .

مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾(١) .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال : « أنا أعلم الناس بالحجاب ، لقد كان أبى بن كعب يسألنى عنه ، قال أنس : أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش قال : وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلس معه رجال بعد ما قام القوم ، حتى قام رسول الله ﷺ ، فمشى ، فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم خرجوا ، فرجع ورجعت معه ، فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع فرجعت الثانية ، حتى بلغ حجرة عائشة ، فرجع فرجعت ، فإذا هم قد قاموا فضرب بينى وبينه بالستر ، وأنزل الله آية الحجاب »(٢) .

ولما نزلت آية الحجاب قال بعضهم : أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب ؟ لئن مات محمد لأتزوجن عائشة ، فنزلت : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٣ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأطعمة : باب قوله تعالى : ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب زواج زينب بنت جحش .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٥٣ .

ونزول آية الحجاب من موافقات سيدنا عمر رضى الله عنه ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال عمر رضى الله عنه : قلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب(١) .

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التفسير « سورة الأحزاب » : باب ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى ﴾

فرض الحج

وفى هذا العام فرض الحج ، وقيل غير ذلك(١) ، وكان الحج مفروضاً منذ عهد النبى إبراهيم عليه السلام ، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى يوجهه إلى الخليل إبراهيم : « وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحَجِ يَأتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ »(٢) .

وشرع الله فريضة الحج بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾(٣) .

---

(١) كونه فرض فى سنة خمس : قول ثان ، ذكره الإمام النووى فى الروضة ٢٠٦/٧، وقدمه صاحب الإمتاع ٢٥٤/١ ، ونقله القسطلانى فى المواهب ٤٧١/١ عن مغلطاى وغيره ، وجزم به الديار بكرى فى تاريخ الخميس ٥٠٣/١.

وأما كونه فى سنة ست : فهو قول الإمام الشافعى رحمه الله كما فى معرفة السنن والآثار ٤٩١/٣ وهو قول الماوردى فى الأحكام السلطانية /٢٨١ / ، وبه قال الجمهور كما فى الفتح ٤٤٢/٣ أول كتاب الحج ، وقدمه الإمام النووى فى الروضة فى موضعين ٤٠٦/٧ و ٤٠٩ . وفى القرى لقاصد أم القرى / ٦٣ / : أن القاضى عياض صحح كونه سنة تسع . وقال ابن القيم فى زاد المعاد ٦٠٧/٣: فرض فى العاشرة . واستدل على ذلك بقصة قدوم وفد عبد القيس سنة تسع وعدم مطالبتهم بالحج (انظر كلام محقق كتاب الإشارة إلى سيرة المصطفى للحافظ مغلطاوى ص ٢٦٤) .

(٢) سورة الحج الآية : ٢٧ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .

الباب السابع

أحداث العام السادس للهجرة

الباب السابع

أحداث العام السادس للهجرة

سرية محمد بن مسلمة الأنصارى إلى القرطاء(١)

وذلك أن ثمامة بن أثال الحنفى اليمامى كان عرض لرسول الله ﷺ يريد قتله، فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصارى فى ثلاثين راكباً إلى القرطاء.

وكان خروجه لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست ، على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة ، وأمره رسول الله ﷺ أن يسير الليل ويكمن النهار ، فلما أغار عليهم هربوا جميعهم ، بعد أن قتل منهم عشرة أنفار ، وأسر ثمامة بن أثال وغنم مائة وخمسون بعيراً ، وثلاثة آلاف شاة ، وقدم المدينة لليلة بقت من المحرم ، ومعه ثمامة بن أثال أسيراً وكانت غيبته تسع عشرة ليلة .

وعن قصة ثمامة بن أثال الحنفى : أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فقال : عندى يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم ، تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

---

(١) القرطاء : بطن من بنى بكر بن كلاب ، وكانت منازلهم بناحية ضرية بالبكرات ، على سبع ليال من المدينة شرقاً ، وهى جهة نجد ، والقرطاء اسم القبيلة ، وضرية : اسم القرية ، والبكران : اسم ماء أو اسم موضع .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد ، فقال : « ما عندك يا ثمامة ؟ » قال : ما قلت لك ، أن تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال : « ماذ عندك يا ثمامة ؟ » فقال : عندى ما قلت لك ، إن تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال ، فسل تعط ما شئت .

فقال رسول الله ﷺ : « أطلقوا ثمامة » فانطلق إلى نخيل قريب من المسجد، فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، يا محمد ! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى ، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك ، أحب البلاد كلها إلى ، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة ، فما ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل ، أصبأت ؟ فقال : لا ، ولكنى أسلمت مع رسول الله ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ »(١) . اللفظ لمسلم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازى : باب وفد بنى حنيفة ، حديث ثمامة بن أثال .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب ربط الأسير وحبسه ، وجواز المن عليه .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى الأسير يوثقه .

والنسائى فى سننه ، كتاب الطهارة : باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم (باختصار).

وأحمد من مسنده (الفتح الربانى ٢١ / ٨٨ - ٨٩)

غزوة بنى لحيان(١)

هم الذين غدروا بعاصم بن ثابت الأنصارى ورفاقه أصحاب سرية الرجيع ، فأراد النبى ﷺ أن يأخذ بثأرهم ، فخرج فى مائتى رجل من أصحابه فى ربيع الأول(٢) سنة ست .

وكان مع النبى ﷺ عشرون فارساً ، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، واتبع طريقة التعمية ، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بنى لحيان ، حتى نزل على (عزان) وهى منازل بنى لحيان ، إلى بلد يقال له (ساية) منازل بنى لحيان أيضاً ، حيث كان مصاب أهل الرجيع الذين قتلوا ، فترحم عليهم ، ودعا لهم ، فسمعت به بنو لحيان ، فهربوا وتمنعوا فى رءوس الجبال ، فأقام نحو يومين وهو يبعث السرايا فى كل ناحية ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنا هبطنا عسفان(٣) لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » فذهبوا إليها ، وبعث ﷺ أبا بكر الصديق فى عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم ، حتى أتوا (كراه الغميم)(٤) .

وفى عسفان استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد ، فصلى النبى بأصحابه صلاة الظهر فقال المشركون : قد كانوا على حال لو أصبنا

---

(١) بنو لحان : بكسر اللام وفتحها ، لغتان نسبة إلى لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر .

(٢) وذكرها ابن اسحاق فى جمادى الأولى ، على رأس ستة أشهر من غزوة بنى قريظة .

(٣) عُسفان : موضع بالقرب من مكة .

(٤) كراع الغميم : وادٍ جنوب عسفان بثمانية أميال ، يضاف إلى كرع جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه .

منهم غرتهم ، ثم قالوا : تأتى عليهم صلاة - صلاة العصر - هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم فنزل قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِم فَأَقَمتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلتَقُم طَائِفَةٌ مِنهُم مَعَكَ وَليَأخُذُوا أَسلِحَتَهُم فَإِذَا سَجَدُوا فَليَكُونُوا مِن وَرَائِكُم وَلتَأتِ طَائِفَةٌ أُخرَى لَم يُصَلُّوا فَليُصَلُّوا مَعَكَ وَليَأخُذُوا حِذرَهُم وَأَسلِحَتَهُم وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو تَغفُلُونَ عَن أَسلِحَتِكُم وَأَمتِعَتِكُم فَيَمِيلُونَ عَلَيكُم مَيلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيكُم إِن كَانَ بِكُم أَذًى مِن مَطَرٍ أَو كُنتُم مَرضَى أَن تَضَعُوا أَسلِحَتَكُم وَخُذُوا حِذرَكُم إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾(١) .

وقد جاء فى السنة عن صلاة النبى ﷺ بأصحابه صلاة الخوف لأول مرة بعسفان :

أخرج أبو داود بسنده فى سننه عن أبى عياش الزرقى ﷺ قال : « كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى رسول الله ﷺ الظهر فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا : تأتى عليهم الآن صلاة هى أحب إليهم من ابنائهم وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ ، فأخذوا السلاح ، قال : فصففنا صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع ، فرفعنا جميعاً ، ثم سجد النبى ﷺ بالصف الذى يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون ، فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبى ﷺ والصف الذى يليه ، والآخرون قيام

(١) سوة النساء الآية : ١٠٢ .

يحرسونهم ، فلما جلس ، جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين ، مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم »(١) .

وأيضاً أخرج الترمذي في سننه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «إن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون : إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ، وهي العصر ، فأجمعوا أمركم ، فميلوا عليهم ميلة واحدة ، وإن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتي الأخرى فيصلوا معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ، ولرسول الله ﷺ ركعتان »(٢) .

ورجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة و لم يلق كيداً ، فقال رسول الله حين وجه راجعاً : « آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعناء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال »(٣) .

وكانت غيته عن المدينة تسع عشرة ليلة ، وقيل أربع عشرة ليلة .

---

(١) أخرجه أبو داود في سنه ، كتاب الصلاة : باب صلاة الخوف .
والنسائي في سننه ، كتاب الصلاة : باب صلاة الخوف .
والحاكم في المستدرك ١/٣٣٧ - ٣٣٨ وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وأقره الذهبي .
وأحمد في مسنده ٤/٥٩ - ٦٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير : باب سورة النساء ، وقال الترمذي : حسن صحيح.
والنسائي في سننه ، كتاب التفسير : باب صلاة الخوف .
وأحمد في المسند ٢/٥٢٢ .

(٣) هذا الدعاء مخرج في الصحيحين : أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العمرة : باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج : باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (كلاهما من حديث ابن عمر ﷺ) .

سرية عكاشة بن محصن إلى غمر

بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدى ﷺ ، إلى (غمر مرزوق)(١) ، فى شهر ربيع الأول ، سنة ست من الهجرة ، ومعه أربعون رجلاً ، فغنموا مائتى بعير ، ولم يلقوا كيداً .

سرية محمد بن مسلمة الأنصارى إلى ذى القصة(٢)

بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصارى إلى ذى القصة ، فى ربيع الأول ، سنة ست من الهجرة ، ومعه عشرة رجال ، إلى بنى ثعلبة وأنمار ، وذلك لما بلغ النبى ﷺ من أن بنى ثعلبة وأنماراً أجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة .

فورد عليهم ليلاً بمن معه ، فشعر المشركون بمجيئهم وكانوا مائة رجل ، فقتلوهم إلا ابن مسلمة ، فإنه جرح ، فظن أنه مات ، فترك ، فجاء رجل مسلم فاسترجع ، فتحرك له محمد بن مسلمة ، فعرض عليه طعاماً وشرابًا وحمله إلى المدينة .

سرية أبى عبيدة إلى ذى القصة أيضاً

فبعث النبى ﷺ أبا عبيدة بن الجراح(٣) فى ربيع الآخر ، ومعه أربعون رجلاً إلى مصارع أصحابه ، فأغاروا على القوم فهزموهم وهربوا إلى الجبال، ووجدوا هناك رجلاً أسلم حين أسر ، ونعماً وشاء فغنموه ، وعادوا إلى المدينة .

---

(١) هو ماء لبنى أسد على بعد ليلتين من فيد ، جهة نجد ، وفيد - كما فى معجم البلدان - نضف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة ، وهى أكرم نجد .
قال فى القاموس : قلعة بطريق مكة سميت بفيد ابن فلان .

(٢) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً جهة نجد على طريق الربذة .

(٣) هو أبو عبيدة بن عامر بن الجراح ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ﷺ

سرايا زيد بن حارثة

١ – إلى بنى سُليم :

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ؓ إلى بنى سليم بالجموم(١) ، فأصابوا عليه امرأة من مزينة يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بنى سليم، فأصابوا فى تلك المحلة نعماً وشاء وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المزينة ، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب ، وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها.

٢ – إلى العيص(٢) :

وذلك فى جمادى الأولى سنة ست من الهجرة ، كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص ، ومعه سبعون(٣) راكباً ، يعترض عيراً لصفوان بن أمية ، فأخذوها وما فيها ، وأسر منهم ناساً ممن كان فى العير ، منهم : أبو العاص بن الربيع ، فأجارته زوجته زينب بنت النبى ﷺ ، وردَّ عليه ما أخذ منه .

٣ – إلى الطرف(٤) :

وذلك فى جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة ، كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف ، فخرج إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاء ، وهربت الأعراب وصبح زيد بالنعم المدينة ، وهى عشرون بعيراً ، و لم يلق كيداً ، وغاب أربع ليال ، وكان شعارهم : أمت أمت .

---

(١) ويقال : الجموع والصحيح بالميم : ناحية ببطن نخل من المدينة على أربعة أميال .

(٢) العيص : موضع فى بلاد جهنية بين رضوى والمدينة ، على أربع ليال من المدينة .

(٣) سبعون ومائة ، قاله ابن سعد فى الطبقات ١٢٤/٢ .

(٤) الطرف:ماء لبنى ثعلبة على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة من ناحية نخل من طريق العراق.

٤ - إلى حسمى(١) :

ثم سرية زيد بن حارثة إلى حسمى ، فى جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة ، وسببها أنه أقبل دحية الكلبى من عند قيصر ملك الروم ، وقد أجازه وكساه فلقيه الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد فى ناس من جذام بحسمى ، فقطعوا عليه الطريق ، فسمع بذلك نفرض بنى الضبيب ، فنفروا لإنقاذ دحية إليهم، فاستنقذوا لدحية متاعه .

وقدم دحية على النبى ﷺ فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية ، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ، ومعه دليل له من بنى عذرة ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا عليهم فقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهنيدو ابنه وأغاروا على ما شيتهم ونعمهم ، فأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف شاة ، ومن السبى مائة من النساء والصبيان .

فرحل زيد بن رفاعة الجذامى(٢) فى نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إلى رسول الله كتابه الذى كان كتب له ولقومه حين قدم عليه فأسلم وقال: يا رسول الله لا تحرم علينا حلالاً ولا تحل لنا حراماً ، فقال:

---

(١) حسمى:موضع وراء وادى القرى فى موضع قريب من المدينة، على طريق الحاج من جهة الشام.

(٢) كذا عند ابن سعد فى الطبقات ، وفيه قلب ، فعند ابن اسحاق : رفاعة بن زيد ، وصححه اليعمرى .

كيف أصنع بالقتلى؟ قال أبو يزيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيًا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين ، فقال رسول الله ﷺ: صدق أبو يزيد ! فبعث معهم عليا ﷺ إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم .

فتوجه عليّ فلقى رافع بن مكيث الجهنى بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم ، فردها عليّ على القوم ، ولقى زيداً فأبلغه أمر رسول الله ﷺ ، فرد إلى الناس ما كان أخذ لهم .

فهكذا عفا رسول الله ﷺ عنهم وفاءاً للعهد الذى بينه وبينهم .

٥ – إلى وادى القرى :

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ﷺ إلى وادى القرى(١) ، فى رجب سنة ست من الهجرة ، فلقى به بنى فزازة ، وقاتلهم فقتل منهم ، وقتل من المسلمين قتلى ، منهم ورد بن مرداس ﷺ ، وجرح زيد بن حارثة جرحاً بليغاً ، وحمل على بعير إلى المدينة وبه رمق(٢) .

(١) وادى القرى : شمال المدينة على طريق الحاج من جهة الشام .

(٢) قيل هذا لم يكن فى هذه السرية ولكن فى التى بعدها إلى أم قرفة كما فى جميع المصادر ، حيث خرج زيد فى تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ ، فلما كان دون وادى القرى ، لقيه ناس من فزارة من بنى بدر قوم (أم قرفة) فضربوه ، وضربوا أصحابه حتى ظنوا أنهم قد قتلوا ، ثم أخذوا ما كان معهم ، وقدم زيد على رسول الله ﷺ فأخبره فحلف ألا يمس رأسه غسل جنابة حتى يغزو فزارة فلما شفى بعثه إليهم .

سرية عبد الرحمن بن سعد إلى دومة الجندل[١]

فى شعبان سنة ست للهجرة دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف ، فأقعده بين يديه وعممه[٢] بيده وقال له : « اغر بسم الله وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ولا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليداً» .

ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء ، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال له : « إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم الجندل ، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأصبع بن عمر الكلبى، وكان نصرانياً ، وكان رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام على إعطائه الجزية ، وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبع ، وقدم بها إلى المدينة، وهى أم سلمة بن عبد الرحمن .

سرية علىّ بن أبى طالب إلى بنى سعد بفدك[٣]

وفى شعبان سنة ست من الهجرة ، كانت سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بن بكر ، عندما بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر،

---

(١) دومة الجندل : جهة الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، وهو المسمى اليوم (بالجوف) .

(٢) قال صاحب السيرة الحلبية : كانت عليه عمامة من كرابيس - أى غليظة - قد لفها على رأسه ، فنقضها رسول الله ﷺ بيده ، ثم عمه بعمامة سوداء ، وأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحو ذلك ١٨٣/٣ .

(٣) فَدَك : قرية بخيبر ، وقيل بناحية الحجاز فيها عين ونخل ، وهى التى أفاءها الله على نبيه، بينها وبين المدينة ست ليال ، وقيل يومان ، وقيل ثلاثة .

فبعث إليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه فى مائة رجل ، فصار يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى (الهمج)(١) ، فوجدوا رجلاً فسألوه عن القوم ، فقال: أخبركم على أنكم تؤمنونى ، فأمنوه فدلهم ، فأغاروا عليهم ، فأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة ، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بن عليم .

فعزل علىّ صفىّ النبى ﷺ لقوحاً(٢) تدعى الحفدة ، ثم عزل الخمس ، وقسم سائر الغنائم على أصحابه ، وقدم هو وأصحابه المدينة و لم يلقوا كيداً .

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بوادى القرى

فى شهر رمضان من السنة السادسة للهجرة ، خرج زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى الشام فى تجارة ، ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ ، فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم ، فقدم زيد على رسول الله ﷺ فأخبره بما حدث له ولأصحابه ، فبعثه رسول الله ﷺ فى سرية إليهم ، وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار، وأحست بهم بنو بدر .. ثم صبحهم زيد وأصحاب فكبروا وأحاطوا بمن وجدوا منهم فقتلوهم ، وأخذوا أم قرفة ، وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وابنتها جارية(٣) بنت مالك بن حذيفة بن بدر ، وعمد قيس بن المحسر إلى أم

---

(١) الهمج : ماء عيون عليه نخل بناحية وادى القرى ، السمهودى فى خلاصة الوفا ص ٢٨٤، وقال ابن سعد : هو ماء بين خيبر وفدك ١٢٨/٢ .

(٢) اللقوح : الناقة التى تحلب فواقاً بعد فواق لكثرة لبنها ، فإذا أتى عليها ثلاثة أشهر حلبت غدواً وعشياً : انظر النهاية فى غريب الحديث ٦٣/٢ .

(٣) هى المرأة التى سباها ووهبها للنبى ﷺ ، ووهبها النبى لخاله حزن بن أبى وهب .

قرفة(١) ، وهى عجوز كبيرة - فقتلها قتلاً عنيفاً ، وقتل النعمان وعبيد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر .

وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبى ﷺ فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسايله فأخبره بما ظفره الله به .

سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع

ثم سرية عبد الله بن عتيك إلى أبى رافع سلام بن أبى الحقيق النضرى(٢) بخيبر فى شهر رمضان سنة ستة من هجرة رسول الله ﷺ ، كان أبو رافع من يهود بنى النضير الذين حاربوا رسول الله ﷺ وأرادوا قتله غيلة ، كما كان أبو رافع من أشد اليهود إيذاءً لرسول الله ﷺ ، فهو من حزب الأحزاب وجعل لهم الجعل العظيم على حرب رسول الله ﷺ .

فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس ، وأبا قتادة والأسود بن خزاعى ، ومسعود بن سنان وأمرهم بقتله ، فذهبوا إلى خيبر فكمنوا ، فلما هدأت الرجل جاؤوا إلى منزله ، فصعدوا درجة له ، وقدموا عبد الله بن

---

(١) وهى امرأة عجوز كبيرة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الغزارية ، وهى التى كان يضرب بها المثل (أمنع من أم قرفة) لأنه كان يعلق فى بيتها خمسون سيفاً لفرسان كلهم ذو محرم، وقتلها كان عنيفاً ، حيث ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما إلى بعيرين حتى شقها ، وقتلها لذلك لأنها كانت تسب النبى ﷺ ، وقيل لأنه جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها وقالت : اغزوا المدينة واقتلوا محمداً .

(٢) فى صحيح البخارى : أبو رافع عبد الله بن أبى الحقيق ، ويقال له سلام بن أبى الحقيق. كان بخيبر وكان تاجر أهل الحجاز .

عتيك لأنه كان يرطن باليهودية ، فاستفتح وقال : جئت أبا رافع بهدية ، ففتحت له امرأته ، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح ، فأشاروا إليها بالسيف فسكتت ، فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه ، فعلوه بأسيافهم ، قال ابن أنيس : وكنت رجلاً أعشى لا أبصر ، فأتكىء سيفى على بطنه حتى سمعت خشة فى الفراش ، وعرفت أنه قد قضى ، جعل القوم يضربونه جميعاً ، ثم نزلوا ، وصاحت امراته فتصايح أهل الدار واختبأ القوم فى بعض مناهر خيبر .

وخرج الحارث أبو زينب فى ثلاثة آلاف فى آثارهم يطلبونهم بالنيران فلم يروهم فرجعوا ، ومكث القوم فى مكانهم يومين حتى سكن الطلب ، ثم خرجوا مقبلين إلى المدينة كلهم يدعى قتله ، فقدموا على رسول الله ﷺ فقال : « أفلحت الوجوه » فقالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ! وأخبروه خبرهم فأخذ أسيافهم فنظر إليها فإذا أثر الطعام فى ذباب سيف عبد الله بن أنيس ، فقال : هذا قتله(١)!

سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودى

خرج عبد الله بن رواحة فى ثلاثين رجلاً إلى أسير بن رزام اليهودى فى خيبر فى شوال سنة ست من الهجرة ، وذلك لما قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق أمرت يهود عليهم أسير بن رزام ، فسار فى غطفان يجمعهم لحرب النبى ﷺ .

فبعث ﷺ عبد الله بن رواحة ومن معه ، فقدموا على أسير بن رزام فقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك على خيبر ، ويحسن إليك ، فطمع فى ذلك ، فخرج وخرج معه ثلاثين رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/١٣٠ - ١٣١ .

من المسلمين ، فحمل أسير عبد الله بن رواحة ، حتى إذا كان (بقرقرة)(١) ، ندم أسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ ، وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ومن معه ، ففطن له عبد الله وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ، فضربه أسير بمخرش (المحجن) فى يده فشجه ، ثم دفع بعيره ، فقال عبد الله : عذراً أى عدو الله ؟ فنزل فساق بالقوم حتى انفرد له أسير فضربه ابن رواحة بالسيف فقطع ساقه مع فخذه ، فسقط عن بعيره ، ومال أصحاب رسول الله ﷺ على أصحاب أسير فقتلوهم ، لظهور الغدر منهم ، غير رجل واحد أعجزهم جرياً، فهرب على رجليه ، ولم يصب من المسلمين أحد غير الشجة التى فى يد عبد الله ابن رواحة .

ثم قدموا المدينة على رسول الله ﷺ ، فقال : « قد نجاكم الله من القوم الظالمين » .

سرية كرز بن جابر الفهرى إلى العرنيين

فى شوال من السنة السادسة من الهجرة قدم على المدينة جماعة من عكل وعرينة ، فأظهروا الإسلام ، وبايعوا رسول الله ﷺ ، وكانوا هزالاً مصفرة ألوانهم، فلم يوافقهم هواء المدينة ، فأمرهم النبى ﷺ أن يلحقوا بإبل له خارج المدينة فيشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا ، فلما صحوا قابلوا الإحسان بالكفران ، وقتلوا الراعى ومثلوا به وسمروا عينيه ، واستاقوا الإبل ، فلما بلغ الخبر النبى أرسل وراءهم كرز بن جابر الفهرى فى عشرين فارساً ، فلحقوا بهم وجاؤوا بهم إلى المدينة ، فأمر رسول الله أن يقتص منهم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمرت أعينهم ، وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يُسقون حتى ماتوا .

---

(١) موضع على ستة أميال من خيبر .

فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ﴾(١) .

أخرج الشيخان في صحيحهما بسنديهما من حديث أنس رضي الله عنه قال : « إن ناساً من عكل وعرنية قدموا المدينة على النبي ﷺ ، وتكلموا بالإسلام فقالوا : يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع و لم نكن أهل ريف ، واستوخموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع ، وأمرهم أن يخرجوا فيه ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ﷺ ، واستاقوا الذود ، فبلغ النبي ﷺ في آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم »(٢) اللفظ للبخاري .

سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان

سرية عمرو بن أمية الضمري ، ومعه سلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب بمكة ، وذلك لأن أبا سفيان قال لنفر من قريش : ألا رجل يذهب إلى محمد

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي : باب قصة عكل وعرنية .
ومسلم في صحيحه ، كتاب القسامة : باب حكم المحاربين والمرتدين .
أبوا داود في سننه ، كتاب الحدود : باب ما جاء في المحاربة .
والترمذي في سننه ، كتاب الطهارة : باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه .
والنسائي في سننه ، كتاب التحريم .
وابن ماجة في سننه ، كتاب الحدود .
وأحمد في المسند ١٠٧/٣ ، ١٦٣ ، ١٧٠ وغيره .

فيقتله غدراً فنستريح منه ، فتقدم له رجل من الأعراب ، وقال له : إنى هادٍ بالطرق خريت ، ومعى خنجر مثل خافية النسر ، فأعطاه راحلة ونفقة وأوصاه أن يخفى أمره ، فخرج الرجل حتى وصل المدينة ، فسأل عن النبى حتى انتهى إليه وهو فى جماعة من أصحابه ، فلما رآه قال : « إن هذا الرجل يريد غدراً ، والله حائل بينه وبين ما يريده » فوقف فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال النبى : «أنا» فذهب ينحنى على رسول الله كأنه يسر إليه شيئاً ، فجذبه أسيد بن حضير وقال : تنح عن النبى ، وجذب بداخل إزاره فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله هذا غادر، فأسقط فى يد الأعرابى وقال : دمى ، دمى ، وأخذ أسيد بن حضير تلابيبه، فقال له النبى : « اصدقنى ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتنى نفعك الصدق ، وإن كذبتنى فقد أطلعت على ما هممت به » فقال الأعرابى : فأنا آمن؟ قال : « وأنت آمن » فاخبر النبى بخبر أبى سفيان وما جعل له .

فحبس عند أسيد بن حضير ، ثم دعا به من الغد فقال : « قد أمنتك فاذهب حيث شئت أو خير لك من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال النبى : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » فأسلم الرجل وقال : يا محمد ما كنت لأفرق من الرجال ، فما هو إلا أن أتيك فذهب عقلى وضعفت ، ثم أطلعت على ما هممت به ، وما سبقت به الركبان ولم يطلع عليه أحد ، فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق ، وأن حزب أبى سفيان حزب الشيطان !! فجعل النبى يبتسم .

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميه ، وسلمة بن أسلم إلى أبى سفيان بن حرب وقال : إن أصبتما منه غرة فاقتلاه ! فدخلا مكة ، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً ، فرآه معاوية بن أبى سفيان فعرفه ، فأخبر قريشاً بمكانه فخافوه وطلبوه - وكان فاتكاً فى الجاهلية - وقالوا : لم يأت عمرو لخير ، فحشد

له أهل مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة ، فلقى عمرو عبيد الله بن مالك بن عبد الله التميمى فقتله ، وقتل رجلاً آخر من بنى الديل .

ولقى رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر ، فقتل أحدهما ، وأسر الآخر فقدم به المدينة ، فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره ورسول الله يضحك .

غزوة رسول الله ﷺ الحديبية(١)

كانت غزوة الحديبية سنة ست للهجرة فى ذى العقدة ، أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى كانت مع حجته ، عمرة من الحديبية فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة وعمرة مع حجته »(٢) .

خرج رسول الله ﷺ قاصداً مكة يريد العمرة ، ولا يريد قتالاً ، وخرج من أصحابه المهاجرين والأنصار ألف وخمسمائة(٣) ، وأخرج معه زوجته أم سلمة

---

(١) الحديبية : بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة ، وياء منهم من خففها ومنهم من شددها ، وهى قرية بالقرب من مكة ، وهى اليوم بين مكة وحده - حدود الحرم - عند الشميس .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الحج : باب كم اعتمر النبى ﷺ فى كتاب المغازى باب غزوة الحديبية .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الحج : باب بيان عدد عمر النبى ﷺ .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الحج : باب العُمر .

الترمذى فى سننه ، كتاب الحج : باب ما جاء فى كم حج رسول الله ﷺ

وأحمد فى مسنده ١٣٤/٣ ، ٢٥٦ .

(٣) جاءت الروايات فى عددهم على ثلاثة أوجه : **الأول** : أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة : أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال « كان أصحاب الشجرة ألفًا وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين » .

والثانى : أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة » .

والثالث : أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة . وأخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث جابر ﷺ قال : « لو كنا مائة ألفا لكفانا : كنا خمس عشرة مائة » .

قال الحافظ ابن حجر : « والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألفاً وخمسمائه جبر الكسر ، ومن قال ألفاً وأربعمائه ، ألغاه ، ويؤيده قوله فى الرواية الثالثة من حديث البراء وألفاً وأربعمائة أو أكثر واعتمد هذا الجمع النووى ، وأما البيهقى فمال إلى الترجيح ... الفتح ٤٤٠/٧ - ٤٤١ .

رضى الله عنها ، وساق سبعين بدنة ، واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم ، وأحرم النبى ﷺ من ذى الحليفة - ميقات أهل المدينة - أخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم قالاً : خرج رسول الله ﷺ زمان الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، حتى إذا كانوا بذى الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدى وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش »(١) .

وقاد عباده بن بشر أمامه طليعة فى عشرين فرساً من خليل المسلمين ، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار ، وبلغ المشركين خروجه فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام ، وعسكروا ببلدح ، وقدموا مائتى فارس إلى كراع الغميم ، وعليهم خالد بن الوليد ، ويقال عكرمة بن أبى جهل .

وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل(٢) ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً .

فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش ، لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لوخلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن لم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الحديبية .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب صلح العدو ، وفى كتاب السنة : باب الخلفاء .
وأحمد فى المسند ٤/٣٢٨ - ٣٣١ ، ٣٣٤ .

(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة ذات اللبن ، والمطافيل : الأمهات التى معها أولادها ، والمراد أنهم خرجوا ومعهم النساء والأولاد .

يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوا الله لا أزل أجاهد على الـذى بعثنـى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » .

ثم قال : « أشيروا أيهـا النـاس علـىّ ، أتـرون أن أميـل إلى عيـالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين » .

فقال أبو بكر الصديق ﷺ : يا رسول الله ، خرجت عـامداً لهـذا البيـت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلنـاه ، فقـال رسـول الله ﷺ : « امضوا على اسم الله » .

تفادى رسول الله ﷺ الاصطدام بخيل المشركين فقال : « من رجـل يخـرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا ، فسلك بهـم طريقاً وعـراً صعبـاً ، خرجـوا منـه بعـد مشـقة وجهـد ، فـأفضوا إلى أرض سـهلة منبسطة ، فقال رسول الله ﷺ قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه » فقالوهـا فقـال : « والله إنها للحطة التى عرضت على بنى إسـرائيل فلـم يقولوهـا » ، ثـم سـلكوا طريقاً انتهى بهم إلى ثنية المرار قرب الحديبية .

وفى هذا المكان بركت « القصواء » ناقة رسول الله ﷺ فلم تقـم فقـالوا : خلأت - حرنت - القصواء ، فقال رسول الله ﷺ : فاخلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل - أى حبسـها الله تعـالى عـن دخـول مكـة كما حبس الفيل عن دخولها - والذى نفس محمد بيده لا تدعونـى قريـش لخصلـة فيها تعظيم لحرمات الله إلا أجبتهم إليها .

ثم قال للناس : « أنزلوا » فقالوا : ما بالوادى من ماء ينزل عليه فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجل من أصحابه ، فنزل به فى بئر فغرزه فى جوفه ، فجاش بالماء حتى ضرب الناس بعطن ، فشربوا وسقوا دوابهم .

وعن اعتراض خالد بن الوليد المسلمين ، وخرج النبى ﷺ عن طريقه ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنديهما من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : « ... فراحلوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ : « إن خالد بن الوليد بالغميم ، فى خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين » ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها ، بركت راحلته ، فقال الناس : «حل حل» فألحت فقالوا : خلأت القصواء ، فقال ﷺ : « ما خلأت القصواء ، وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل) ، ثم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يسألوننى حطة يعظمون فيها حرمات الله إلا اعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت، قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء »(١) .

وأما عن تفجير الماء من البئر الذى نضب فى الحديبية ببركته ﷺ ، ففى الحديث السابق قال : « فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه » .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الشروط : باب الشروط فى الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط (برواية مطولة) .
وأحمد فى المسند ٣٢٨/٤ - ٣٣١ .

تبادل الرسل بين قريش ورسول الله ﷺ :

وبعثت قريش رسلها إلى رسول الله ﷺ واحداً بعد الآخر ، تستطلع أخباره وترى من قريب حقيقة الهدف الذى يقصده ، فكان أول هذه الرسل : بديل بن ورقاء الخزاعى ، أتى رسول الله ﷺ فى رجال من خزاعة ، وكانت خزاعة عيبة(١) نصح رسول الله ﷺ ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة ، فسألوه عما جاء به، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً له ، فرجعوا إلى قريش فأخبرهم بذلك .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده من حديث مروان والمسور الذى سبق بعضه « ... فبينما هم كذلك إذا جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة كانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ، فقال : إنى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية ، ومعهم العوذ المطافيل ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم نجىء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قدنهكتهم الحرب ، وأضرت بهم ، فإن شاءوا مدتهم مدة ، ويخلو بينى وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا(٢) ، وإن هم أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى، ولينفذن الله أمره » ، فقال بديل : سأبلغهم ما تقول .

قال : فانطلق حتى أتى قريشاً قال : إنا جئناكم من هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً : فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ، فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن

---

(١) عيبة نصح : موضع الأمانة والسر والنصيحة .

(٢) جموا : استراحوا من القتال .

تخبرونا عنه بشىء ، وقال ذو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول : قال : سمعته يقول : كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبى ﷺ »(١) .

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ مكرز بن حفص بن الأحنف ، فما رآه رسول الله ﷺ قال : « هذا رجل غادر » فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ حدثه نحو حديث بديل بن ورقاء ، وعاد إلى قريش فأخبرهم بما قاله رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا بحليس بن علقمه الكنانى سيد الأحابيش ، فملا أشرف على رسول الله ﷺ وأصحابه قال رسول الله : « هذا من قوم يتألهون(٢) فأبعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه » فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، واستقبله الناس يلبون ، رجع إلى قريش، و لم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى ، وأخبر قريش بما رأى فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب الحليس وقال : يا معشر قريش : والله ما على هذا حالفناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له !! والذى نفس الحليس بيده لتخلن بينه وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فقالوا : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

ثم بعثت قريش عروة بن مسعود الثقفى ، فخشى أن يناله من التعنت وسوء المقالة ما نال من سبقه ، فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، ألستم بالوالد ؟ قالوا : بلى ، قال : أو لست بالولد ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل تتهمونى ، قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا على(٣) جئتكم

---

(١) سبق تخريجه فى الحديث السابق .

(٢) يتألهون : يتعبدون ويعظمون شعائر الله .

(٣) بلحوا علىّ : امتنعوا وعجزوا .

بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد أقبلوها ، ودعونى آته ، قالوا : أئته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإنى والله لا أرى وجوهاً(١) وإنى لأرى أشواباً(٢) من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر ﷺ : أمصص بظر اللات(٣) ، أنحن ، نفر عنه وندعه ؟

فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر ، قال : أما الذى نفسى بيده ، لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك ، قال : وجعل يكلم النبى ﷺ ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبه قائم على رأس النبى ﷺ ، ومعه السيف، وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال له : أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أى غدر(٤) ألست أسعى فى غدرتك؟

وكان المغيرة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم فقال النبى ﷺ : « أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء » ، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى ﷺ بعينه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا

---

(١) وجوهاً : الوجوه : يعنى الأعيان والأشراف .

(٢) أشواباً : أخلاطاً .

(٣) أمصص بظر اللات : عبارة تستعمل عند العرب للشتم .

(٤) غدر : أى يا غادر .

أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ ، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، فإنى لكم ناصح، فقالت قريش : لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامنا هذا ويرجع من قابل .

أما رسل رسول الله ﷺ التى أرسلها لقريش ، بعث خراش بن أمية الخزاعى إلى مكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعهم الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ .

ثم دعا رسول عمر ليبعثه إلى مكة ، فقال : يا رسول الله إنى أخاف قريشاً على نفسى ، وليس بها من بنى عدى أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكن أدلك على رجل هو أعزمنى ، عثمان بن عفان .

فدعاه رسول الله ﷺ ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان حتى أتى مكة ، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته ، وحمله بين يديه ، وردف خلفه ، وأجازه حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، فاحتسبته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

بيعة الرضوان :

وعندما بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان رضي الله عنه قد قتل ، قال : « لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا إلى البيعة تحت شجرة سمرة هناك ، فبايعه بعضهم على الموت ، وبعضهم على أن لا يفروا ، وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال : « لقد رأيتنى يوم الشجرة ، والنبى ﷺ يبايع الناس ، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه أن لا نفر »(١) .

وأول من بايع بيعة الرضوان : أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدى ، قال : يا رسول الله أبسط يدك أبايعك قال : « على ماذا ؟ » قال : على ما فى نفسى ، قال : « فتح وشهادة » قال : نعم ، فبايعه قال : فخرج الناس يبايعون على بيعة أبى سنان .

أما من تخلف عن البيعة ، فقد أخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « قال أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل : كم كانوا يوم الحديبية قال : كنا أربع عشر مائة ، فبايعناه ، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة ، وهى سمرة ، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصارى اختبأ تحت بطن بعيره »(٢) .

ولما تمت البيعة للحاضرين ضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه لنفسه ، وهذه البيعة هى بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

وأحمد فى مسنده (الفتح الربانى : ٢١ /١٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب استحباب مبايعة الإمام الحبيش عند إراده القتال .

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾(١) .

وعن مبايعة النبى ﷺ نفسه : عن عثمان ﷺ أخرج الإمام البخارى فى صحيحه بسنده من حديث ابن عمر رضى الله عنهما كما رواه عنه عثمان بن وهب قال : « جاء رجل حج للبيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القعود؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : من الشيخ ؟ قالوا ابن عمر ، فأتاه فقال : إنى سائلك عن شيء أتحدثنى ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان تخلف فى يوم أحد ؟ قال : نعم ، قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال: نعم . قال : فكبر.

قال ابن عمر : تعالى لأخبرك ولأبين لك عما سألتنى عنه : أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه يوم بدر فإنه كان تحت بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة ، فقال له النبى ﷺ : « إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه » ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان مكة ، فقال النبى ﷺ بيده اليمين : « هذه يد عثمان » فضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان ، أذهب بها الآن معك »(٢) .

---

(١) سورة الفتح الآية : ١٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب قول الله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » .

والترمذى فى سننه ، كتاب المناقب : باب مناقب عثمان بن عفان وقال : حسن صحيح .

والحاكم فى المستدرك ٩٨/٣ ، وقال صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى (من طريق حبيب بن أبى مليكة) .

وأحمد فى المسند ٥٩/١ .

بيعة عمر بن الخطاب ﷺ :

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده قال نافع : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتى به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك ، فبايعه عبد الله ، ثم ذهب إلى الفرس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلئم للقتال ، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة قال: فانطلق ، فذهب معه » .

وعنده أيضًا بسنده من طريق نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : « أن الناس كانوا مع النبى ﷺ يوم الحديبية تفرقوا فى ظلال الشجر ، فإذا الناس محدقون بالنبى ﷺ ، فقال : يا عبد الله أنظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ، فوجدهم يبايعون ، فبايع ، ثم رجع إلى عمر ، فخرج ، فبايع »(١) .

وفى الجمع بين الروايتين قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى(٢) : «ويمكن الجمع بينهما بأنه بعثه يحضر له الفرس ، ورأى الناس مجتمعين فقال له : انظر ما شأنهم ؟ فبدأ يكشف حالهم ، فوجدهم يبايعون ، فبايع ، وتوجه إلى الفرس ، فأحضرها ، وأعاد حينئذ الجواب أبيه » .

علام بايع رسول الله ﷺ صحابته يوم الحديبية ؟ :

اختلفت الروايات والأقوال فى ذلك إلى :

أولاً : المبايعة على الموت : وهو قول سلمة بن الأكوع ، وعبد الله بن زيد ابن عاصم .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الحديبية .

(٢) ٧/٤٥٦ .

فأخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ أن مولاه سأله : « على أى شىء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال : على الموت »(١) .

ثانياً : البيعة على عدم الفرار : وهو قول جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار .

فأخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة ، فبايعناه ، وعمر ﷺ آخذ بيده تحت الشجرة ، وهى سمرة ، قال : بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت ».

وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث معقل بن يسار ﷺ قال : «لقد رأيتنى يوم الشجرة ، والنبى ﷺ يبايع الناس ، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة ، قال : لم نبايعه على الموت ، ولكن بايعناه أن لا نفر» .

ثالثاً : المبايعة على الصبر : وقد جاء هذا من حديث ابن عمر :

فأخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : « رجعنا من العام المقبل ، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها» كانت رحمة من الله فسألنا نافعاً : على أى شىء بايعهم ؟ على الموت ؟ قال : لا ، بايعهم على الصبر »(٢) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الحديبية .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الإمارة : باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الجهاد : باب البيعة فى الحرب أن لا يفروا وقال بعضهم على الموت .

أما عن التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة :

يقول الإمام النووى رحمه الله :« قوله فى رواية جابر ومعقل بن يسار بايعنا يوم الحديبية على أن لا نفر ، و لم نبايعه على الموت .

وفى رواية سلمة : أنهم بايعوه يومئذ على الموت ، وهو معنى رواية عبد الله بن زيد بن عاصم ، وفى رواية مجاشع بن مسعود : البيعة على الهجرة والبيعة على الإسلام والجهاد ، وفى حديث ابن عمر وعبادة بايعنا على السمع والطاعة ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وفى رواية ابن عمر فى غير صحيح مسلم : البيعة على الصبر .

قال العلماء : هذه الرواية تجمع المعانى كلها ، وتبين مقصود كل الروايات، فالبيعة على أن لا نفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل ، وهو معنى البيعة على الموت ، أى نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت ، لا إن الموت مقصود فى نفسه، وكذا البيعة على الجهاد أى والصبر فيه والله أعلم »(١) .

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح(٢) : « إن المباعية فيها مطلقة ، وقد أخبر سلمة بن الأكوع ، وهو ممن بايع تحت الشجرة أنه بايع على الموت ، فدل ذلك على أنه لا تنافى بين قولهم بايعوه على الموت ، وعلى عدم الفرار لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا ، وليس المراد أن يقع ولابد ، وهو الذى أنكره نافع وعدل إلى قوله « بل بايعهم على الصبر » أى على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا ، والله أعلم » .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى ١٣/٢ ، ٣ .

(٢) ٦/١١٨ .

وفى موضع آخر من كتابه الفتح(١) يقول : « وحاصل الجمع أن من أطلق أن البيعة كانت على الموت أراد لازمها ، لأنه إذا بايع على أن لا يفر لزم من ذلك أن يثبت ، والذى يثبت إما أن يغلب وإما أن يؤسر ، والذى يؤسر إما أن ينجو وإما أن يموت ، ولما كان الموت لا يؤمن فى مثل ذلك أطلقه الراوى ، وحاصله أن أحدهما حكى صورة البيعة ، والآخر حكى ما تؤول إليه » .

وقال الإمام الترمذى فى سننه : « ومعنى كلا الحديثين صحيح قد بايعه قوم من أصحابه على الموت وإنما قالوا : لا نزال بين يديك حتى نقتل وبايعه آخرون فقالوا : لا نفر »(٢) .

مناوشات قريش وأسر رجال من المشركين حاولوا الاعتداء على المسلمين :

وأرسلت قريش نحواً من خمسين رجلاً منهم ، عليهم مكرز بن حفص ليطيفوا بعسكر المسلمين عسى أن ينالوا منهم غرة ، فأسرهم حارس الجيش محمد ابن مسلمة ، وهرب رئيسهم ، وأتى بهم إلى رسول الله فعفا عنهم .

أخرج مسلم فى صحيحه(٣) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ (من حديث طويل) قال : « ... أتيت شجرة فكسحت شوكها ، واضطجعت فى

---

(١) فتح البارى ٧/٤٥٠ .

(٢) سنن الترمذى ، كتاب السيرة ، باب بيعة النبى ﷺ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد : باب غزوة ذى قرد .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى السرية ترد على أهل العسكر .
وأحمد فى المسند ٤/٥٢ - ٥٤ .

أصلها ، فأتاني أربعة من أهل مكة من المشركين ، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ ، فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا ، فبينما هم كذلك ، إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا للمهاجرين ، قتل ابن زينهم قال : فاخترط سيفي ثم شددت على هؤلاء ، وهم رقود ، فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً في يدى . قال : ثم قلت : والذى كرم وجه محمد ! لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذى فيه عيناه قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ .

قال : وجاء عمي عامر برجل من العبلات(١) يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ ، على فرس مجفف في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال : « دعوهم ، يكن لهم بدء الفجور وثناه »(٢) فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾(٣) .

وأخرج مسلم - أيضاً - في صحيحه ، من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: « أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين ، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه ، فأخذهم سلماً ، فاستحياهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾(٤) .

---

(١) العبلات : من قريش وهم أمية الصغرى .

(٢) يكن لهم بدء الفجور وثناه : البدء هو الابتداء ، وثناه بمودة ثانية .

(٣) سورة الفتح الآية : ٢٤ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب قوله تعالى : ﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم ﴾ .

وأبو داود في سننه ، كتاب الجهاد : باب في المن على الأسير بغير فداء في المن .

والترمذى في سننه ، كتاب التفسير : باب وفي سورة الفتح وقال : حسن صحيح .

وأحمد في المسند ٣/١٢٢-١٢٥ .

إرسال قريش لسهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول ﷺ :

أرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى النبى ﷺ ليتفاوض على الصلح بشرط أن يرجع النبى ﷺ وقالوا له : ائت محمداً وصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوا لله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً .

أخرج ابن حبان فى صحيحه بسنده من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم السابق : « ... أن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى فقالوا : أئت محمداً فصالحه ولا يكون فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوا لله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً »(١) .

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ ورآه تفاءل به ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث المسور ومروان : « ... فبينما هو يكلمه(٢) إذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر : فأخبرنى أيوب عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبى ﷺ : « قد سهل الله أمركم » قال معمر قال الزهرى فى حديثه « فجاء سهيل بن عمر فقال : هأت اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا النبى ﷺ الكاتب »(٣) .

---

(١) أخرجه بن حيان فى صحيحه : ٦٦٩٦ .

وذكره ابن حجر فى المطالب العاليه : ٢٠٦٤ ، ٤٣٤٧ ، ونسبه لأبى بكر بن أبى شيبة وقال : إسناده فى نهاية الصحة .

(٢) مكرز بن حفص وهو يكلم النبى ﷺ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الشروط : باب الشروط فى الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب .

وأحمد فى مسنده ٣٢٨/٤ - ٣٣١ .

كاتب صلح الحديبية :

قد جاء عن عدد من الصحابة أن على بن أبى طالب ﷺ ، كان هو كاتب صلح الحديبية :

أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث البراء بن عازب ﷺ قال: «كتب على بن أبى طالب الصلح بين النبى ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية»(١).

شروط صلح الحديبية :

وقبل أن نكتب الشروط ، لابد أن نذكر نص الصحيفة التى تضمنت الشروط ، فمن حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم « ... باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصلح : باب كيف يكتب ، وهذا ما صالح عليه فلان بن فلان .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الحج : باب المحرم يحمل السلاح .

ومن حديث أنس ، أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب السير : باب صلح الحديبية .

ومن حديث المسورين مخرمة ومروان بن الحكم :

أخرجه أحمد فى مسنده ٣٢٥/٤ .

وأخرجه أبو داود فى سننه .

ومن حديث ابن عباس : عند إسحاق بن راهويه

يردوه إليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال(١)، ولا إغلال(٢) ، وأنـه مـن أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخـل فـى عقـد قريش وعهدهم دخل فيه ، وإنك ترجع عنا عامنا هذا ، فـلا تدخـل علينـا مكـة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنـك ، فتدخلهـا بأصحـابك ، وأقمـت فيهـا ثلاثـاً معك سلاح الراكب ، لا تدخلها بغير السيوف فى القرب(٣) » .

وهذا الصلح يتضمن الشروط التالية :

أولاً : أن توقف الحرب بين المسلمين وبين قريش عشرة أعوام .

ثانياً : إن من جاء إلى المسلمين من قريش يردونه ، ومن جاء قريشاً مـن المسـلمين لا تلزم قريش برده .

ثالثًا : أن يرجع النبى والمسلمون من غـير عمـرة هـذا العـام ثـم يـأتى العـام المقبـل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريـش فيقيمـون بهـا ثلاثـة أيـام ليـس معهم إلا القوس والسيف فى القراب .

رابعاً : من أراد أن يدخل فى عهد محمد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فـى عهـد قريش دخل فيه .

---

(١) الإسـلال : السـرقة الخفيـة ، ويقـال : الإسـلال الغـارة الظـاهرة ، وقيـل : المقصـود سـل السيوف – النهاية .

(٢) إغلال : الإغلال الخيانة وقيل : الإغلال لبس الدرع – النهاية .

(٣) القرب : ما يوضع فيه السيف وهو الغمد .

وقد جاءت بعض بنود هذا الصلح من حديث البراء بن عازب فى صحيح البخـارى ، فـى كتاب الصلح : باب الصلح مع المسركين ، وكذلك عند مسلم

ومن حديث أنس فى صحيح مسلم ، ومن حديث ابن عمر فى صحيح البخارى .

وقد أتى التطبيق العملى لهذه الشروط سريعاً من جانب المسلمين : فقد خرج أبو جندل بن سهيل بن عمرو من مكة إلى رسول الله ﷺ يرسف فى الحديد، فقال سهيل : هذا أول من أقاضيك عليه ، فرده إليه رسول الله ﷺ وقال: يا أبا جندل، قد تم الصح بيننا وبين القوم ، فأصبر حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً .

وكذلك دخول خزاعة فى عهد النبى ﷺ وبنو بكر فى عهد قريش ، أخرج ابن حبان فى صحيحه بسنده من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : «أنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم »(١) .

اعتذار عليّ ﷺ عن محو الشهادة للنبى ﷺ بالرسالة :

دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبى طالب ﷺ ليكتب الكتاب ، فقال له : «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سهيل : أما الرحمن فلا أدرى ما هو ؟ ولكن اكتب باسمك اللهم ، فأبى المسلمون ، فقال النبى : « اكتب باسمك اللهم» ثم قال : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » ، فقال سهيل : والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله : « والله إنى لرسول الله حقاً وإن كذبتمونى » ، ثم أمر علياً بمحو ما كتب وكتابة محمد بن عبد الله ، فامتنع على تأدباً ، فأخذ رسول الله الصحيفة فمحاها وكتب محمد بن عبد الله وهو لا يحسن أن يكتب .

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه : ١٦٩٦ .

ونسبه ابن حجر ، لأبى بكر بن أبى شيبة وقال : إسناده فى نهاية الصحة فى المطالب العالية : ٢٠٦٤ ، ٤٣٤٧ .

أخرج الشيخان في صحيحهما بسندهما من حديث البراء بن عازب ﷺ قال : « كتب عليٌّ بن أبي طالب الصلح بين ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية ، فكتب « هذا ماكاتب عليه محمد رسول الله ، فقالوا : لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ، فقال النبي ﷺ لعلي : « امسحه » فقال : ما أنا بالذي أمحاه ، فمحاه النبي ﷺ بيده »(١) .

شهود كتاب الصلح :

بعد أن فرغ عليّ من كتابه شروط صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وقريش ، أشهد الرسول على الكتاب رجالاً من المسلمين ، وهم أبو بكر ، وعمر ابن الخطاب ، وعليّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، وشهد من المشركين حويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص .

وكتب من الشروط نسختان : نسخة للنبي ﷺ ، وأخرى لقريش .

اعتراض عمر بن الخطاب ﷺ على كتابة الصلح :

اختلف المسلمون إيذاء شروط الصلح إلى فريقين : الأول يرى ما رأى رسول الله ﷺ ، ومنهم أبو بكر الصديق ﷺ .

والثاني رأى أن في شروط الصلح إجحافاً للمسلمين ، وداخلهم منها همّ كبير ، لا سيما الشرط الثاني ، وقالوا : سبحان الله !! كيف نردَّ إليهم من جاءنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح : باب كيف يكتب ، وهذا ما صالح عليه فلان بن فلان .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية .

وأبو داود في سننه ، كتاب الحج : باب المحرم يحمل السلاح .



مسلماً ولا يردون إلينا من جاءهم مرتداً ، وقد أجاب الرسول ﷺ عن ذلك فقال: « إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ».

ومن هذا الفريق عمر بن الخطاب ﷺ ، أخرج الشيخان في صحيحهما بسنديهما من حديث سهل من حنيف ﷺ من طريق أبي وائل عنه قال : « قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال : أيها الناس ! اتهموا أنفسكم ، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، وذلك في الصلح الذى كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : (بلى) ، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : (بلى) ، قال : ففيم نعطى الدنية في ديننا ، ونرجع ، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : « يا ابن الخطاب إنى رسول الله ، ولن يضيعنى الله أبداً » قال : فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ! ألسنا على حق ، وهم على باطل ؟ قال : بلى . قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدنية في ديننا ونرجع ، ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟

فقال : يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً . قال : فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه ، فقال : يا رسو ل الله !! أو فتح هو ؟ قال : (نعم) ، فطابت نفسه ورجع »(١) .

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب الجزية .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية .

وأحمد في المسند٣/٤٨٦ .

كما أن البعض من المسلمين ظن أن منع المسلمين من العمرة فى عامهم هذا وتأجيلها للعام الذى يليه ، أنه يخالف الرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ ووعد أصحابه بتحقيقها ، وهى أنهم سوف يدخلون المسجد الحرام إن شاء الله ، فلما لم تتحقق وانتهى الصلح بتأجيل دخولهم المسجد الحرام ، حزن المسلمون حزناً شديداً، حتى بين لهم رسول الله ﷺ أن الرؤيا ليس يلازم أن تتحقق هذا العام ، فقد سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن هذا فقال له : أفأخبرتك أنك تأتيه هذا العام ؟ قال : لا ، قال : « فإنك آتيه ومطوف به ... »(١) .

النساء وصلح الحديبية :

وكان من شروط صلح الحديبية الذى تم بين رسول الله ﷺ وبين قريش أن من جاء من قريش إلى النبى ﷺ مسلماً رُدّ ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تستثنى النساء من بعض هذه الشروط ، خوفاً عليهن من الفتنة ، فقد جاءت نسوة مؤمنات من قريش منهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وهى أخت عثمان لأمه ، جاءت إلى المسلمين عقب صلح الحديبية فارة من المشركين ، فجاء أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلماه فيها أن يردها إليهما فأبى ، وروى أنه ﷺ قال : كان ذلك فى الرجال لا فى النساء » ، وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ . لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الشروط : باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب أسباب صلح الحديبية .

يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ وَاسأَلُوا مَا أَنفَقتُم وليَسأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُم حُكمُ اللهِ يَحكُمُ بَينَكُم وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وامتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى كانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة فى أرض ولا بغضاً فى زوج ولا لالتماس عرض من أعراض الدنيا ، وإنما خرجت حباً فى الله ورسوله ، ومتى حلفت لا ترد بل يعطى لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ، وحينئذ يجوز للمسلم تزوجها ، وكذلك تحريم إمساك الزوجة الكافرة ولا تكون فى عصمة المسلم بل ترد إلى أهلها بعد أن يعطوا ما انفقوا عليها.

وأخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : « كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤمِنَاتُ يُبَايِعنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشرِكنَ بِاللهِ شَيئاً وَلَا يَسرِقنَ ولَا يزنِينَ(٢) ... ﴾ إلى آخر الآية .

قالت عائشة : فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة .

وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن ، قال لهن رسول الله ﷺ « انطلقن فقد بايعتكن ، ولا والله : ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أن يبايعن بالكلام .

---

(١) سورة الممتحنة الآيتان : ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة الممتحنة الآية : ١٢ .

قالت عائشة : والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط ، إلا بما أمره الله تعالى ، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن : « قد بايعتكن » كلاماً »(١) .

مشورة أم سلمة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ فى الحلق والنحر :

لما فرغ النبى ﷺ من كتابة الصلح ، قال لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم أحلقوا » وكرر ذلك ثلاث مرات ، فما قام منهم أحد ، فدخل رسول الله ﷺ على زوجة أم سلمة فأشارت عليه ﷺ بمشورة جاء فى الحديث الذى أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم :.... فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا ، فانحروا ، ثم احلقوا ، قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد ، دخل على أم سلمة ، فذكر ما لقى من الناس ، فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك ؟ أخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه ودعا حالقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً »(٢) .

---

(١) اللفظ لمسلم ، وقد أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق : باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمى أو الحربى .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه ، كتاب الشروط : باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .
وأحمد فى المسند ٣٢٨/٤ - ٣٣١ .

كما روى فى قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوبِهِ أَذًى مِّن رَّأسِهِ فَفِديَةٌ ... ﴾(١) ما أخرجه الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث كعب ابن عجرة ﷺ قال : « كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ، ونحن محرمون ، وقد حصرنا المشركون ، قال : وكانت لى وفرة ، فجعلت الهوام تساقط من رأسى ، فمر بى النبى ﷺ فقال : « أيؤذيك هوام رأسك ؟ » قلت نعم ، وأنزلت هذه الآية: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوبِهِ أَذًى مِّن رَّأسِهِ فَفِديَةٌ مِّن صِيَامٍ أَو صَدَقَةٍ أَو نُسُكٍ ﴾ .

ما ورد فى منزلة أهل الحديبية :

إن أهل الحديبية خير أهل الأرض - وذلك لما أخرجه الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا النبى ﷺ : « وأنتم اليوم خير أهل الأرض » وقال جابر : « لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة » .

وكذلك تحريم دخول النار على أهل الحديبية ، لما أخرجه مسلم فى صحيحه بسنده من حديث جابر ﷺ قال : « أن عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ! ليدخلن حاطب النار ، فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا يدخلها ، فإنه شهد بدراً والحديبية »(٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٦ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب من فضل أهل بدر .
والترمذى فى سننه ، كتاب المناقب .
وأحمد فى المسند ٣٢٥/٢ ، ٣٤٩ .
والحاكم فى المستدرك ٣٠١/٣ .

وروى مسلم - أيضاً - فى صحيحه بسنده من حديث جابر بن عبد الله قال : أخبرتنى أم مبشر ، أنها سمعت النبى ﷺ يقول عند حفصة رضى الله عنها : « لا يدخل الجنة إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها » قالت : بلى يا رسول الله ـ فانتهرها : فقالت حفصة : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(١) فقال النبى ﷺ : قد قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾(٢) .

الفتح هو صلح الحديبية ، ونزول سورة الفتح أثناء الرجوع من صلح الحديبية:

اختلف فى الفتح ، أهو صلح الحديبية أم غيره ، فقد أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن البراء بن عازب ﷺ قال : « تعدون الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية »(٣) .

كما أخرج أبو داود فى سننه بسنده من حديث مجمع بن جارية ﷺ قال : « شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس قرأ عليهم : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية ، فقال رجل : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال : أى والذى نفسى بيده إنه لفتح »(٤) .

يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى(٥) : « وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات ، فقوله تعالى :

---

(١) سورة مريم الآية : ٧١ .

(٢) سورة مريم الآية : ٧٢ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب عن فضائل أصحاب الشجرة.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فيمن أسهم له سهماً .

والحاكم فى المستدرك ٤٥٩/٢ ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبى : ولم يخرج مسلم لمجمع ولا لأبيه شيئاً هما ثقتان .

(٥) ٤٤٢/٧ .

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيناً ﴾ المراد هنا الحديبية ، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين ، لما ترتب على الصلح الذى وقع منه الأمن ، ورفع الحرب ، وتمكن من يخشى الدخول فى الإسلام ، والوصول إلى المدينة من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما ، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح .

وقد ذكر ابن إسحاق فى المغازى عن الزهرى قال : لم يكن فى الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه ، إنما كان الكفر حيث القتال ، فلما أمن الناس كلهم ، كلم بعضهم بعضاً ، وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، ولم يكن أحد فى الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل فى تلك السنتين مثل من كان دخل فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : ويدل عليه أنه ﷺ خرج فى الحديبية فى ألف وأربعمائه ، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة فى عشرة آلاف » أ. هـ .

وهذه الآية نزلت منصرفة عليه السلام من الحديبية ، وأما قوله تعالى فى هذه السورة : ﴿ وَأَثَابَهُم فَتحاً قَرِيباً ﴾ ، فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح ، لأنها هى التى وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين .

وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن حارثة قال : شهدنا الحديبية ، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس قرأ عليهم : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيناً ﴾ الآية فقال رجل : يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال : « أى والذى نفسى بيده إنه لفتح » . ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية .

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبى فى قوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مبِيْناً ﴾ قال : صلح الحديبية ، وغفر له ما تقدم وما تأخر ، وتبايعوا بيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وظهرت الروم على فارس ، وخرج المسلمون بنصر الله .

أما قوله تعالى : ﴿ فَجَعَل مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتحاً قَرِيباً ﴾ فالمراد الحديبية ، وأما قوله : (وإذا جاء نصر الله والفتح) وقوله : « لا هجرة بعد الفتح » ، فالمراد بها فتح باتفاق ، فبهذا يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال ، بعون الله تعالى » .

ثم أخذ رسول الله ﷺ طريقه فى العودة إلى المدينة ، وهو مغتبط بما أتم من صلح ، وفى الطريق أنزلت عليه سورة الفتح . أخرج البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ كان يسير فى بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شىء فلم يجيبه ، ثم سأله ، فلم يجبه ، وقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمك يا عمر ، نذرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر: فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين ، وخشيت أن ينزل فى قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بى فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فىّ قرآن ، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، فقال : « لقد أنزلت علىّ الليلة سورة أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحنا لَكَ فَتحاً مَبِيناً ﴾(١) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة الحديبية .

والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير : باب من سورة الفتح . وقال : حسن صحيح غريب.

وأحمد فى المسند ١/٣١ .

وأخرج الشيخان في صحيحهما بسنديهما من حديث أنس بن مالك ﷺ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ قال : الحديبية . قال أصحابه : هنيئاً مريئاً ، فما لنا؟ فانزل الله ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قال شعبة: فقدمت الكوفة ، فحدثت بهذا كله عن قتادة ، ثم رجعت فذكرت له ، فقال: أما ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فعن أنس بن مالك ، وأما ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ فعن عكرمة»(١) .

وما أحسن ما ورد عن الصديق ﷺ في هذا قال : « ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس قَصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد » .

وقال الإمام الزهري : « ما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلّم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تَينْك السنيتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر »(٢) .

---

(١) اللفظ للبخاري أخرجه في صحيحه ، كتاب المغازي : باب غزوة الحديبية .

ومسلم في صحيح ، كتاب الجهاد والسير : باب صلح الحديبية .

وعند مسلم زيادة :

فعن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال : « لما نزلت : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ﴾ إلى قوله : ﴿ فوزاً عظيماً ﴾ مرجعه من الحديبية ، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدى بالحديبية ، فقال : « لقد أنزلت على آية هي أحب إلى من الدنيا جميعاً » .

والترمذي في سننه ، كتاب التفسير : باب تفسير سورة الفتح .

والحاكم في المستدرك ٤٥٩/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وأحمد في المسند ١٢٢/٣ ، ١٣٤ ، ١٥٣ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢٥٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٢٢/٢ .

رسل النبى ﷺ إلى الملوك والأمراء
(تبليغ الإسلام فى العالم)

لما فرغ رسول الله ﷺ من صلح الحديبية مع قريش ورجع إلى المدينة ، وقد آمن شر قريش ومناوأتها للدعوة والإسلام ، عزم على أن يكتب إلى الملوك المجاورة له ، من عرب وعجم ، فقد كان من هدى نبينا محمد رسول الله ﷺ لا يبدأ أحداً بقتال إلا إذا بلغه الدعوة ، ودعاه إلى الله تعالى ، وقد اتبع رسول الله ﷺ هذا المنهج إلتزاماً بأوامر الله سبحانه وتعالى ، ولأن رسول الله ﷺ قد أرسل للناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾(١) وقوله عز وجل : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢) وقوله سبحانه : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(٣) .

وعندما هم رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الملوك والأمراء ، قيل له إنهم - يعنى الملوك - لا يقرأون الكتب إلا إذا كانت مختومة ، فأتخذ ﷺ خاتماً من فضة ونقش فيه ثلاثة أسطر : محمد السطر الأسفل ، ورسول السطر الأوسط ، والله السطر الأعلى ، وكان يختم به الكتاب بعد طيه وذلك لئلا يطلع عليه أحد غير المرسل إليه لحفظ ما فيه من الأسرار .

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن نبى الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر ، وإلى النجاش وإلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس النجاشى الذى صلى عليه النبى ﷺ »(٤) .

---

(١) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب كتب النبى ﷺ وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل .

والترمذى فى سننه ، كتاب الاستئذان : باب فى مكاتبة المشركين . وقال : حديث حسن صحيح غريب .

١ - كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم :

بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل ملك الروم ، فدفع دحية بكتاب رسول الله ﷺ إلى عظيم بصرى ، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل ، فقرأه وكان فيه : « من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين(١) ، ﴿ قُلْ يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوا إلى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وبينَكُم أَلا نَعْبُدَ إِلاَّ الله ، وَلاَ نُشرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعضاً أَرْبَاباً مِن دُون اللهِ ، فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشهدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴾(٢)،(٣).

قال ابن سعد فى الطبقات : فقال هرقل بعد أن قرأ الكتاب لجمع من عظمائه وحاشيته : يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ، قالت الروم : وما ذاك أيها الملك ؟ قال: تتبعون هذا النبى العربى ، قالوا فحاصوا حيصة حمر الوحش ، وتناجزوا ورفعوا الصليب ، فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من إسلامهم وخاف على نفسه وملكه، فسكتهم ثم قال : إنما قلت لكم ما قلت لأختبركم لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم ، فقد رأيت منكم الذى أحب فسجدوا له .

---

(١) الأريسيين : قال ابن حجر : جمع أريس وهو منسوب إلى اريس ، وهو الفلاح ، والمقصود بالكلمة الأتباع وعامة الشعب .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

(٣) متفق عليه ، فقد أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الوحى : باب حديث أبى سفيان عند هرقل ، وغيره .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير: باب كتاب النبى ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

وهكذا سيطر عليه حبه لملكه على الإسلام ، فذهب بإثمة وإثم رعيته ، ولكنه كرَّم دحية ورده برسالة غاية فى التلطيف والاحترام .

٢ - رسالة رسول الله ﷺ إلى كسرى ملك الفرس :

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى بكتاب إلى كسرى ملك الفرس ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ليدفعه إلى كسرى .

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث ابن عباس رضى الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمى ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت ابن المسيب قال : « فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق »(١) .

ونص كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى ملك الفرس : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فأنى أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فإن تسلم تسلم ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك » .

فعندما بلغ رسول الله ﷺ أن ملك الفرس مزق رسالته ، دعا عليه وقال : « اللهم مزق ملكه » ، وقد استجاب الله لنبيه ، فقتله ابنه شيرويه .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المغازى : باب كتاب النبى ﷺ إلى كسرى وقيصر. وأحمد فى المسند ٢٤٣/١ ، ٣٠٥ .

٣ - كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم مصر :

بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى المقوقس لحاطب بن أبى بلتعه ونصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنما عليك إثم القبط ، ﴿ يَا أَهلَ الكِتَابِ تعَالَوا إِلىَ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنا وَبينَكُم أَلاَ نَعْبُدَ إِلاَ الله وَلاَ نشْرِكَ بِهِ شَيئاً وَلاَ يَتخِذَ بعضُنَا بَعضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإنِ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهدُوا بِأَنَا مُسلِمُونَ ﴾(١) .

وقبل المقوقس الكتاب ، وأكرم حاطباً ، وأحسن نزله ، ثم كتب ردّ الخطاب ، فقال فيه :

« لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيناً قد بقى ، وكنت أظنه بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين(٢) لهما مكان عظيم فى القبط ، وبثياب ، وأهديت إليك بغلة تركبها والسلام » .

وإحدى الجاريتين مارية التى تسراها النبى ﷺ وهى أم إبراهيم رضى الله عنها .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

(٢) وقيل أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار منهن : مارية وألف مثقال ذهباً ، وعشرون ثوباً ، وبغله النبى ﷺ : الدلول - وبقيت إلى زمن معاوية رضي الله عنه - وحماره : يعفور ، ويقال: إن الحمار من عامل عمان ، ونفق ، وخصى اسمه مابور ، وقدحاً من قوارير كان يشرب فيه النبى ﷺ راجع الوفا حتى ٧٣٥ - المعارف ص ١٤٩ . طبقات ابن سعد ١/٢٦٠ .

٤ - كتاب النبى ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة :

كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة ، كتاب ، وبعث به عمرو ابن أمية الضمرى ﷺ ، ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشى عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإنى أنا رسوله ، فأسلم تسلم ، ﴿ يَا أَهلَ الكِتَابِ تَعَالوا إِلىَ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنا وَبينكُم أَلاَ نَعْبُدَ إِلاَ اللهَ وَلاَ نُشرِكَ بِهِ شَيئاً وَلاَ يَتَّخذ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِن دُونِ اللهِ فَإنِ تَولوّا فَقُولُوا اشْهدوا بِأنا مُسلِمُونَ﴾ فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك »(١) .

وقد أوضح ابن القيم أن النجاشى الذى صلى عليه النبى ، وهو الذى آمن وأكرم أصحابه، هو غير النجاشى الذى كتب إليه يدعوه إلى الإسلام فهما اثنان(٢).

ولما وصل النجاشى كتاب رسول الله ﷺ احترمه وكرم حامله ، وقال له: إنى أعلم والله أن عيسى بشربه ، ولكن أعوانى بالحبشة قليل ، فانظرنى حتى أكثر الأعوان وألين القلوب .

٥ - كتابه ﷺ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين :

وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى التميمى الدارمى ، وأرسله مع العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه ، وبعث إليه يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم ، فكتب إليه المنذر : أما بعد ، يا رسول الله إنى قد قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضى يهود ومجوس فأحدث إلى فى ذلك أمرك ، فكتب إليه رسول

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٨٣ .

(٢) راجع زاد المعاد ٣/٦٩٠ .

الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فأنى أحمد الله إليك ، الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فإنى أذكرك بالله عز وجل فإنه من نصح فإنما ينصح لنفسه ، وأنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ، ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وأن رسلى قد أثنوا عليك خيراً ، وإنى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن تعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته فعليه الجزية » .

٦ - كتابه ﷺ إلى هوذة ملك اليمامة :

وكتب رسول الله ﷺ إلى هوذة بن على ملك اليمامة وبعث به سليط بن عمرو العامرى ، وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر ، فاسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يدك » .

فلما وصله كتاب رسول الله ﷺ كتب هوذة إليه قائلاً :

« ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك » ، فلما بلغ كتابه رسول الله ﷺ قال : « لو سألتنى قطعة من الأرض ما فعلت باد وباد ما فى يديه » .

٧ - كتابه ﷺ إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى :

وكان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملكاً على الشام من قبل قيصر الروم ، فكتب رسول الله ﷺ إليه كتاباً وبعث به شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه ، وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى الحارث

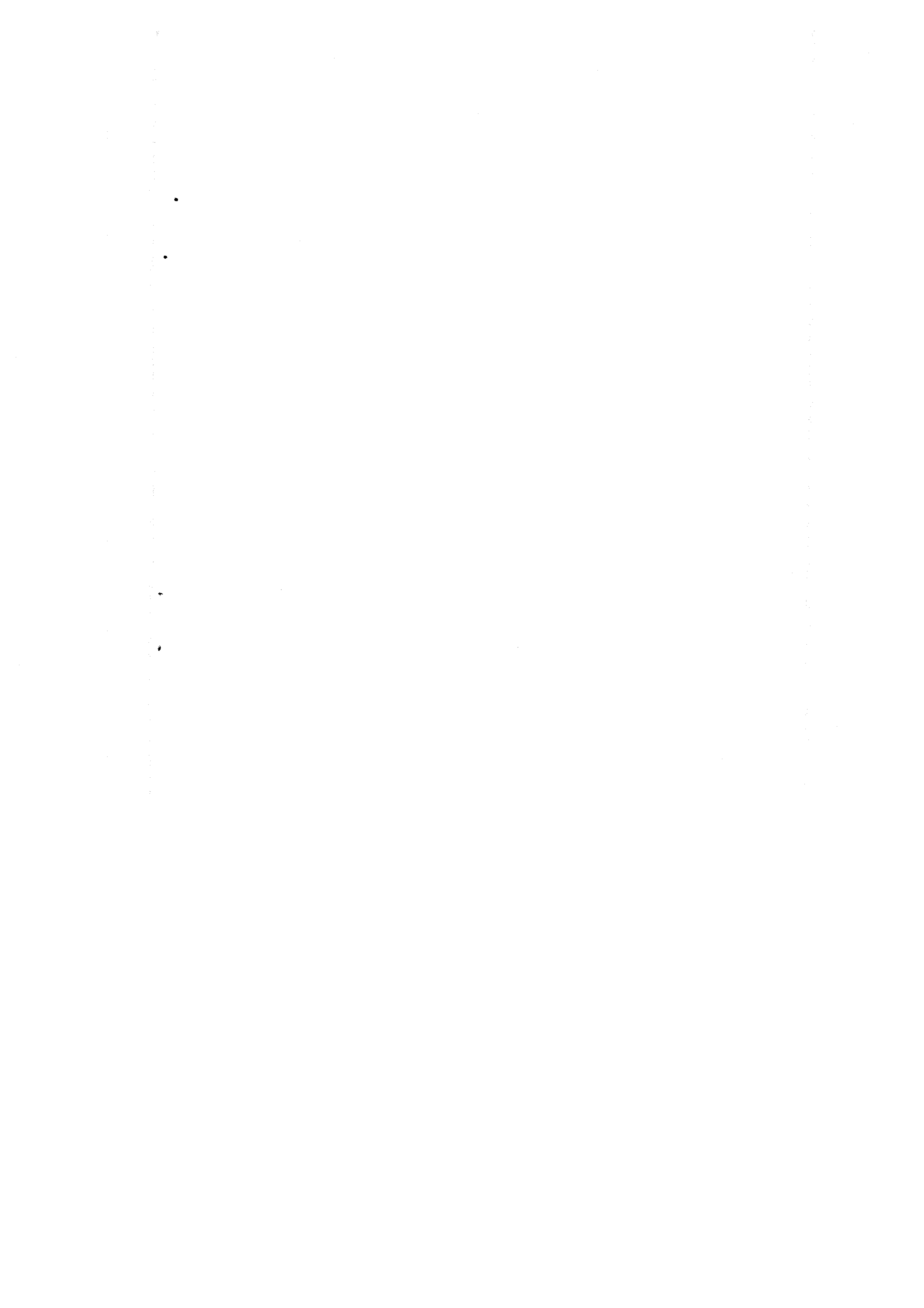
ابن أبى شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بـا لله وصدق فإنى أدعوك إلى أن تؤمن با لله وحده لاشريك له يبقى لك ملكك » .

فقرأ الكتاب ثم رماه ، وعندما أخبر النبى ﷺ بما كان من الحارث قال : « باد ملكه » .

٨ - كتاب رسول ا لله ﷺ إلى أمير بصرى :

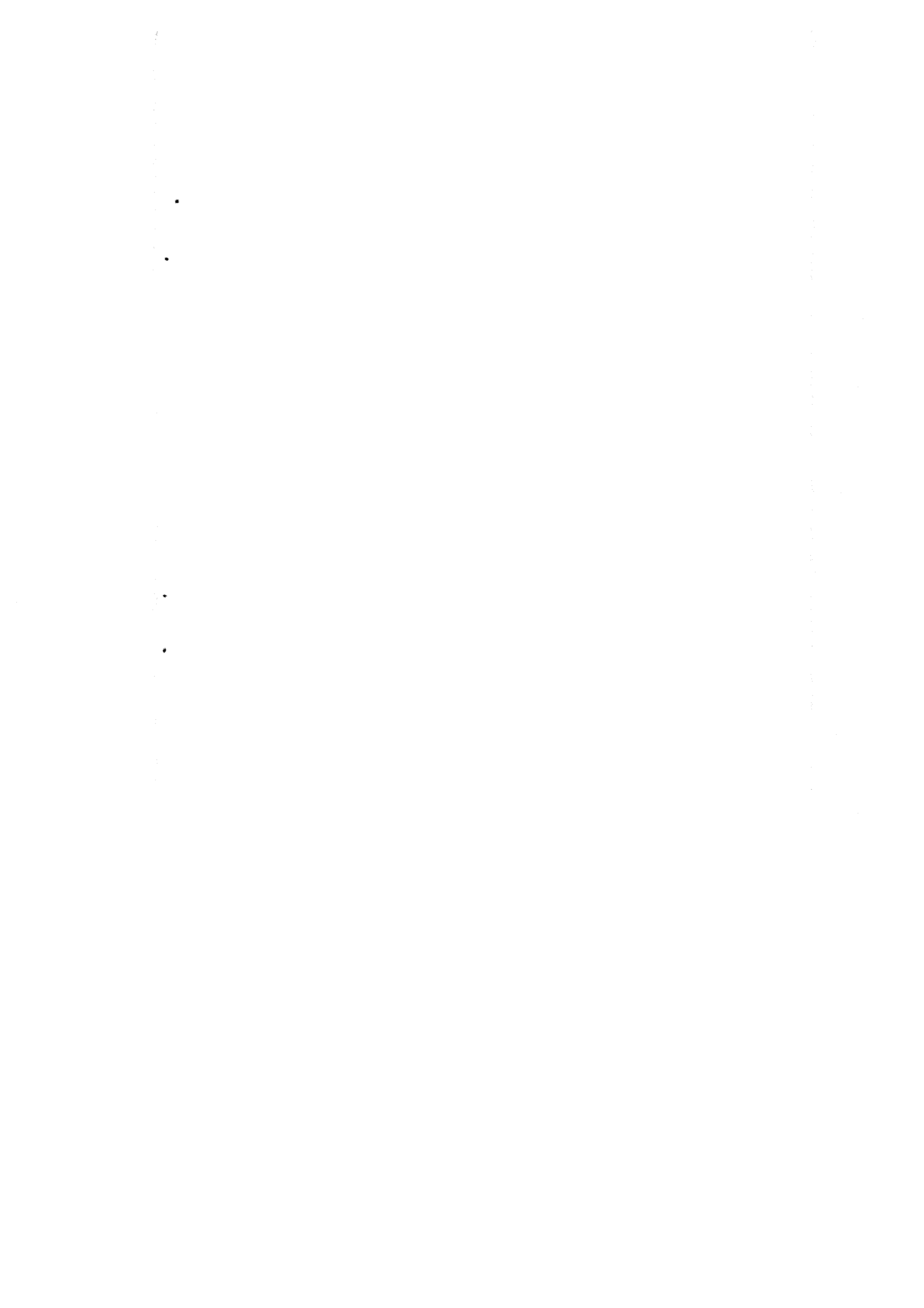
أرسل رسول ا لله ﷺ الحارث بن عمير الأزدى رضى ا لله عنه بكتاب إلى أمير بصرى ، فلما بلغ مؤته ، تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى ، قال له : أين تريد ؟ قال الشام ، قال : لعلك من رسل محمد ؟ قال : نعم ، فأمر به فضربت عنقه ، قالوا : و لم يقتل لرسول ا لله ﷺ رسول غيره .

وكذلك أرسل النبى ﷺ إلى جبلة بن الأيهم الغسانى ، وإلى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن ، وإلى جيفر وعبد ابنى الجلندى ملكى عمان ، وإلى كثير من الأمراء العرب المتفرقين فى مختلف المناطق ، فمنهم من أجاب وأسلم، ومنهم من عاند ورد رداً سيئاً .



الباب الثامن

أحداث السنة السابعة من الهجرة



الباب الثامن

أحداث السنة السابعة من الهجرة

غزوة ذى قرد(١) أو غزوة الغابة

أختلف فى وقت هذه الغزوة على قولين :

الأول : جزم الإمام البخارى بأنها كانت قبل خيبر بثلاث ليال ، ورجح ابن كثير وابن حجر(٢) ما ذهب إليه البخارى ، وأيده فى ذلك ابن القيم(٣) والبيهقى فى الدلائل(٤) .

والثانى : وهو قول أصحاب السير أنها كانت سنة ست قبل الحديبية .

قال الحافظ ابن حجر : « ومستنده فى ذلك حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ، فإنه قال فى آخر الحديث الطويل الذى أخرجه منسلم من طريقه : « قال فرجعنا - أى من الغزوة - إلى المدينة فوا لله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليالٍ حيث خرجنا إلى خيبر » أما ابن القيم فقال كانت غزوة ذى قرد فى ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية ، وقيل فى جمادى الأولى » ، وعن ابن إسحاق فى شعبان منها فإنه قال : « كانت بنو لحيان فى شعبان سنة ست ، فلما رجع النبى ﷺ إلى المدينة فلم يقم بها إلا ليالى حتى أغار عيينة بن حض على لقاحة » .

---

(١) هو ماء على نحو يوم من المدينة مما يلى بلاد غطفان .

(٢) فتح البارى ٤٦٠/٧ .

(٣) زاد المعاد ٢٧٩/٣ .

(٤) البيهقى فى الدلائل ١٧٨/٤ .

قال القرطبى : فى الكلام على حديث سلمة بن الأكوع ، لا يختلف أهل السير أن غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية ، فيكون ما وقع فى حديث سلمة بن الأكوع من وهم بعض الرواة ، قال : ويحتمل أن يكون النبى ﷺ كان أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها ، فأخبر سلمة عن نفسه ، وعمن خرج معه يعنى حيث قال : خرجنا إلى خيبر ، قال : ويؤيده أن ابن إسحاق ذكر أن النبى ﷺ أغزى إليها عبد الله بن رواحة قبل فتحها مرتين . انتهى .

قال الحافظ : « وسياق الحديث يأبى هذا الجمع ، فإن فيه بعد قوله وحين خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ ، فجعل عامر يرتجز بالقول ، وفيه قول النبى ﷺ مَنْ السائق ؟ وفيه مبارزة على لمرحب ، وقتل عامر ، وغير ذلك مما وقع فى غزوة خيبر حين خرج إليها النبى ﷺ ، فعلى هذا ما فى الصحيح من التاريخ لغزوة ذى قرد أصح مما ذكره أهل السير ، ويحتمل فى طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقاح وقعت مرتين الأولى التى ذكرها ابن إسحاق ، وهى قبل الحديبية ، والثانية بعد الحديبية قبل الخروج إلى خيبر ، وكان رأس الذين أغاروا عبد الرحمن بن عيينة كما فى سياق سلمة عند مسلم .

ويؤيده أن الحاكم ذكر فى (الإكليل) أن الخروج إلى ذى قرد تكرر ، ففى الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد ، وفى الثانية خرج إليها النبى ﷺ فى ربيع الآخر سنة خمس ، والثالثة هذه المختلف فيها . انتهى . فإذا ثبت هذا الجمع الذى ذكرته ، والله أعلم »(١) .

---

(١) فتح البارى لابن حجر ٤٦٠/٧ ، ٤٦١ .

وأحداث هذه الغزوة تبدأ عندما أغار عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزارى في جماعة من قومه عطفان على لقاح(١) النبى ﷺ بالغابة ، وعلى اللقاح رجل من غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واستاقوا اللقاح وأخذوا معهم المرأة ، وكان أول من سمع بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، فقد كان غلام لعبد الرحمن بن عوف فأخبره .

أخرج الشيخان في صحيحهما بسنديهما من طريق يزيد بن أبى عبيد قال : « سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذن بالأولى (٢) . وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذى قرد قال : فلقينى غلام عبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاح رسول الله ﷺ فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان ، قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه ! قال : فأسمعت ما بين لابتى المدينة ، ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم بذى قرد ، وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى ، وكنت رامياً وأقول :

أنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرضع(٣)

فارتجز ، حتى استنقذت اللقاح منهم ، واستلبت منهم ثلاثين بردة ، قال : وجاء النبى ﷺ والناس ، فقلت : يا نبى الله ! إنى قد حميت(٤) القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال : « يا ابن الأكوع ! ملكت فاسجح(٥) ، قال : ثم رجعنا ، ويردفنى رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة » .

---

(١) اللقاح : ذوات اللبن من الإبل .

(٢) أى الصلاة الأولى ، وهى صلاة الصبح .

(٣) معناه اليوم يوم هلاك اللئام .

(٤) حميت القوم : منعتهم الماء .

(٥) اسجح : أحسن وأرفق ، والسجاحة السهولة .

وفي هذه الغزوة ، قتل أبو قتادة عبد الرحمن بن عيينة ، وقتل عكاشة رجلاً وابنه ، وقُتل من المسلمين محرز بن نضلة ، وقسم الغنيمة على المسلمين وأعطى سلمة سهمين : سهم الراجل وسهم الفارس ، وقال ﷺ : « خير فرسائنا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة » .

وكانت امرأة الغفارى التى قد أسرها القوم ، قد غافلتهم ، وركبت ناقة من إبل النبى ﷺ حتى قدمت عليها المدينة ، وكانت نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها ...

أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمران بن حصن رضى الله عنه قال: « ... وأسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء ، فكانت المرأة فى الوثاق ، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم ، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه ، حتى تنتهى بالعضباء ، فلم ترغ ، قال : وناقة منوقة(١) فقعدت فى عجزها ، ثم زجرتها ، فانطلقت ونذروا بها(٢)، فطلبوها فأعجزتهم ، وقال : ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة رآها الناس ، فقالوا : العضباء ناقة رسول الله ﷺ ، فقالت : إنها نذرت إن نجاها الله لتنحرنها ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له فقال : «سبحان الله بئسما جزتها ، نذرت لله إن نجاها عليها لتنحرنها ، لا وفاء لنذر فى معصية ، ولا فيما لا يملك العبد »(٣) .

---

(١) وناقة منوقة : أى مذللة .

(٢) نذروا بها : علموا وأحسوا بهربها .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب النذور : باب لا وفاء لنذر فى معصية الله .
والدرامى فى سننه ، كتاب السير : باب إذا أحرز العدو من مال المسلمين .
وأحمد فى المسند ٤/٤٣٣ .

غزوة خيبر(١)

وسبب هذه الغزوة أن عموم اليهود الذين كانوا بالمدينة ، ناصبوا النبى ﷺ العداء فيها ، من بنى قينقاع والنضير وغيرهم ، تحولوا إليها عندما أجلاهم النبى ﷺ عن المدينة ، وأخذوا فى تحريض غطفان وغيرهم من القبائل ، وأغروهم بالمال لحرب الرسول ﷺ ، وقد تقدم كثير من أعمالهم الخبيثة التى كانوا يجرونها مع النبى ﷺ حال وجودهم بالمدينة ، رغم تسامحه لهم فى كثير من خبثهم وغدرهم ، ولم يعتبروا بما حصل لهم وحل بهم من النقمة والبلاء بسبب حقدهم ومكرهم وإثارتهم الفتن على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وتحرشهم له وتحريضهم القبائل على استئصاله ومن آمن معه وغير ذلك ، وكان من الحكمة أن لايبقى لهم أثر .

فلما تم تحالفه مع قريش ، أراد رسول الله ﷺ أن ينتهى من اليهود بخيبر ، حتى لا يبقى له عدو مجاور ، ويتفرغ لدعوة الأمم للإسلام ، فكانت غزوة خيبر .

اختلف أهل السير فى وقتها على قولين(٢) :

الأول : قول ابن إسحاق فى المغازى وموسى بن عقبة بأنها كانت فى آخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة ، وقال ابن القيم : والجمهور على أنها فى السابعة ، وأيده أيضاً الحافظ ابن حجر فى الفتح .

---

(١) خيبر : بينها وبين المدينة ثمانية برد لمن يريد الشام - أى ثلاثة أيام ، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ، وعلى نحو مائة وعشرين ميلاً من المدينة شمالاً .

وفى معجم البلدان : إن لفظة خيبر بلسان اليهود (الحصن) .

(٢) راجع كتاب صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلى ص ٣٣٨ .

ويؤيد هذا القول ما أورده ابن إسحاق فى المغازى قال : حدثنى الزهـرى ، عن عروة ، عن مروان ابن الحكم ، والمسـور بـن مخرمـة أنهمـا قـالا : « انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية فـنزلت عليـه سـورة الفتـح فيمـا بـين مكـة والمدينـة ، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله : ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُم هَٰذِهِ ﴾(١) يعنى خيبر فقدم المدينة فى ذى الحجة ، فأقام بهـا حتـى سـار إلى خيـبر فى المحرم(٢) » .

ويؤيده أيضاً ما جاء فى حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذى قرد بثلاث ليال كما جاء فى نص الحديث بقوله : « قال فسبقته إلى المدينة ، قال: فو الله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ » .

الثانى : قول مالك بأنها كانت فى السـنة السادسـة وأيـده ابـن حـزم فـى ذلك.

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : « وهذه الأقوال متقاربة ، والأرجح منهـا ماذكره ابن إسحاق ، ويمكن الجمع بينهما بأن من أطلق سـنة سـت بنـاء علـى أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الأول »(٣) .

واستخلف النبى ﷺ على المدينـة سـباع بـن عرفطـة ، أخـرج الحـاكم فـى مستدركه بسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال الهيثم بن عراك عن أبيه: « أن أبا هريرة قدم المدينة فى رهط من قومه ، والنبى ﷺ بخيـبر ، وقـد استخلف

---

(١) سورة الفتح الآية : ٢٠ .

(٢) ورجاله ثقات ، وإسناده حسن ، انظر فتح البارى ٤٦٤/٧ .

(٣) فتح البارى ٤٦٤/٧ .

سباع بن عرفطة على المدينة(١) قال فانتهيت إليه ، وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى بكهيعص ، وفى الثانية ويل للمطففين ، قال : فقلت لنفسى : ويل لفلان إذا اكتال إكتال بالوافى ، وإذا كال كال بالنقص ، قال : فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر ، قال فكلم رسول الله ﷺ المسلمين فأشركونا فى سهامهم » (٢) .

وأمر النبى ﷺ أن لا يغزو معه إلا من شهد الحديبية كما أمر الله ، وأراد بذلك بعض الأعراب الذين تخلفوا عن الحديبية أن يخرجوا معه فقال لهم : « لا تخرجوا معى إلا رغبة فى الجهاد ، أما الغنيمة فلا أعطيكم منها شيئاً »

وكانت السيدة أم سلمة رضى الله عنها فى صحبة رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر .

وخرج رسول ﷺ فى ألف وستمائة ، ألف وأربعمائة راجل ، ومائتا فارس، وهم على ثقة بنصر الله سبحانه وتعالى بهم وذاكر لقوله سبحانه وتعالى فى سورة الفتح التى نزلت عند منصرف النبى ﷺ وصحبه من الحديبية ﴿ سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُم إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُم قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَل تَحْسُدُونَنَا بَل كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾(٣) .

---

(١) وفى سيرة ابن هشام : استعمل على المدينة ابن نميلة بن عبد الله الليثى .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٣٦-٣٧ . وقال صحيح ووافقه الزهبى .

وأحمد فى مسنده ٢/٣٤٥-٣٤٦ وقال الشيخ الساعاتى فى الفتح الربانى : إسناده جيد .

(٣) سورة الفتح الآية : ١٥ .

وأطعم جيش المسلمين وهم فـي طريقهـم إلى خيـبر ، أخـرج البخـارى فـى صحيحه بسنده من حديث سويدين النعمان رضى الله عنه : « أنه خرج مع النبـى ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء - وهى من أدنى خيبر - صلى العصـر - ثـم دعا بالأزواد ، فلم يؤت إلا بالسويق ، فأمر به فثرى ، فأكل وأكلنا ، ثـم قـام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى و لم يتوضأ »(١) .

وكان رسول الله ﷺ من عادته إذا غزا قوماً لم يغـر عليهـم حتـى يصبـح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فلما نزل خيـبر ليـلاً وبـات ، فـرق رسول الله ﷺ الرايات على أمراء الجيوش ، وكان أول استعماله الرايات فى فتـح خيبر ، وأما عموم الغزوات التى وقعـت قبلهـا فكـان بيـد أمـراء جيـوش الألويـة ، وكانت راية النبى ﷺ السوداء من برد عائشة رضى الله عنها ، فأعطى رآية لأبـى بكر الصديق ، وراية لعمر بـن الخطـاب ، ورايـة للحبـاب بـن المنـذر الأنصـارى ، وراية لسعد بن عبادة الأنصارى ، رضى الله عنهم أجمعين .

وكانت جميع راياتهم بيضاء ، عدا راية رسول الله ﷺ التى كـانت سـوداء تدعى (العقاب) .

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ فى غزوة خيـبر (يـا منصـور أمـت ، أمت) .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الوضوء : باب من مضمض من السويق و لم يتوضأ وغيره .

وابن ماجة فى سننه ، كتاب الطهارة : باب الرخصة فى ذلك يعنى عدم الوضوء مما مست النار .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : «إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم(١) ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال النبى ﷺ: خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »(٢) .

كانت يهود خيبر من أشد طوائف اليهود قوة وأكثرها مالاً ، وأوفرها سلاحاً ، وكذلك كان المسلمون كثيراً عددهم ، وافراً سلاحهم ، وأكثر من ذلك إيمانهم بالله ورسوله ، وثقتهم بنصر الله سبحانه وتعالى لهم ، بين أظهرهم رسول الله ﷺ يشد أزرهم ويوعدهم خيراً .

ووقف المسلمون أمام حصون خيبر متأهبين للقتال ، أما اليهود فقد أشار عليهم « سلام بن مشكم » بجمع أموالهم وعيالهم فى حصن « الكتيبة » وحشد المقاتلة فى حصن « نطاه » الحصين ودخل معهم يحثهم ويحرضهم على القتال .

وكانت حصون اليهود بخيبر ثلاثة مجاميع ، وكل مجموعة ثلاثة حصون تمتد من الجنوب إلى الشمال ، يتخللها النخيل والزروع والمنازل المتفرقة . وهذه المجاميع

---

(١) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد ، والمكاتل : جمع مكتل ، وهى قفة من الخوص .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة خيبر .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد : باب غزوة خيبر .
والترمذى فى سننه ، كتاب السير : باب البيانات والغارات وقال : حديث حسن صحيح.
والنسائى فى سننه ١ / ٢٧٢ .
وأحمد فى المسند ٣ / ١٠٢ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ٢٠٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦٣ .

هى : النطاة ، والشق ، والكتيبة ، أما النطاة فكانت ثلاثة حصون : ناعم ، والصعب ، وقلة ، وكانت الشق حصنين : أبى ، والبرئ ، وأما الكتيبة فكانت ثلاثة حصون ؛ القموص ، والوطيح ، والسلالم .

وقد أمر النبى ﷺ بقطع النخيل المحيط بحصن النطاه لأن كثرته تحول دون تحركات المسلمين ، فخرج اليهود للقائهم واستماتوا فى الدفاع عن حصونهم ، لأن فى هزيمتهم القضاء الأخير على بنى إسرائيل فى بلاد العرب ، فأخذ أبو بكر اللواء ، فرجع و لم يفتح له ، أخرج الحاكم فى المستدرك بسنده من حديث بريدة رضى الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة(١) فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل بخيبر أخذته الشقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر رضى الله عنه أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع » (٢) .

فلما كانت الغداة أخذ اللواء عمر رضى الله عنه ، فرجع و لم يفتح له ، أخرج الحاكم فى المستدرك بسنده من حديث على رضى الله عنه قال : « سار النبى ﷺ إلى خيبر ، فلما أتاها بعث عمر رضى الله عنه ، وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم ، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه ، فجاءوا يجبنونه ويجبنهم ، فسار النبى ﷺ إليهم ... الحديث »(٣) .

وفى اليوم السادس ، قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، وأخذ كل من الصحابة

---

(١) الشقيقة : الصداع .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٧/٣ وقال : صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه وأقره الذهبى.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٧/٣ وقال : صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه وأقره الذهبى .

يتمنى أن تكون الراية من نصيبه ، وفي الغد بعث إلى على بن أبى طالب وسلمه الراية .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ يوم خيبر قال : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » . قال فبات الناس يدركون ليلتهم : أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ؟ فقال : « أين على بن أبى طالب ؟ » فقيل : هو يا رسول الله يشتكى عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » فأتى به ، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه، ودعا له خيراً حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال له على : يا رسول الله : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم »(١)
ولما ذهب إليهم على بن أبى طالب رضى الله عنه ، خرج إليه ملكهم مرحب اليهودى يخطر بسيفه ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن حيناً وحيناً أضرب ... إذا الليوث أقبلت تحرب

فبرز له سيدنا على رضى الله عنه وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة
أكيلهم بالصاع كيل السندرة

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة خيبر وغيره ، بروايات مختلفة.
ومسلم فى صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل على بروايات متعددة .

فتقاتلا فقتله على بن أبى طالب(١) ، ثم كان الفتح على يديه .

كما ورد أن سيف علـى بـن أبـى طـالـب رضـى ا لله عنـه وقـع فـى أسـنان مرحب، وذلك كما أخرجه الطبرانى فى معجمه بسنده من حديث أم سلمة رضى ا لله عنها ، وكـانـت فـى غـزوة خيـبر قـالـت : « سمعـت وقـع السـيف فـى أسـنان مرحب»(٢) .

وخرج بعد مرحب أخوه ياسر يقول : هل من مبـارز ؟ فـبرز لـه الزبـير بـن العوام فقتله ، ثم كان أن سقط حصـن نـاعم ، ثـم لم تلبـث الحصـون أن تهـاوت حصناً بعد حصن، فاستولى اليأس على اليهود فطلبوا من النبى ﷺ الصلح علـى أن يحقن دماءهم ، فقبل النبى ﷺ وصارت أرضهم لله ولرسوله وللمسلمين ، فلمـا

---

(١) وقيل الذى قتله محمد بن مسـلمة الأنصـارى ، وقـال الإمـام النـووى فـى تهذيـب الأسمـاء واللغات ما نصه : « اختلفوا فى قاتل مرحب ، فقيل على بن أبى طالب ، وقال ابـن عبـد البر فى كتابه الدرر فى مختصر السير ، قال محمد بن إسحاق : أن محمد بن سلمة هو الـذى قتل مرحباً اليهودى بخيبر ، قال : وخالفه غيره ، فقال : بل قتله على بن أبى طـالـب ، قـال ابن عبد البر هذا هو الصحيح عندنا ، ثم روى ذلك بإسناد عن بريدة وسلمة بن الأكوع . وقال الشافعى فى المختصر نقـل النبـى ﷺ يـوم خيـبر محمـد بـن مسـلمة سـلب مرحـب ، ذكـره فى أول باب جامع السـير ، وهذا تصريح منه بأن قاتله محمـد بـن مسـلمة ، وقـال ابن الأثير الصحيح الذى عليه أكثر أهل السير والحديث أن علياً هو قاتلـه ، قـال المصنـف رحمـه ا لله : قلت : وفى صحيح مسلم بإسناده عن سلمة بن الأكوع التصريح بأن علياً هو قاتلـه » أ.هـ . قلت : وقد يحتمل الجمع بين حديث جابر وحديث سلمة بما ذكره الواقـدى مـن أن محمـداً ابن سلمة قطع رجليه وأن علياً أجهز عليه » الفتح الربانى ١٢١/٢١ .

(٢) عزاه الهيثمى فى المجمع ١٥٢/٦ للطبرانى وقال : ورجاله ثقات .

أراد النبى ﷺ إجلاءهم سألوه أن يقرهم على أن يعملوا فى الأرض ولهم نصف التمر فقال لهم : « نقركم على ذلك ما شئنا » .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أعطى رسول الله ﷺ أرض خيبر اليهود أن يعملوها ، ويزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها »(١) .

واستشهد من المسلمين خمسة عشر ، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون .

الشاة المسمومة وقصتها :

فى هذه الغزوة « غزوة خيبر » سَمَّت النبى ﷺ زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن شكم، فقتلها النبى ﷺ ببشرين البراء بن معرور الآكل معها ، وقيل : لم يقتلها(٢).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإجارة : باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما وغيره . ومسلم فى صحيحه ، كتاب المساقاة : باب المساقاة والمعاملة بجزء من التمر والشعير .

(٢) قصة الشاة المسمومة فهى فى الصحيح ، أخرجها البخارى فى صحيحه ، كتاب الهبة : باب قبول الهدية من المشركين ، وكذلك عند الإمام مسلم فى صحيحه ، كتاب السلام : باب السم ، كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه وفيه ﷺ لم يقتلها ، وأما قتلها : فقد أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الديات : باب فيمن سقى رجلاً سماً أو طعمه فمات ، أيقاد منه ؟ وقال ابن سعد فى الطبقات ١٠٧/٢ عن قتلها : وهو الثبت عندنا ، ونقل الإمام النووى فى شرح مسلم ١٧٩/١٤ عن القاضى عياض قوله : واختلفت الآثار والعلماء ، هل قتلها النبى ﷺ أم لا ؟ فوقع فى صحيح مسلم أنهم قالوا : الا تقتلها ؟ قال : لا ، ومثله عن أبى هريرة وجابر، وعن جابر من روايةأبى سلمة أنه ﷺ قتلها ، وفى رواية ابن عباس أنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشرين البراء بن معرور ، وكان أكل منها فمات بها ، فقتلوها ، وقال ابن سحنون : أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتلها . قال القاضى : وجه الجمع بين الروايات والأقاويل : أنه لم يقتلها أولاً حين أطلع على سمها : وقيل له : أقتلها . فقال : لا. فلما مات بشر بن البراء من ذلك ، سلمها لأوليائه فقتلوها قصاصاً ، فيصح قوله : لم يقتلها ، أى فى الحال ، ويصح قولهم : قتلها . أى بعد ذلك ، والله اعلم .

أهدت زينب بنت الحارث ، شاة مصلية - مشوية - لرسول الله ﷺ ، وكانت قد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله ﷺ ، تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشرين البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها فاعترفت ، فقال ما حملك على ذلك ؟ قالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت إن كان ملكاً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته .

ويروى أن أثر هذا السم يعاود النبى ﷺ كل عام حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . أخرج أحمد فى مسنده بسنده من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه: « يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر، فهذا آوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم»(١).

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٦/ ١٨
والبخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب مرض النبى ووفاته ، معلقاً . وقال ابن حجر فى الفتح : « وقد وصله البزار والحاكم والإسماعيلى من طريق عتبة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد ، وقال البزار : تفرد به عنبسة عن يونس أى بوصلة ، وإلا فقد رواه موسى بن عقبة فى المغازى عن الزهرى لكنه أرسله ، وله شاهدان مرسلان أيضاً أخرجهما إبراهيم الحربى فى غرائب الحديث » .وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/٢٠٩ عن أم بشر ابن البراء بن معرور قريباً من هذا الحديث ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

تقسيم غنائم خيبر :

وقسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر بين المسلمين : للراجل سهم وللفرس سهمان ، أخرج الشيخان في صحيحيهما بسنديهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً ، قال: فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإذا لم يكن له فرس فله سهم »(١) .

وكذلك أسهم النبي ﷺ لأصحاب السفينة الذين قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب بعد أن استأذن أصحابه .

كما أمر رسول الله ﷺ أحد الأنصار على خيبر ، أخرج البخاري في صحيحه بسنده من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : « إن النبي ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر ، فأمره عليها »(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي : باب غزوة خيبر .
ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب القسم للخيل في الغزو .
وأبو داود في سننه ، كتاب الجهاد : باب في سهمان الخيل .
والترمذي في سننه ، كتاب السير : باب في سهم الخيل .
وأحمد في مسنده ٢/٢ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٨٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي : باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر .
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : وفي رواية أبي عوانة والدار قطني سواد بن غزيه) وهو من بني عدي بن النجار .

عودة مهاجرى الحبشة

فى هذا العام عاد جعفر بن أبى طالب ومن بقى من مهاجرى الحبشة ، ومعه بضعة وخمسون رجلاً من أهل اليمن وهم الأشعريون ، منهم أبو موسى الأشعرى ، وأخوه أبو بردة ، وأبو رهم .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ قال : « بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن ، مخرجنا مهاجرين إليه ، أنا وأخوان لى . أنا أصغرهما . أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم . إما قال بعضاً وإما قال : ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى قال : فركبنا سفينة ، فألقتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده فقال : جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا . فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً . قال : فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ، أو أعطانا منها ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم . قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا يعنى لأهل السفينة - نحن سبقناكم بالهجرة » .

وقد سر النبى ﷺ بمقدم جعفر وأصحابه ، وقال : « ما أدرى بأيهما أنا أسر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟

كما بين رسول الله ﷺ فى بقية الحديث الذى رواه الشيخان فضل أهل هجرة الحبشة ، ففى حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ السابق قال : « فدخلت أسماء بنت عميس ، وهى ممن قدم معنا على حفصة زوج النبى ﷺ زائرة . وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر إليه ، فدخل عمر على حفصة وأسماء

عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم ، فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت وقالت كلمة : كذبت يا عمر ! كلا والله ! كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار - أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة ، وذلك في الله وفي رسوله ، وأيم الله ! لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، والله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك ، قال : فلما جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله ! إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحابه السفينة يأتوني أرسالاً ، يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم أفرح ، ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ . قال أبو برد : فقالت أسماء : لقد رأيت أبا موسى ، وأنه يستعيد هذا الحديث مني »(١) .

---

(١) اللفظ لمسلم .

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي : باب غزوة خيبر .

ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابه : باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم .

وأبو داود في سننه ، كتاب الجهاد : باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له (بعض الحديث).

والترمذي في سننه ، كتاب السير : باب أهل الذمة ينفروا مع المسلمين هل يسهم لهم . وقال : حسن صحيح غريب .

سبى صفية بنت حيي[١] وزواج النبى ﷺ منها :

ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، كانت صفية بنت حيى فى السبى ، فأعطاها دحية الكلبى ، فجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قومها ، وهى ما تصلح إلا لك ، فاستحسن النبى ﷺ ما أشار به الرجل ، وقال لدحية : « خذ جارية من السبى غيرها » ثم أخذها رسول الله ﷺ فأعتقها ، وكان عتقها صداقها، وهكذا كان صنيع رسول الله ﷺ بصفية بنت حيى بن أخطب سيدة قومها ، رحمة بها وحفظاً لشرفها وسيادتها.

فقد قتل زوجها كنانه بن الربيع بن أبى الحقيق ، ولم ترث عن والدها إلا الشقاء والسبى وبزواجها الرسول ﷺ ، رفعها إلى مصاف أمهات المؤمنين ، وهو أعلى مكانة تطمع فيها المرأة أن تكون زوجة سيد الخلق وأن تكون من أمهات المؤمنين .

كانت السيدة صفية رضى الله عنها رأت قبل مجىء النبى ﷺ إلى خيبر رؤيا فقد رأت أن القمر سقط فى حجرها فتؤول بذلك ..

أخرج الطبرانى فى معجمه الكبير بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « كان بعينى صفية خضرة فقال لها النبى ﷺ : « ما هذه الخضرة بعينك » ، قالت: قلت لزوجى إنى رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع فى حجرى ، فلطمنى ، وقال أتريدين ملك يثرب ؟ قالت : وما كان أبغض إلىّ من رسول الله

---

(١) هى السيدة : صفية بنت حيى بن أخطب بن ذرية هارون بن عمران ، ومن سبط لاوى بن يعقوب ، وكانت وفاتها فى رمضان سنة خمسين فى زمن معاوية ، وقيل سنة اثنين وخمسين رضى الله عنها وأرضاها . الإصابة ٢٣٧/٤ .

قتل أبى وزوجى، فما زال يعتذر إلى ، وقال : يا صفية أن أباك ألب علىَّ العرب ، وفعل ، وفعل ، وفعل حتى ذهب ذلك من نفسى »(١) .

وعن مهرها ، فقد أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : « سبى النبى ﷺ صفية ، فاعتقها ، وتزوجها ، فقال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فاعتقها »(٢) .

وقد ورد فى زواجه ﷺ صفية ، ما أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : « قدمنا خيبر ، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب وقد قتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، فخرج بها ، حتى بلغنا سد الصهباء ، حلت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حيساً فى نطع صغير ، ثم قال لى : « آذن من حولك » ، فكانت تلك وليمته على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبى ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته ، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب »(٣) .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٤/ ٦٧ ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٥١ رجال الطبرانى رجال الصحيح .

وابن حبان فى صحيحه (١٦٩٧) انظر موارد الظمآن .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة خيبر .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة خيبر .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ، بزيادات عن رواية البخارى ، أبان فيها عن كون صفية وقعت فى سهم دحية الكلبى وبعض الزيادات اليسيرة .

وقد أولم عليها ودعا المسلمين ، وقدم فيها التمر والأقط والسمن ، وصارت السيدة صفية رضى الله عنها من أمهات المؤمنين ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال : « أقام النبى ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع ، فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون : إحدى إمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ قالوا : إن حجبها فهى إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهى ما ملكت يمينه ، فلما ارتحل واطأ خلفه ، ومد الحجاب » .

وعندما أعرس الرسول الله ﷺ بصفية فى قبة له ، بات أبو أيوب خالد ابن سعيد الأنصارى رضى الله عنه متوشحاً سيفه يحرس رسول الله ﷺ ويطيف بالقبة حتى أصبح رسول الله ﷺ رأى مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخفت عليك ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم أحفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى » .

وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويحافظ على شعورها وكرامتها ، ومن ذلك ما روى من أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما قالا لها : نحن أكرم على رسول الله منك ، فشكت ذلك للرسول فقال لها : « ألا قلت لهما وكيف تكونان خيراً منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى ؟ » .

وأيضاً ما روى من أنه بلغ رسول الله ﷺ من أن السيدة زينب رضي الله عنها لقبتها مرة باليهودية فهجرها رسول الله ﷺ مدة لنيلها منها .

فى طريقهم إلى المدينة ، ونومهم عن صلاة الفجر وعدم استيقاظهم حتى طلعت الشمس:

توجه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، فلما كانوا ببعض الطريق قال رسول الله ﷺ : « من يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ فقال بلال أنا ...

وروى فى نومهم عن صلاة الفجر من حديث أبى هريرة ﷺ : « أن رسول الله ﷺ ، حين قفل من غزوة خيبر ، سار ليلة ، حتى إذا أدركه الكرى عرس ، وقال لبلال : « أكلأ لنا الليل » : فصلى بلال ما قدر له ، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر ، فغلبته عيناه، وهو مستند إلى راحلته ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ، ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ﷺ ، فقال : (أى بلال ؟) فقال بلال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال: (اقتادوا) فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال : «من نسى الصلاة فليصليها إذا ذكرها ، فإن الله قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(١) قال يونس : وكان ابن شهاب يقرؤها: للذكرى »(٢) .

---

(١) سورة طه : الآية ١٤ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب المساجد : باب مواضع الصلاة .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الصلاة باب من نام عن الصلاة أو نسيها .
والترمذى فى سننه ، كتاب التفسير باب: ومن سورة طه .
والنسائى فى سننه ، كتاب الصلاة : باب إعادة من نام عن الصلاة أو نسيها .
وابن ماجه فى سننه ، كتاب الصلاة : باب من نام عن الصلاة أو نسيها .
ومالك فى الموطأ ، كتاب وقوت الصلاة : باب النوم عن الصلاة .
روى ابن اسحاق : فصلى رسول الله ﷺ بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها فإن الله تبارك وتعالى يقول : أقم الصلاة لذكرى » .
وفى الصحيحين: « من نسى صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها » .
وعند مسلم : « من نسى صلاة فليصليها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك - قال قتادة - وأقم الصلاة لذكرى » . وفى رواية أخرى لمسلم أيضاً : « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله عز وجل يقول : أقم الصلاة لذكرى » .

مصالحة أهل فدك(١)

أرسل رسول الله ﷺ إلى يهود فدك محيصة بن مسعود ، يدعوهم إلى الإسلام ، ويطلب إليهم الانقياد والطاعة ، فصالحوا رسول الله ﷺ على أن يحقن لهم دماءهم ، ويخلوا له الأموال ، ففعل ، فكانت فدك فيئاً خالصة لرسول الله(٢)، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فلم يقسمها ووضعها حيث أمره الله تعالى، ينفق منها على نفسه وعلى من يمون ويعول ، ثم عاملهم على العمل فى الأرض بنصف ما يخرج منها .

فتح وادى القرى(٣)

دعا رسول الله ﷺ يهود وادى القرى إلى الاستسلام والطاعة ، ودعاهم إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك ، وكان رسول الله ﷺ قد توجه إليها عند منصرفه من خيبر ، وقد أشار إلى ذلك الإمام البخارى فى صحيحه بسنده من حديث أبى هريرة ﷺ ، وفيه : « فتحنا خيبر ... ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إل وادى القرى ... » .

فامتنعوا عن الدخول فى الإسلام فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلوا فقاتلهم، وقتل المسلمون منهم أحد عشر رجلاً ، ففتحها رسول الله ﷺ عنوة ،

---

(١) فدك : وهى بلد على ستة أميال من المدينة ، أى بينها وبين مدينة النبى ﷺ يومان وبينها وبين خيبر دون مرحلة ، وأهلها من يهود .

(٢) أخرج ذلك أبو داود فى سننه ، كتاب الخراج والإمارة والفئ : باب ما جاء فى حكم أرض خيبر .

(٣) وادى القرى : مدينة قديمة يقال أنها الحد الفاصل بين المدينة والشام ، وهى بالقرب من الحجر والعلا .

وغنمه الله تعالى أموال أهلها ، وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعاً ، وقد خمسه رسول الله ﷺ ، وترك الأرض والنخل فى أيدى من بقى من أهلها ، وعاملهم على ما عامل عليه أهل خيبر ، يزرعونها بشطر ما يخرج منها .

و لم يقتل من المسلمين بوادى القرى غير عبد لرسول الله ﷺ يدعى مدعماً أصابه سهم فقتل .

أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث أبى هريرة ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع ، فأهدى رجل من بنى الضيب ، يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدعم فوجه رسول الله ﷺ إلى وادى القرى حتى إذا كان بوادى القرى بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا والذى نفسى بيده ، أن الشملة(١) التى أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » ، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبى ﷺ فقال : « شراك من نار أو شراكان من نار »(٢) اللفظ للبخارى .

---

(١) الشملة : كساء يتغطى به ويتلفف فيه .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان والنذور : باب هل يدخل فى الإيمان والنذور الأرض والغنم والزرع والأمتعة ، وفى كتاب المغازى باب غزوة خيبر .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان والنذور : باب غلظ تحريم الغلول .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب فى تعظيم الغلول .
والنسائى فى سننه ، كتاب الإيمان والنذور : باب هل تدخل الأرضون فى المال والنذر .

مصالحة أهل تيماء(١)

صالح أهل تيماء رسول الله ﷺ على الجزية ، وذلك بعد الذى سمعوه عما حل بأهل وادى القرى ، وبقوا فى بلادهم وأرضهم فى أيديهم .

سرية عمر بن الخطاب ﷺ إلى تربة(٢)

أرسل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ إلى تربة فى ثلاثين رجلاً ، وأرسل معهم دليلاً من بنى هلال ، فكانوا يسيرون الليل ويختفون النهار ، فأتى الخبر إلى هوازن الطائف فهربوا ، فأخذ ما وجد من نعم وغيره ، و لم يلق كيداً ، وانصرف راجعاً إلى المدينة .

سرية أبى بكر الصديق ﷺ إلى بنى كلاب بنجد(٣)

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ إلى بنى كلاب - قبيلة بنجد بناحية ضربة - فى شعبان سنة سبع من الهجرة .

أخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ قال : « غزونا فزارة ، وعلينا أبو بكر ، أمره رسول الله ﷺ علينا . فلما كان بيننا وبين الماء ساعة ، أمرنا أبو بكر فعرسنا(٤) ، ثم شن الغارة ، فورد الماء ، فقتل من قتل عليه، وسبى ، وانظر إلى عنق من الناس(٥) ، فيهم الذرارى فخشيت أن يسبقونى

---

(١) تيماء : بلدة بين الشام والمدينة على نحو سبع مراحل أو ثمان من المدينة ، بالقرب من تبوك.

(٢) وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ، يصب فى بستان ابن عامر . معجم البلدان الياقوت الحموى ٢١/٢ وهو بلاد هوازن الذين يسمون الآن (عتيبة) .

(٣) ويقال إلى بنى فزارة ، وهو الذى جاءت به الرواية عند مسلم .

(٤) فعرسنا : التعريس ، نزول آخر الليل .

(٥) عنق من الناس : جماعة .

إلى الجبل ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم ، وفيهم امرأة من بنى فزارة عليها قشع من أدم(١) ، معها ابنة من أحسن العرب ، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر ، فنفلنى أبو بكر ابنتها ، فقدمنا المدينة ، وما كشف لها ثوباً ، فلقينى رسول الله ﷺ فى السوق ، فقال : « يا سلمة! هب لى المرأة » فقلت : يا رسول الله والله لقد اعجبتنى ، وما كشفت لها ثوباً ، ثم لقينى رسول الله ﷺ من الغد فى السوق ، فقال لى : يا سلمة ! هب لى المرأة. لله أبوك ! » فقلت : هى لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً ، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة»(٢).

سرية بشير بن سعد الأنصارى ﷺ إلى بنى مرة(٣)

أرسل رسول الله ﷺ بشير بن سعد الأنصارى ﷺ ، فى ثلاثين رجلاً إلى بنى مرة ، فلما وصلوا إلى محل القوم وجدوا رعاء الشاء ، و لم ير من القوم أحداً ، فاستاق نعمهم ، وكان القوم بالوادى ، ثم خرج الصريخ إليهم ، فأدركوه ليلاً ، وهو فى طريقه إلى المدينة ، فتراموا بالنبل ، فلما أصبحوا حملوا على بشير وأصحابه فقتلوا منهم من قتلوا ، وقاتل بشير قتالاً شديداً حتى اثخنته الجراح وبه رمق ، فضرب القوم كعبه فقيل : أنه مات ، وقدم علبه بن زيد الحارثى بخبرهم ، ثم قدم من بعده بشير بن سعد ، وكان قد تحامل حتى انتهى إلى فدك ، فأقام عند يهودى أياماً حتى اندمل جرحه ، وجاء بعد ذلك إلى المدينة .

---

(١) قشع من أدم : نطع .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير : باب التنفيل .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب الرخصة فى المدركين يفرق بينهم .

(٣) شمال المدينة بقرب فدك ، على ستة أميال من المدينة .

سرية غالب بن عبد الله الليثى رضي الله عنه
إلى الميفعة(١) ناحية نجد

بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى رضي الله عنه ، وذلك فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة ، فى مائة وثلاثين رجلاً(٢) ، وكان دليلهم يساراً مولى رسول لله ﷺ ، فهجموا عليهم جميعاً فى وسط محالهم ، فقتلوا جمعاً من أشرافهم ، واستاقوا أنعامهم وشاءهم و لم يأسروا أحداً منهم ورجعوا إلى المدينة .

وفى هذه السرية أدرك أسامة بن زيد ورجل من الأنصار : « مرداس بن نهيك » ، فلما شهر عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فكف عنه الأنصارى وقتله أسامة ...

أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما قال : « بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية ، فصبحنا الحرقات(٣) من جهينة ، فأدركت رجلاً ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك ، فذكرته للنبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « أقال لا إله الله وقتلته؟ » قال : قلت : يا رسول الله ! إنما قالها خوفاً من السلاح ، قال : « أفلا

---

(١) المفيعة : اسم ماء وراء بطن نخل إلى النقرة قليلاً ، بناحية نجد بشرق المدينة على ثمانية برد ، نحو مائة وعشرين ميلاً .

(٢) وقيل فى مائتان وثلاثون رجلاً ، والذى عند ابن اسحاق ومغلطاى وغيره مائة وثلاثون رجلاً .

(٣) فصبحنا الحرقات : أتيناهم صباحاً ، والحرقات موضع ببلاد جهينة .

كشفت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا » فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ .

قال : فقال سعد - يعنى سعد بن أبى وقاص - : وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعنى أسامة قال : قال رجل : ألم يقل الله : « وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ »[١] . فقال سعد : قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة ، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة »[٢] اللفظ لمسلم .

سرية بشير بن سعد ﷺ إلى يمن وجبار[٣]

فى شوال من السنة السابعة من الهجرة بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن للإغارة على المدينة .

فبعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد رضى الله عنه ومعه ثلاثمائة رجل ، ولما بلغ القوم مسير بشير هربوا ، فغنم منهم غنائم كثيرة ، وأسر رجلين فأسلما على يد رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٣٩ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب بعث النبى ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان : باب تحريم قتل الكافر إذا قال لا إله إلا الله .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الجهاد : باب على ما يقاتل المشركون .

وأحمد فى مسنده ٢٠٧/٥.

(٣) يمن وجبار : أرض لغطفان ، ويقال لفزارة وعذرة ، وهما على شمال المدينة .

عمرة القضاء

أو عمرة القضية ، أو عمرة القصاص ، أو عمرة الصلح(١)

وقت عمرة القضاء :

أجمع الجمهور أنها كانت فى ذى القعدة من العام السابع للهجرة ، ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : « روى يعقوب بن سفيان - فى تاريخه - بسند حسن عن ابن عمر قال : كانت عمرة القضية فى ذى القعدة سنة سبع » ، وفى مغازى سليمان التيمى قال : « لما رجع النبى ﷺ من خيبر بث سراياه ، وأقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة ، فنادى فى الناس أن تجهزوا إلى العمرة »(٢) .

---

(١) أما تسميتها بعمرة القضيةوالقضاء : فمن المقضاة بين المسلمين والمشركين لنص الكتاب الذى كتب بينهم بالحديبية ، أو لكونها قضاء عن عمرة الحديبية التى صُد فيها المسلمون عن البيت .

وقيل عمرة القضاء لأن النبى ﷺ قاضى قريشاً عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صد عن البيت فيها ، فإنها لم تك فسدت يصدهم عن البيت ، بل كانت عمرة تامة متقبلة ، حتى أنهم حين حلقوا رؤوسهم احتملتها الريح فألقتها فى الحرم . (انظر : الروض الأنف للسهيلى ٤/٧٦ - ٧٧) .

وذكر ابن إسحاق فى السيرة ٢/٣٧٠ أن هذه العمرة يطلق عليها : « عمرة القصاص » لأنهم صدوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه من سنة سبع، وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى فى ذلك : « والحرمات قصاص » .

أما عن تسميتها بعمرة الصلح ، فواضح ، حيث كانت هذه العمرة بعد المصالحة مع المشركين فى الحديبية أى تمخضت عن هذا الصلح . (راجع فتح البارى ٧/٥٧١ - ٥٧٢، الروض الأنف ٤/٧٦ ، ٧ ، سبل الهدى والرشاد ٥/٢٩٧ ، ٢٩٨) .

(٢) فتح البارى ٧/٥٠٠ ، كتاب المغازى : باب عمرة القضاء .

وكذلك قال : نافع : كانت فى ذى القعدة سنة سبع ، وقال ذلك أيضاً موسى بن عقبة : « ثم خرج رسول الله ﷺ من العام المقبل من عام الحديبية معتمراً فى ذى القعدة سنة سبع » .

وقال ذلك ابن إسحاق وأبو الأسود عن عروة وسليمان التيمى جميعاً فى مغازيهم : « إنه ﷺ خرج إلى عمرة القضاء فى ذى القعدة »(١) .

خروج النبى ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء :

عندما صار هلال ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية ، وأن لا يتخلف منهم أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا أو ماتوا بين عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وخرج معه آخرون حتى بلغت عدتهم ألفين ، واستخلف على المدينة عويف بن الأضبط الديلى وقيل أبارُهم .

وساقوا الهدى ، وحملوا السلاح ، فلما انتهوا إلى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه وعليها محمد بن مسلمة الأنصارى ، والسلاح ومعه بشير بن سعد الأنصارى، وأخذ رسول الله ﷺ وصحابته يلبون بعد أن أحرموا بالعمرة .

وبعثت قريش مكرز بن حصن فى نفر من قريش حتى لقوا رسول الله ﷺ ببطن أجج فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحق فقالوا له : والله يا محمد ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل بسلاح ؟ فقال ﷺ لمكرز : « هو كذلك »، ثم رجع مكرز سريعاً إلى مكة وأصحابه وقال لقريش : هو على الشرط الذى شرط لكم .

---

(١) فتح البارى ٧/٥٠٠ ، زاد المعاد ٣/٣٧٠ ، دلائل النبوة للبيهقى ٤/٣١٣ .

فلما اطمأنت قريش بذلك استنكف رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ غيظاً وحنقاً وحيفاً فخرجوا إلى رؤوس الجبال وتركوا مكة .

واستعد رسول الله ﷺ وصحابته رضى الله عنهم أجمعين لدخول مكة ، وهم متوشحون سيوفهم يلبون، وعبد الله ابن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله　　اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخيل عن خليله

فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ ، وفى حرم الله عز وجل تقول الشعر ، فقال النبى ﷺ : « خل عنه ، فهو أسرع فيهم من نضح النبل»(١) .

ثم قال رسول الله ﷺ : « يا ابن رواحة قل لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده » ، فقالها ابن رواحة ، وقالها رسول الله ﷺ والناس كما قالها .

ودخل رسول الله ﷺ وأصحابه محدقون ، ليطوفوا بالبيت ، وكان المشركون قد أرجفوا وقالوا : إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب ، وتطلعوا من رؤوس الجبال ليروا الذين أضعفتهم الحمى والغربة ، فلما علم النبى ﷺ بهذه المقالة ، أمر أصحابه أن يرملوا(٢) الأشواط الثلاثة ، وأن

---

(١) أخرجه النسائى فى سننه ، كتاب الحج : باب إنشاد الشعر فى الحرم والمشى بين يدى الإمام .
والترمذى فى سننه، كتاب الأدب : باب ما جاء فى إنشاد الشعر وقال : حسن صحيح غريب.
وابن حبان فى صحيحه كتاب الأدب : باب هجاء الشرك .

(٢) يرملوا : وهو الإسراع .

يمشوا ما بين الركنين(١) . و لم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، وأضطبع(٢) رسول الله ﷺ بردائه وكشف عن عضده الأيمن ، وفعلت الصحابة مثله .

وقال رسول الله ﷺ : « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » فكان إذا استلم الحجر الأسود هرول وهرولوا ، حتى إذا استلم الركن اليماني وواراه البيت منهم مشى ومشوا حتى يستلم الركن عند الحجر الأسود ، ثم هرول لذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرها .

و لم يزل رسول الله ﷺ يلبى حتى استلم الركن ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال ﷺ : « هذا منحر وكل فجاج مكة منحر » ، فنحر عند المروة وحلق هناك ، وكذلك فعل المسلمون .

وأمر رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيمون على السلاح ويأتي الآخرون فيقضون نسكهم ، ففعلوا .

وفى مقالة قريش أن الحُمىَّ فى يثرب قد أوهنت قوى المسلمين ، أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الركنين و لم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ، وزاد ابن

---

(١) الركنين : هما اليمانيان ، حيث لا تراهم قريش لكونهم من جهة قعيقعان .

(٢) الاضطباع: أن يضع منتصف إزاره تحت إبطه اليمنى ، ثم يطرح طرفه على كتفه اليسرى.

سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « لما قدم النبى ﷺ لعامه الذى استأمن قال : «أرملوا ليرى المشركون قوتكم » والمشركون من قبل قعيقعان»(١).

كما ستر الصحابة رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أذى المشركين ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن حديث ابن أبى أوفى ﷺ : لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ، ومنهم ، أن يؤذوا رسول الله ﷺ »(٢) .

وطلب المشركين من الرسول الله ﷺ الخروج من مكة فقد أقام النبى ﷺ ثلاثاً ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، فقال النبى ﷺ : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه .

قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا ، فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف(٣) ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة(٤) .

---

(١) أخرجه البخاى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عمرة القضاء .

ومسلم فى صحيحه ، كتاب الحج : باب استحباب الرحل فى الطواف والعمرة .

وفى لفظة بعد قوله : وأن يمشوا بين الركنين قوله : « ليرى المشركون جلدهم ، فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا » .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عمرة القضاء .

وأبو داود فى سننه ، كتاب الحج : باب أمر الصفا والمروة .

وابن ماجة فى سننه ، كتاب المناسك : باب العمرة .

(٣) سَرف: بفتح السين وكسر الراء: موضع قرب التنعيم من مكة المكرمة ، بينه وبين وادى فاطمة.

(٤) أخرج البخارى بعضه « معلقاً » فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عمرة القضاء ، وابن هشام فى السيرة ٣/٣٧٢ .

زواج النبى ﷺ بميمونه بنت الحارث(١)

فلما انتهى رسول الله ﷺ من عمرته تزوج بالسيدة ميمونة رضى الله عنها، فقد عرضها العباس عم النبى ﷺ - وقد تأيمت - على رسول الله ﷺ فقبل، وأصدقها عنه أربعمائة درهم ، وأراد النبى ﷺ أن يبنى بها بمكة فلم تمهله قريش ، فخرج وتزوجها بسرف .

واختلفت الروايات حول : هل تزوجها النبى ﷺ وهو محرم ؟ أم وهو حلال ؟

فقد أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث ابن عباس ﷺ قال : « تزوج النبى ﷺ ميمونة ، وهو محرم وبنى بها وهو حلال ، وماتت بسرف»(٢).

وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده من حديث ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها : « تزوجنى رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف »(٣) .

فكلا القولين أتت بهما الروايات الصحيحة ، فمن القائلين بالتوفيق قال : جمع العلماء بين الروايات بأنه عقد عليها وهو محرم ودخل بها وهو حلال بعد قضاء عمرته.

---

(١) هى السيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، أخت أم الفضل لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب ، عم النبى ﷺ . وكان اسمها برة فسماها رسول الله ميمونة ، وكانت قبل النبى عند أبى رهم بن عبد العزى ، وقيل عند حويطب بن عبد العزى ، وقد تأيمت .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عمرة القضاء.
ومسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب تحريم نكاح المحرم .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الكاح : باب تحريم نكاح المحرم .
وأبو داود فى سننه ، كتاب الحج : باب المحرم يتزوج .

وقال ابن عبد البر (فى التمهيد ١٥٢/٣) : والرواية أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة - وهو حلال - متواترة عن ميمونة بعينها ، وعن أبى رافع مولى النبى ﷺ ، وعن سليمان بن يسار مولاها ، وعن يزيد الأصم وهو ابن أختها ، وهو قول سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وأبى بكر بن عبد الرحمن ، وابن شهاب ، وجمهور علماء المدينة أن رسول الله ﷺ لم ينكح ميمونة إلا وهو حلال، قبل أن يحرم . وما أعلم أن أحداً من الصحابة روى أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم إلا عبد الله ابن عباس ، ورواية من ذكرنا معارضة لروايته، والقلب إلى رواية الجماعة أميل .

وقال ابن القيم (فى زاد المعاد ١١٣/١) بعد أن ذكر حديث ابن عباس رضى الله عنهما : ووهم ﷺ ، فإن السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة ، وهو أبو رافع ... وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها ، وكان غائباً عن القصة لم يحضرها .

وقال الحافظ ابن حجر (فى التفح ٧٠/٩) ويجمع بين حديث ميمونة وبين حديث ابن عباس ، بحمل حديث ابن عباس على أنه من خصائص النبى ﷺ ، ثم ساق قول ابن عبد البر ملخصاً .

وقد عاشت رضى الله عنها وأرضاها بعد رسول الله ﷺ ثلاثاً وثلاثين سنة. وأخبر رسول الله ﷺ أنها لا تموت بمكة فلما ثقل عليها المرض سنة ثلاث وأربعين من الهجرة قالت أخرجونى فأخرجوها حتى أتوا بها ذلك الموضع الذى دخل عليها رسول الله ﷺ فماتت فيه ، ودفنت فى موضع قبتها .

وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها ، أخرج الشيخان عن عطاء قال : حصرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف فقال ابن عباس : هذه زوجة النبى ﷺ فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا .

خروج ابنة حمزة بن عبد المطلب ﷺ خلف النبى ﷺ (١)

فعندما خرج رسول الله ﷺ من مكة تبعته فاطمة ابنة حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، شهيد أحد ، أخرج البخارى فى صحيحه بسنده من حديث البراء بن عازب قال : « ... فقالوا : قل لصاحبك أخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبى ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادى ، يا عم ، يا عم ، فتناولها على فأخذها بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام ، دونك ابنة عمك أحمليها ، فاختصم فيها على وزيد وجعفر ، قال على : أنا أخذتها ، هى بنت عمى ، وقال جعفر : ابنة عمى ، وخالتها تحتى ، وقال زيد : ابنة أخى ، فقضى بها النبى ﷺ لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » .

وقال لعلى : « أنت منى وأنا منك » . وقال لجعفر : « أشبهت خلقى وخُلقى » . وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » .

وقال على : ألا تتزوج بنت حمزة ؟ قال : « إنها ابنة أخى من الرضاعة »(٢) .

---

(١) وقيل عمارة ، وأيضاً أمامة . وقال الحافظ ابن حجر وأمامة هو المشهور ، وهو الذى ترجم به فى الإصابة .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب عمرة القضاء .

تشريعات هذا العام

تحريم لحوم الحمر الأهلية وغيرها

حرم رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر لحوم الحرم الأهلية(١) كما حرم لحوم كل ذى ناب من السباع(٢) ، وكل ذى مخلب من الطير(٣).

وقد جاء الحديث فى النهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية من طريق أكثر من صحابى: أخرج الشيخان فى صحيحهما بسنديهما من حديث على بن أبى طالب ﷺ: « أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الانسية »(٤) .

وأيضاً أخرجه الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى النبى ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر » .

وكذلك أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما عن أنس أن رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال : أكلت الحمر ، ثم جاءه جاء فقال : أكلت الحمر ، ثم جاءه جاءٍ فقال : أفنيت الحمر ، فأمر منادياً ينادى فى الناس : « إن رسول الله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس ، فأكفئت القدور وإنها لتفور باللحم » .

---

(١) لأهلية : الأنسبة .

(٢) ذو الناب : كالأسد والنمر ونحوهما .

(٣) ذو المخلب : كالبازى والصقر ونحوهما .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى : باب غزوة خيبر .
ومسلم فى صحيحه ، كتاب النكاح : باب ندب من رأى امرأة فوقعت فى نفسه .

وأخرج مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير»(١).

تحريم نكاح المتعة(٢)

فى غزو خيبر أيضاً حرم النبى ﷺ نكاح المتعة ، وهذا النكاح كان معروفاً فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أبيحت للضرورة ثم أبطلها الإسلام ، وقد ورد فى حل المتعة ثم تحريمها أحاديث كثيرة فى الصحيحين وغيرهما .

فقد أخرج الشيخان فى صحيحيهما بسنديهما من حديث على ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ عن المتعة ، عام خيبر ، ولحوم الحمر الأهلية » .

وقال ابن عبد البر فى التمهيد (١٠/١٢١) بعد أن ذكر ما ورد فى نكاح المتعة من أحاديث وآثار ، وأعل ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما فيها : وأما سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين وفقهاء المسلمين، فعلى تحريم المتعة منهم : مالك فى أهل المدينة ، والثورى وأبو حنيفة فى أهل مكة، والشافعى فيمن سلك سبيله من أهل الحديث والفقه والنظر بالاتفاق ،

---

(١) هذا فى الصحيحين أيضاً : « أكل كل ذى ناب من السباع » لكن كون التحريم يوم خيبر هو لفظ حديث ابن عباس رضى الله عنهما عند أبى داود فى الأطعمة ، باب النهى عن أكل السباع ، وفيه أيضاً « وكل ذى مخلب من الطير » .

وأخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الأطعمة : باب ما جاء فى لحوم الحمر الأهلية ، من رواية أبى هريرة ، وقال : حسن صحيح .

وأخرجه الدار قطنى فى سننه ، فى الصيد والذبائح والأطعمة ، من حديث المقداد بن معدى كرب عن خالد بن الوليد رضى الله عنهما .

(٢) متعة النساء : يعنى نكاحهن إلى أجل ، فإذا انقضى وقعت الفرقة .

والأوزاعى فى أهل الشام ، والليث بن سعد فى أهل مصر ، وسائر أصحاب الآثار.

وعن إباحتها ثم تحريمها ذكر الحافظ مغلطاى بن قليج(١) فقال : وعن متعة النساء ، واختلفوا هل ... حرمت مرة ، أو مرتين ، أو أكثر ؟ وذلك أن فى بعض الأحاديث : إنما حرمت يوم خيبر ، وفى بعضها : يوم الفتح ، وفى بعضها : فى تبوك ، وفى بعضها : فى عمرة القضاء ، وفى بعضها : عام أوطاس(٢) .

وقد وقع الإجماع على تحريم نكاح المتعة من جميع العلماء إلا الشيعة .

(١) فى الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .
(٢) أوطاس : هو الوادى الذى جرت فيه موقعة حنين .

تم بحمد الله الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

ويبدأ بأحداث السنة الثامنة من الهجرة

أهم مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم .

٢- آثار المدينة لعبد القدوس الأنصارى .

٣ - أُسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، ط . دار الشعب - القاهرة.

٤ - الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ، ط . دار نهضة مصر - القاهرة.

٥ - الإشارة إلى سيرة المصطفى للحافظ مغلطاوى بن قليج ، ط .دار القلم-دمشق .

٦ - الأصنام ، لابن الكلبى .

٧ - البداية والنهاية ، ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٨ - تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر ، ط. حيدر أباد الدكن.

٩ - تهذيب الأسماء واللغات للنووى ، ط. دار الكتب العلمية - بيروت .

١٠ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ، ط. الهلال .

١١ - حياة سيد العرب لحسين عبد الله باسلامه ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة .

١٢ - دلائل النبوة للبيهقى ، دار الكتب العلمية - بيروت .

١٣ - الروض الأنف للسهيلى ، دار المعرفة - بيروت .

١٤ - زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار .

١٥ - سبل الهدى والرشاد (السيرة الشامية) للصالحى ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .

١٦ - سنن الترمذى ، دار الدعوة بمصر .

١٧ - سنن أبى داود ، دار الحديث بيروت .

١٨ - السنن الكبرى للبيهقى ، ط. دار المعارف العثمانية بالهند .

١٩ - سنن ابن ماجه ، ط . دار البشائر الإسلامية - بيروت.

٢٠ - سنن النسائى ، ط. المكتبة العلمية - بيروت .

٢١ - السيرة النبوية لابن هشام ، ط . الجمالية بمصر .

٢٢ - السيرة النبوية لابن كثير .

٢٣ - السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة لأبى شهبة ، ط. دار القلم دمشق .

٢٤ - السيرة النبوية للدكتور الطيب النجار ط . بمصر .

٢٥ - صحيح البخارى ط . الحلبى .

٢٦ - صحيح مسلم ، دار إحياء الكتب العربية .

٢٧ - صحيح مسلم بشرح الإمام النووى .

٢٨ - صحيح ابن خزيمة ، ط. المكتب الإسلامى - بيروت .

٢٩ - صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلى ، ط. دار النقاش الأردن .

٣٠ - الطبقات الكبرى لابن سعيد ، وإرصاد - بيروت .

٣١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ، ط . السلفية بمصر.

٣٢ - الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد ، للساعاتى .

٣٣ - القرى لقاصد أم القرى ، لمحب الدين الطبرى .

٣٤ - القاموس المحيط للفيروز بادى ، ط . مؤسسة الرسالة - بيروت .

٣٥ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ط. دار الفكر - بيروت .

٣٦ - مسند الإمام أحمد ، ط. دار المعارف - مصر .

٣٧ - مسند الحميدى ، ط . عالم الكتب - بيروت .

٣٨ - مسند أبى داود الطيالسى ، دار المعرفة .

٣٩ - مسند أبى يعلى الموصلى ، ط. دار القبلة - جدة .

٤٠ - المطالب العالية لابن حجر العسقلانى .

٤١ - معجم البلدان لياقوت الحموى ، ط . دار إحياء التراث - بيروت .

٤٢ - مغازى الواقدى ، ط . علام الفكر - بيروت .

٤٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ، ط . دار الكتب العربى - بيروت .

٤٤ - معالم التنزيل للبغوى .

٤٥ - وفاء الوفا بأخبار المصطفى للسمهودى ، ط . دار إحياء التراث العربى
- بيروت .

فهرس

رقم الإيداع ٩٨/٣٩٢٨
I.S.B.N. 977-19-5631-0

الزهراء كمبيو سنتر
طباعة - نشر - إعلان
القاهرة - ت ٢٩٦٠٦٦٧